

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله"

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

الكفاح الإنساني عند أرنست همنغواي وحنّا مينة
- دراسة مقارنة - (من خلال بعض النماذج)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD

تخصص: أدب مقارن

إعداد الطالبة:

سهام مصطفىاوي

السنة الجامعية:

2020-2019م

1440-1441هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله"

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

الكفاح الإنساني عند ارنست همنغواي وحنّا مينة
- دراسة مقارنة - (من خلال بعض النماذج)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD

تخصص: أدب مقارن

إشراف الأستاذ:

د. كريمي عبد الكريم

إعداد الطالبة:

سهام مصطفىاوي

السنة الجامعية:

2020-2019م

1441-1440هـ

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 "أبو القاسم سعد الله"

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية

قسم اللغة العربية وآدابها

الكفاح الإنساني عند ارنست همنغواي وحنّا مينة

- دراسة مقارنة - (من خلال بعض النماذج)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث LMD تخصص أدب مقارن.

لجنة المناقشة:

د. عبد القادر بوزيدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيساً
د. كريمي عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفاً ومقرراً
د. إبراهيم صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
د. وحيد بن بو عزيز	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضواً مناقشاً
د. سعيد شيبان	أستاذ محاضر أ	جامعة بجاية	عضواً مناقشاً
د. لونيس بن علي	أستاذ محاضر أ	جامعة بجاية	عضواً مناقشاً

إعداد الطالبة: سهام مصطفىاوي

السنة الجامعية:

2020-2019 م / 1440 - 1441 هـ

إهداء

إلى أمي رفيقة دربي جعل الله الفردوس الأعلى مثواها

إلى أبي سندي في الحياة حفظه الله

إلى كل أفراد أسرتي... وإلى كل من ساندني من قريب

أو بعيد في إنجاز هذا العمل.

سهام مصطفىاوي

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف "كريمي عبد الكريم" الذي

رعى هذه الأطروحة تصحيحاً وتوجيهاً.

كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لمساهمتهم في

تقويم هذا العمل.

والشكر موصول إلى كل أستاذ ساهم في توجيهي من قسم اللغة

العربية وآدابها وقسم الترجمة على مجهوداتهم التي بذلوها

لإثراء هذا العمل.

وأشكر كل من ساهم في تسديد أخطاء هذا العمل من خارج

الجامعة.

جزاكم الله خيراً ولكم منا بالغ التقدير والاحترام.

سهام

مقدمة

يحمل الأدب صوراً تعكس مختلف التحولات التي نرصدها في الواقع، وهو أيضاً استجابة للتغيرات النوعية في مسيرة التقدم الاجتماعي للإنسان؛ التي تدفع عجلة الحياة البشرية جمعاء، كما تدفع الفرد للمثابرة والكفاح بضراوة دون هوادة، وهذه الحقيقة قد عبر عنها كل من الأديب الأمريكي ارنست همنغواي والكاتب السوري حنا مينة؛ بقناعة راسخة في معظم أعمالهما.

وهذا ما أحالنا إلى تقفي أثر الكفاح الإنساني المرتبط بحركة أبطال الروايات، داخل بيئة وزمان كان لهما فيه الدور الكبير في إبراز ملامح ذلك الكفاح؛ إذ تزخر أعمال الكاتبين بمواضيع العنف والظلام والموت، وما يقابلها من كفاح وشجاعة وأمل في الحياة، يتجلى ذلك في تقديمهما صورة واقعية عن مأزق الإنسان الحديث خلال فترة الحروب وبعدها، كما ركز كل منهما اهتماماته على تحولات القيم والأخلاق الإنسانية؛ ومدى ارتباطها بصمود الإنسان وكفاحه من أجل البقاء، وحسب اعتقادنا تم تصوير الأبطال بشكل رئيسي كأفراد يخوضون معركة ضد احتمالات الحياة بكل شجاعة وقوة لتحقيق كرامتهم ووجودهم.

بدأت فكرة دراسة ملامح الكفاح الإنساني عند ارنست همنغواي وحنا مينة، من اطلاعنا على أقوال محددة تبين تأثرهما بكفاح الإنسان واهتمامهما بنقل الحقيقة الواقعية؛ التي لا يمكن فصلها عن مجمل ظروف الكتابة، وهذا ما يكشف أسباب جودة كتاباتهما ونمط معالجة الموضوعات المطروحة فيها؛ إذ لا يمكن عزل تقنيات كتابة النص عن السياق؛ لأن البيئة المحيطة بالكاتب دائماً ما تحكم أسلوبه، لهذا وقع اختيارنا على أهم أعمال الكاتبين، فاخترنا روايتي "الشيخ والبحر" و"وداعاً أيها السلاح" لآرنست همنغواي؛ وروايتي "الشرع والعاصفة" و"نهاية رجل شجاع" لحنا مينة.

لم يكن هذا الاختيار وليد الصدفة بل كانت له أسباب ومبررات عميقة منها الأسباب الذاتية؛ وهي الإعجاب بالكاتبين خاصة الكاتب الأمريكي ارنست همنغواي وميولي إلى اللغة الإنجليزية، ورغبتنا في دراسة موضوع الكفاح والتعمق في تجربة الإنسان وتناقضاتها المتعددة داخل واقع اجتماعي وسياسي ونفسي متأزم، أما الأسباب الموضوعية؛ فتتمثل حسب اطلاعنا البسيط في قلة وضآلة الدراسات في موضوع الكفاح الإنساني عند الكاتبين حيث ركزت معظم الدراسات عنهما على موضوع البحر، ونحن بهذا الصدد لا نزعم أن هذا الموضوع جديد كل الجدة سواء تعلق الأمر بتركيز الكاتبين على وصف البحر والحرب والموت، لكننا لم نجد دراسة أو بحثاً معمقاً عن قضية الكفاح الإنساني عند الكاتبين.

يعود سبب اختيار موضوع الدراسة دون سواه من المواضيع إلى المكانة التي أولتها إياه الأعمال الإبداعية؛ خاصة أعمال الكاتب السوري حنا مينة، واستشعار الدراسة لوجود إشكالات صاحبت بعض الطروحات التي اتصلت به من جهة أخرى، ووجب لمعالجة هذا الموضوع من الإشكالية التالية:

كيف صور الكاتبان الكفاح قضية لعصر هُدمت فيه الحروب معالم الإنسانية؟ وما مدى تأثير أيديولوجيتهما في بلورة قضية الكفاح كموضوع إنساني؟ وكيف تم تجسيد ذلك من خلال تأثر أبطالهما بمن حولهم؟ ولأن الإجابة عن أسئلة الفكر لا تكون إلا باستطاق الحقائق، فإن الانتباه يتجه صوب الملموس، نحو أعمال الكاتبين السابق ذكرها.

تكمن أهمية موضوعنا فيما وجد عند أبطالهما من صور توضح معنى الإحساس بالكرامة مهما انحدر المستوى الاجتماعي للشخصية؛ إذ نجد الجزء الهام من خصائصها موجوداً في كل واحد منا، من أخلاقيات الأبطال؛ ومشاكلهم وتفاصيل حياتهم اليومية

التي قد نعيشها الآن بطريقة أو بأخرى، فأدبهما هو محصلة حياة خاصة يحمل أفكارا يبنها لتأكيد تميز الإنسان ورفضه للهزيمة واليأس والحزن، وهذا ما يجعل البطل يظهر شجاعة وشهامة مهما انحدر في دوامة الحياة الاجتماعية.

جاء الهدف من دراستنا لقضية الكفاح الإنساني من أجل إظهار ما للكاتبين من صلة عميقة بقضايا الإنسان، انطلاقاً من تجاربهما الشخصية ووفق رؤى ذاتية.

كما تهدف الدراسة إلى تبين أثر الكفاح في الجانب الشخصي والفني للكاتبين، وذلك من خلال تحديد أثره في الموضوعات، وجاء عنوان الأطروحة كالتالي:

"الكفاح الإنساني عند ارنست همنغواي وحنا مينة . دراسة مقارنة. (من خلال بعض النماذج)"

اشتملت الدراسة على ثلاثة فصول، ولما كان من أهداف الدراسة الوقوف على مفهوم "الكفاح"؛ فإننا خصصنا له معالجة مستقلة في المدخل، شملت عرضاً لأهم مظاهره ومدى اتصاله بأعمال الكاتبين المعنيين بالدراسة.

خصصنا الفصل الأول: لإبراز أوجه التشابه والاختلاف بين الكاتبين؛ تحت عنوان "مرجعية الإبداع عند همنغواي وحنا مينة"، انطلاقاً من المرجعية الذاتية لكل منهما من مؤثرات عائلية ونفسية وتجارب شخصية، ودراسة انعكاساتها الفنية والفكرية في ابداعاتهما، فما من رواية إلا وقفزت عبر سطورها صورة من ماضيها، ذلك الماضي الذي تشكل فيه الطفولة السند الأساسي والمادة الخام للأحداث.

وانتقلنا إلى المرجعية الاجتماعية والسياسية؛ لرصد أثر التجربة العميقة داخل وسط اجتماعي تسوده الاضطرابات والتناقضات، في زمن الحرب الذي انقلبت فيه القيم رأساً على عقب؛ واختلف فيه الناس حول معنى الحياة والوجود، فكتب كل منهما

عن ذلك الزمن من زاويته الشخصية ومن خبراته الخاصة، واستتبطا أدواتهما الجديدة والمبتكرة بالاعتماد على أهم الأحداث التاريخية والإنسانية، فمن خلال هذه المرجعيات اكتسبا براعة الإبداع وعبقرية التصوير، ليتجلى أمامنا كفاح كاتب ومبدع وإنسان بالدرجة الأولى.

أما الفصل الثاني "إشكالية الوجود وتجليات الكفاح" فخصصناه لمقارنة أشهر روايات الكاتبين؛ وهي رواية "الشيخ والبحر" مقابل رواية "الشرع والعاصفة" ودرسنا فيها جانب الكفاح ضد البحر؛ لنبرز مواقف بطليهما من الطبيعة ومدى ارتباطهما بها، ودرسنا رواية "وداعاً أيها السلاح" مقابل "نهاية رجل شجاع" من جانب الكفاح الاجتماعي والسياسي؛ لتبيين مدى شجاعة كل بطل في مواجهة الصعاب ومدى تفاعلها مع الواقع والمجتمع، وذلك لتحديد أبرز نقاط الاشتراك والاختلاف بينهما، وتبيين مدى تأثير الحرب في تطور وعيهما، لنوضح أن إشكالية الوجود تتجسد في مواجهة مخاطر الحياة والموت والمعاناة؛ وكفاح الشخصيات لتحقيق وجودها وتحسين مصيرها.

جاء الفصل الثالث بعنوان "أبعاد الشخصية وتمجيد الفعل الإنساني"؛ وتم من خلاله دراسة شخصيات الكاتبين انطلاقاً من البعد الجسمي الذي اتضح لنا فيه أن كل الأبطال يمتازون بالقوة البدنية الجيدة، أما البعد النفسي فيظهر فيما تعانيه الشخصيات من تناقضات داخلية وصراعات نفسية تعكر صفو حياتها، لكنها لم تحطم ثقتها وإصرارها للمضي قدماً، ومن جهة أخرى وضحنا في البعد الاجتماعي ما تعانيه الشخصيات بسبب الظروف الاجتماعية المتدهورة؛ والاضطرابات السياسية التي تسود مجتمعاتهم.

كما تطرقنا لدراسة تمجيد الفعل الإنساني عند الكاتبين؛ لتبيين أهمية القوة المعنوية والأخلاقية للإنسان كدلالة أساسية سائدة في معظم أعمال الكاتبين، بحيث تظهر صورة الرجولة كواجهة مباشرة تنعكس من خلالها صور الشجاعة التي تتخللها لحظات الضعف، وترتبط بشكل أو بآخر بثنائية الموت والحياة، كما وضحنا في المقابل صورة المرأة وحضورها الواسع مكملًا لهذا المفهوم الشامل، وحددنا في الأخير علاقة المرشد بتطور وعي البطل.

حاولنا في هذا الفصل تأطير بعض جوانب تجربة الكاتبين وأبعاد الكفاح فيها، وتطرقنا إلى مواقف شخصيات الكاتبين من زوايا متعددة لتبيين مدى ارتباطها بمن حولها، وأثر كل ذلك في حركية صورة البطل واندماجه مع من حوله، وتم ذلك بالتركيز على نقاط الائتلاف والاختلاف بين الأبطال.

أنهينا الدراسة بخاتمة تضم أهم نتائج هذه الدراسة؛ وما توصلنا إليه من استنتاجات مكملّة لطبيعة العمل، وملحق يضم أهم محطات وأعمال الكاتبين.

أما الدراسات السابقة، فقد اجتهدنا ألا نهمل منها شيئاً قدر المستطاع وتقديم الجديد لإثراء موضوع الكفاح الإنساني، ولأن البحث العلمي لا يخلو من الصعوبات والعوائق واجهنا نقصاً في الدراسات والمراجع التي تناولت موضوع الكفاح الإنساني، لأن معظم الدراسات التي توفرت لدينا اهتمت بالكفاح الثوري أو المقاومة المسلحة، أما الشق الإنساني المنبثق من روح الكفاح؛ فلم يكن له الحظ الأوفر من العناية والدراسة الدقيقة، الشيء الذي دفعنا إلى الخوض في غمار هذا الموضوع لوضع لبنة متواضعة في بحث يستحق كبير الاهتمام.

تأخذ الدراسة بالمقاربة المقارنة لتقديم صورة متكاملة إلى حد ما؛ عن مدى تأثير صراع الكاتبين ضد مصاعب الحياة، وما شهده من صور الكفاح الإنساني في مسار

حياتهما الغني بالأحداث التي أثّرت أعمالهما الروائية، وعن مدى التشابه والاختلاف في أعمالهما المعنية بالدراسة، حيث يعتمد البحث على المنهج التاريخي لرصد الصلات التاريخية حول الكاتبين ومختلف أعمالهما الأدبية، ولم يقتصر بحثنا على المقارنة بتأكيد التأثير والتأثر وإثبات الصلات التاريخية، بل تجاوزنا ذلك بالبحث في التفاعل الثقافي بين الشعوب فيما يخص القضايا الثقافية والأدبية؛ وأثر الظروف الاجتماعية، واعتمدنا كذلك على المنهج النفسي حيث افترضنا وجود كوامن نفسية عميقة في لاوعي الأدبيين، تظهر من خلال نصوصهما وشخصياتهما الواقعية.

وفي الأخير نرجو أن يسهم هذا البحث ولو بالقليل في إثراء مجال الأبحاث العلمية في الأدب المقارن، على أمل أن تكون بابا لدراسات جديدة في المستقبل.

مدخل

مفهوم الكفاح ومظاهره عند الكاتبين

1- مفهوم الكفاح.

2- مظاهر الكفاح الإنساني عند الكاتبين

تمهيد:

تتعدد التصورات والمواقف حول ذلك النسيج المنبثق عن العلاقات المتشابكة بين الإنسان وبيئته وواقعه، وليس من الصدفة أن نجد الأدب قد اقتحم بكل ما لديه من قوة قضايا المجتمع وواقع الحياة الإنسانية بتطلعاتها وطموحاتها، همومها وآسيتها، بكفاحها وانتصاراتها... وبما أن الرواية وسيلة من وسائل الأدب والمعرفة التي تقربنا من الحقيقة، يمتزج فيها العقل بالإحساس ويتفاعل الوضع الذهني بالوضع النفسي للأديب، ليجت في ظواهر يتأثر بها ويكوّن منها موضوعات كثيراً ما تهتم بقوى الكفاح الإنساني التي تمثل مسرحاً لتطورات ملموسة على عدة مستويات، تُظهر تطلعات الإنسان الاجتماعية والسياسية والثقافية، غايتها التخلص من التخلف والاضطراب والقهر والظلم... فتصنع فرصاً للنهوض على أسس مغايرة تطمح لتحقيق الأفضل.

ولا يفوتنا في دراسة الكفاح الإنساني عند الكاتبين الإشارة إلى مفهوم الكفاح نظراً لتشعبه وتشابكه وشساعة أطراف حقله، وكذلك لارتباط الأعمال الإبداعية التي وقع عليها اختيارنا بهذا الموضوع؛ فأعمال كل من أرنت همنغواي وحنّا مينة لا تخرج عن حيز مظاهر الحياة الإنسانية والاجتماعية والحضارية والثقافية والتاريخية... وقد يعود ذلك إلى قوة الملاحظة التي يمتلكها الكاتبان، حيث ساعدهما ذلك في تحديد الظواهر الاجتماعية والطبيعية المحيطة بالإنسان.

1- مفهوم الكفاح:

يدل مصطلح الكفاح على المواجهة والصراع ضد مصاعب الحياة، وليس هناك من فرد لم يكافح من أجل البقاء وإثبات وجوده، إذ يحتل الكفاح مكانة عالية في نفوس معظم شعوب العالم، كان مصدرها الأول الإعجاب بقوة الإنسان وشجاعته، والانبهار بالصلابة الداخلية التي تدفعه للتغلب على عوامل الضعف والنقص، وهذا ما خلق إيماناً بقدرة الإنسان كفرد مختلف عن الجماعة ومتصل بها بطريقته الخاصة، فالكفاح هو مواجهة تحديات النفس ومصاعب الحياة وورد في معجم الوسيط تحت لفظ "أكفح فلانا عنه: رده، وكافح القوم أعداءهم: استقبلوهم في الحرب بوجوههم... وقَرَنَه: قاومه بقوة، ويقال كافح الأطباء الأمراض، وكافحت الدولة البطالة... وتكافح المقاتلون: تضاربوا وجها لوجه"¹، فالكفاح هو رد فعل مناهض مهما تعددت وسائله وأساليبه.

تتفق المعاني على أن الكفاح هو المواجهة والمباشرة بالنفس والمقاومة بقوة، وهو النضال والدفاع والصراع، كما تطور مفهومه وأصبح يعبر عن الإنسان المقاوم الذي يقف في وجه الظلم والاستبداد بغرض الدفاع عن الذات، وما اصطلح في معناه جاء كالتالي "كفح كَافَحْتُ، أَكَاْفِحُ، كَافِحٌ، مصدر: مَكَافَحَةٌ، كِفَاْحٌ، كافح في سبيل قضية عادلة: ناضل، قاوم، صارع، "كَافَحَ عنه كِفَاْحاً": دَافَعَ عَنْهُ دِفَاعاً"²، ليدل في معناه العام على الصمود والمواجهة بكافة أنواعها والصراع من أجل الحرية، وقد يكون من أجل تحقيق المكاسب الشخصية على الصعيد الفردي والجماعي.

وقد ورد مصطلح الكفاح "Lutte" في قاموس (Le petit robert) بمعنى: "قتال لإثبات صحة قضية معينة، أو معارضة عنيفة بين خصمين متصارعين... مثل: الصراع والمنافسة، وجاء بمعنى الكفاح المسلح في المعارك والحروب، أو تأييد قوي

1- ينظر: مجموعة من اللغويين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص761.

2- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر (نسخة إلكترونية)، مؤسسة الغني للنشر، دط، 2013.

لشخص أو مجموعة أشخاص لمقاومة قوى عدوانية أو لبلوغ هدف معين، ومحاربة الشعب من أجل التحرر والاستقلال... كما يقصد به التضاد والخصومة بين قوى متعاكسة... صراع بين الخير والشر"¹.

كما جاء في قاموس المورد الحديث بمعنى "يكافح، يناضل، يقاوم، يتقدم بصعوبة أو بجهد كبير، كفاح، نضال من أجل الحرية (for liberty)، نزاع وصراع..."² وما يتفق مع المعاني السابقة ويصب في موضوع الدراسة هو مفهوم الكفاح الذي يقصد به تحدي الصعوبات والقتال من أجل تحقيق الذات برغباتها وطموحاتها، وورد (Struggle/ كفاح) بمعنى "معركة/صراع وبذل جهد شاق للقيام بشيء بسبب الصعوبات... والقتال مع الشخص الذي يهاجمك... والنضال للوقوف على قدميك رغم مشقة ذلك..."³

يتضح لنا من خلال ما سبق أن الكفاح (النضال، والمقاومة) يعتبر صورة من صور الرفض والتمرد وعدم الرضوخ، ومحاربة العبودية والظلم والطغيان والاستبداد، وكل شكل من أشكال الاستعمار، يتبناها الأفراد والجماعات ضد الاضطهاد الاجتماعي والسياسي، ولا تغفل إمكانية اتخاذ الكفاح وسيلة من أجل إثبات الذات وعدم الاستسلام أمام الصعوبات والتحديات.

محصلة القول إن ما أثار اهتمامنا بموضوع الكفاح هو شقه الروحي الإنساني المنبثق من النفس القوية؛ إذ أن مفهومه في الحياة والأعمال الأدبية والفنية واسع يشمل أنماطا متنوعة من الشخصيات الاستثنائية، التي طرأت عليها تغيرات نفسية ناهيك عن

1- Paul Robert, Le petit robert 1, avenue Parmentier, Paris, 1986, p: 1120.

2- منير البعلبكي، المورد الحديث (قاموس إنجليزي عربي)، دار العلم للملايين، لبنان، 2008، ص1165.

3- P.H Collin, Easier English student dictionary, upper intermediate level, Bloomsbury, second edition, p857.

صراعها المستمر مع واقعها، لتفرز بذلك نموذج الإنسان المكافح؛ الذي لن يكون كذلك إلا في علاقته الخلاقة بمجتمعه ومحيطه الذي أثر فيه وساهم في تكوينه، وهذا ما سنوضحه بتحديد أهم مظاهر الكفاح التي تظهر عند الكاتبيين ارنست همنغواي وحنّا مينة.

2- مظاهر الكفاح الإنساني عند الكاتبيين:

يزخر الأدب الإنساني في مجمله بالقيم والمعاني التي تدفع الشعوب للتعبير عن أنشطتها العامة والخاصة لأن الكتابة كانت ولا تزال من أهم الوسائل التعبيرية، حيث أصبحت اليوم مهمة صعبة غرضها أعمق من تسلية العقول فقط، بل ترقى إلى دفع الإنسان لتجاوز مخاوفه وبذل قصارى جهده في ذلك¹، لأن الإنسان في معظم الأحيان يميل إلى الكفاح ضد تقلباته النفسية التي يسببها صراعه المستمر مع مصاعب الحياة الاجتماعية والذاتية.

هذا ما يثبت أن الأدب حين تظهر فيه النزعة الإنسانية والاهتمام بكل ما يصيب الإنسان، يصبح سبيلاً إلى المعرفة يتم طبقاً لمبادئ تعتبر الثقافة بفضلها طاقة حيوية تعكس طموح الشعب²، ما يُمكننا بطبيعة الحال من الاندماج مع الظواهر المراد دراستها؛ لتكوين موقف عنها وتقديمها بطريقة تقربها من صورتها الواقعية، ما يجعلنا كقراء نستفيد من تلك التجارب والظواهر التي تطرح أمامنا.

من الطبيعي أن الكفاح الإنساني يعتبر من أبرز اهتمامات بعض كتاب الرواية، لتوفره على معاني الكفاح والصراع التي تجعل الشخصيات والأحداث مثيرة للاهتمام فالرواية دائماً ما ارتبطت بقضية الحرية الإنسانية، لذلك غالباً ما سبقت الثورات نهضة

1- ينظر: فوزي الحاج، عناصر الفن الروائي عند نيكوس كزانتزافي، مجلة العلوم الإسلامية، غزة، المجلد السابع، العدد الأول، يناير 1999، ص 2. 3.

2- ينظر: مصطفى الأشرف، الكفاح السياسي والثقافة، مجلة الفكر، تونس، العدد 4، 1 يناير 1963، ص 372.

أدبية وفكرية، تقود الشعوب في طريقها¹، ولكن القول أن كل الروايات تدور في الأساس حول مشكلة الحرية والكفاح وأن الثروات غالباً ما سبقتها نهضة فكرية قد يبدو متسرعاً، ولوضع ذلك بطريقة أقل تجريداً يمكننا الاعتماد على قول أحد النقاد الذي يرى أن كل الكتاب الجيدين يقومون في البداية بتجسيد وجهة نظرهم للحياة في أعمالهم؛ ولتوضيح ذلك يقول: "إنهم يعيشون تجاربهم الفكرية في شخصياتهم، ولقد مالوا طبيعياً إلى الغش لكنهم كانوا يحتاجون لصالح وجهة نظرهم في الحياة ويتمنون عرض كل قضية على أحسن وجه ممكن".²

هذا ما نجده من خلال تتبع المسار الأدبي للكاتب "أرنست همنغواي Ernest Hemingway"، ففي الغالب تكشف الحياة لمعظم أبطاله عن عيوب كثيرة تبعتها عن المثالية التي يطمحون إليها؛ حين يتأكدون أن أحلامهم بحياة أفضل مجرد أوهام، لذلك يبقى أمامهم خيار التحلي بالشجاعة لتخطي العقبات، وهذه هي فلسفة الكاتب في الحياة؛ فكثيراً ما تحدث همنغواي عن الكفاح واستخدمه لمواجهة الآخرين، حيث ثار على كل ما يطمس الحقيقة من مثل زائفة وتقالييد خادعة³، يعتبر الكاتب صادقاً وواقعياً في كتابته؛ قريباً من قلوب قرائه بمميزات شخصياته الواقعية التي توحى بالشجاعة وتبعث على الكفاح، مع الأخذ بعين الاعتبار النتائج المؤلمة لتهور الإنسان، وهذا ما لاحظناه بتتبع مراحل حياته؛ إذ أقدم على الحياة بتهور ولا مبالاة ما أدى إلى وقوعه ضحية حوادث عنيفة، لكنها في المقابل كانت المادة الأساسية لأعماله، وهذا ما

1- ينظر: سعدون حمادي وآخرون، دور الأدب في الوعي القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1980، ص31.

2- كولن ولسون، فن الرواية، ت: محمد درويش، مكتبة بغداد، ط1، 2008، ص79.

3- ينظر: لطفي صديق أحمد، إرادة الكفاح بين همنغواي واكسوبري، المجلة، مصر، العدد 160، 1 أبريل 1970، ص76.

جاء في قوله: "وبعد أن بدأت في "وداعا للسلاح"، انسابت السطور مني في يسر، وكان أكثرها بالطبع ينبع من تجاربي الخاصة..."¹

والحديث عن أرنست همنغواي شيق جداً؛ إذ يعتبر من الكتاب الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى والثانية، باعتبار أن الحرب مهما كان نوعها ومتى ما كان زمن حدوثها تعمل على تجريد الفرد من ممتلكاته، انطلاقاً من ذاته وصولاً إلى تدمير كل ما حوله لهذا كان الكاتب يحاول تحديد آثارها انطلاقاً من تجاربه الخاصة فيها، حيث بدأ مسيرته كأديب محترف خلال فترة اضطرابات الحرب، فهمنغواي حمل البندقية في سن مبكرة، وفي السابعة عشرة من عمره تطوع كجندي في الجبهة الإيطالية، ثم اشترك فيما بعد في الحرب الأهلية الإسبانية، وفي الأربعين من عمره طارد الغواصات النازية في البحر وغيرها من الأحداث التي دفعه فضوله إلى المشاركة فيها لهذا عاش حياة حافلة اقتربت في معظمها من حدود الموت، لكنها في المقابل كانت سبيله لاكتشاف القاعدة الصلبة التي تساعد الإنسان على مواجهة مرارة الحياة دون استسلام² وهذا ما حاول تصويره في معظم أعماله ورسم شخصياته على منواله.

جاءت أعمال همنغواي محاكاة لآلامه وكفاحه وتجاربه ومغامراته، فأتجاه حياته الشخصية كان يسير موازياً لفنه وإبداعاته، حيث عاش حياة عصيبة وصعبة ساعدته على شحن قوته لمواجهة مجتمع انهارت فيه القيم التي كان يؤمن بها فالحياة العنيفة التي خاض غمارها لتقصي جذور الحقيقة وسط الفوضى، كانت سبيله نحو الإيمان بالإرادة الإنسانية³، وفي اعتقادنا هناك من البشر من يستطيع أن يكافح ويناضل بكل ما أوتي من قوة؛ ضد رغبات نفسه السلبية وهفواته؛ وبيئته ومجتمعه بتحولاته المستمرة

1- أ. هونتشر، بابا همنغواي "مذكرات شخصية"، ت: ماهر البطوط، دار الآداب، بيروت، دط، ص 71.

2- ينظر: لطفي صديق أحمد، إرادة الكفاح بين همنغواي واكسبوري، ص 86.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 86.

-وتبقى القائمة طويلة- حتى يحقق ولو جزءاً بسيطاً من طموحاته، ويثبت لنفسه وللعالم قدرته على التغيير وتحقيق الأفضل في حياة يملأها الشغف بالمغامرات والمخاطر.

أصبح الكاتب إنساناً يحمل عزيمة أكثر وإصراراً قوياً في بحثه عن الحياة بالمعنى الذي كان يتطلع إليه، حيث يرى همنغواي أن العيش في "عالم لا يوجد فيه شيء مؤكد أو دائم، يصبح الكفاح هو الفضيلة الوحيدة التي تبقى على الإنسان وقاره وأهميته"¹، وهذا قد يكون سبباً في بذله جهداً كبيراً واهتماماً عظيماً لاستحضار تلك الأحداث الواقعية التي أثرت فيه، من أجل تحديد صورة أدق لمعالم الحياة والوعي الإنساني.

كما أتاحت الرواية لأرنست همنغواي مجالا واسعا للتعبير عن تجاربه ومغامراته المميزة، واستطاع بفضل أفكاره الخاصة وأعماله المميزة أن يصل إلى العالمية، حيث يرى أحد النقاد أن "كبار الشخصيات في الكتابة الأمريكية خلال القرن الحاسم الذي بدأ في عقد الثلاثينيات أي ابتداء من 1930 بانتصار "المودرنيزم" (اليوت، باوند، همنجواي، فيتزجيرلد)، حيث أن القرن الذي بدأ "بالطبيعة" 1836 لإيمرسون انتهى... عندما تشتت روح المودرن بالحرب، وبالكساد والأيدولوجية السياسية والاكاديميزم، و"ما بعد المودرنيزم..."² وهذا دليل على أن همنغواي كان من أهم الشخصيات الأدبية في عصره؛ لما كان له من أثر في تغيير اتجاه الأدب الأمريكي وطبعه بروح الحداثة والواقعية، في محاولة منه لرصد تحركات عصره وتطورات الأحداث المهمة فيه، وكذلك تقديمه لشخصيات مختلفة صورت معاناة إنسان الحرب وما بعدها.

1- لطفي صديق أحمد، إرادة الكفاح بين همنغواي واكسبوري، ص86.

2- ينظر: ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ت: أمير كامل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1989، ص3.

جاءت أعمال همنغواي على هذا المنوال لأنه نشأ داخل سياق ثقافي بدت فيه القيم الإنسانية ممزقة بسبب الحرب وأهوالها، حتى أصبحت من أهم الموضوعات التي عالجتها رواياته؛ إذ وجه من خلالها نقده للنزعة الاستعمارية والعنصرية في أمريكا وقال: "سأظل أحارب الشر في نفوس البشر حتى لحظات الظلمة... وظل همنغواي يدافع عن مبادئ الحق والشرف... إذ يرى أن الكاتب الذي لا يملك أي شعور تجاه العدالة أو تجاه الظلم من الأفضل له أن يتخصص بكتابة لائحة سجل الشرف لطلاب الجامعة، لا أن يكتب روايات"¹، ومن أهم أعماله التي صورت كفاح الكاتب خلال فترة الحرب روايته الشهيرة "وداعا للسلح (A farewell to Arms) " ورواية "لن تقرع الأجراس for whom the bell tolls " التي تصل فيها معالجة هذا الموضوع إلى ذروتها، حيث ركزت هذه الرواية على تصوير كفاح الأبطال وصراعهم للبقاء والنجاة بسبب انهيار معالم الحياة الأساسية، وسعت إلى إبراز ما يلاقيه كل إنسان من عذاب لمواجهة الموت في زمن لم يكن يخلو منه.

أمدّت الحرب الروائي بمادة وفيرة ألف منها أعمالا كثيرة، وقد يعود هذا إلى رغبته في الكشف عن بشاعتها وخباياها وتصوير صراع الجنود المتواصل وعناء الجندي العائد إلى عالم ما بعد الحرب المتكك²، فقد ركز كل جهوده في تصوير محنة الحرب على حقيقتها، لذلك اقترب منها قدر الإمكان وعاش بعض مراحلها وأصيب خلالها وتشتت عالمه.

نجد في كثير من مؤلفاته الآثار العنيفة التي أنقصت من قيمة الإنسان بعدما تحطم العالم الغربي من قسوة الحرب؛ والتي لا تزال آثارها بارزة إلى يومنا هذا، وأهم ما

1- علي عبد الفتاح، أعلام في الأدب العالمي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 1999، ص281.

2- ينظر: طه حسين وآخرون، دراسات في الأدب الأمريكي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة / نيويورك، دط، دت، ص102.

قدمه همنغواي حسب العديد من النقاد والباحثين أنه تثبت مذهب البساطة والشفافية في الكتابة، وقد يعود ذلك لدرجة إيمانه بأن التجربة نفسها لا يمكن التعبير عنها بأفكار غامضة¹، وهذا ما لاحظناه في دراستنا لأعماله التي اتسمت ببساطة في التعبير تربط القارئ مع الأحداث بطريقة واقعية لا مبالغة فيها، حتى يكاد القارئ يرى نفسه في تلك الشخصيات أو يقترب منها بطريقة ما.

بالحديث عن المأساة والهزيمة في عالم همنغواي القصصي؛ نرى أنها تكمن في توقف أبطاله عن الكفاح وتحدي الموت والفناء، والاتجاه للاستسلام والفشل مثل بطل قصته القصيرة "ثلوج كليمنجارو" The Snows of kliminjaro " التي يسرد فيها قصة الكاتب "هاري" حين يسافر ليكتشف نفسه لكنه يلاقي حتفه في جبال كليمنجارو جراء إصابة بليغة أدت إلى هلاكه؛ إذ ظل البطل يفكر كيف يمكنه مواجهة لحظات الموت الأخيرة، لكن لم يبق له في الأخير سوى الذكريات والأحلام المبعثرة حول الثلوج الكثيفة التي تغطي الجبل، ليتمكن منه الموت في النهاية، نفس المصير الذي كان يلاحق همنغواي في نفس المكان حتى ظهرت شائعات مؤكدة على موته، ففي "عام 1954 تحطمت طائرته على حدود الكونغو البلجيكية... وشاع أنه قد لاقى حتفه، ولكنه لما عاد إلى نيروبي سالماً وجد... مقالات شتى عن موته فكتب يقول: لقد أجمعت كل تلك المرائي على أنني قضيت حياتي أبحث عن الموت، وأن الموت الذي طالما غارلته قد استطاع أن يظفر بي قريباً من كليمنجارو..."² أما الحياة فتستقيم وتنجح بالنسبة للكاتب عندما يثابر أبطاله بالإرادة والنضال مثل سانتياجو بطل "الشيخ والبحر

1- ينظر: طه حسين وآخرون، دراسات في الأدب الأمريكي، ص 105.

2- ينظر: إيفان كاشكين، أرنست همنغواي: حي وسط الموت!، ت: سمير عزام، مجلة الآداب، العدد9، 1 سبتمبر 1961، ص18.

"The Old Man and the sea"، فرغم عودة هذا الأخير صفر اليدين من لياليه الشاقة في البحر، إلا أنه أثبت لنفسه ومن حوله مدى شجاعته وقدرته التي دائماً ما يفخر بها عكس ما أظهره بطل "ثلوج كليمنجارو" من فشل ورضوخ للفناء.

إن الدارس لأعمال همنغواي دائماً ما يجد نفسه يجري مقارنة بين حياته الخاصة وأعماله الأدبية، انطلاقاً من "الممرضة التي وقع في حبها إلى روايته "وداعاً للسلاح"، ومن رحلاته السفاري بأدغال أفريقيا إلى "ثلوج كليمنجارو "The Snows of Kilimanjaro" أو "حياة فرانسيس ماكومبر القصيرة السعيدة "The Short Happy Life of Francis Macomber"، بالطبع هو لم يخض كل المعارك التي ذكرت في "وداعاً للسلاح"، ولم يعرف امرأة قتلت زوجها مثلما جرى في حياة فرانسيس، لكن الانطباع العام حول أعماله، والمواضيع، الأماكن، أو الزمان، لا يمكن اعتبارها مجرد صدفة... بينما إقامة مقارنة مباشرة بين صفة أو شخصية في النص والشخصيات في حياته قد لا يخدم أي هدف، فالكاتب يستطيع استعمال علاقاته الخاصة ليظهر إمكانية إضافة سياق خاص لعلاقات الشخصيات داخل أعماله¹، فبتحديه الموت وحبه للمغامرة استطاع أن يجمع قصصاً وأحداثاً استعملها في أعماله؛ ليثبت أن الكفاح كان عنصراً أساسياً في حياته.

يتضح لنا هنا أن همنغواي دائماً ما يستند إلى خبراته في الحياة وعلاقاته وتجاربه الخاصة، لبناء حياة شخصياته في صورة قريبة من مسار حياته؛ لكن ذلك لا يعني أنه كتب سيرة ذاتية من خلال أعماله؛ بل كان يعتمد عليها لإثراء نصوصه، لأن "الحياة فضاء واسع جداً يقف الروائي وسطه لينتخب ما يمكن أن يفسر به الحياة...

¹ - Samantha Ehlinger, Hemingway: Never a kept man, thesis for Departmental Honors in the Department of English Texas Christian University Fort Worth, Texas, May 4, 2015, p1. (أطروحة القسم الشرقي لقسم اللغة الإنجليزية بجامعة تكساس المسيحية).

إن مادة الروائي ملزمة ولا شك، وقيمة المستندات لا تنكر، ولكن إرادة الكاتب وتصرفه في هذه المواد هما بلا شك الفن الروائي الحق¹ هذا ما يفرض على الكاتب أن يخضع تجاربه العديدة إلى مواده الإبداعية والفنية، لا أن يكون عبداً مطيعاً لها همه الوحيد النقل الحرفي فقط؛ كما أن المفهوم السائد عن الواقع والحياة في أي عصر وأي بلد، هو بالتأكيد العنصر الأساسي الذي يحدد طبيعة الرواية وكيفية اشتغالها.

ارتبطت مظاهر الكفاح عند ارنست همنغواي بتحويلات عصره التي أثرت على جيل كامل من الكتاب أمثاله؛ فعلى سبيل المثال الأزمة الاقتصادية التي يتضح أثرها في أحد أعماله بعنوان (البحر والقدر)، إذ يقول في وصفه لحياة البطل (هاري مورغان Harry Morgan): "فالناس الآخرون يتخطون ينتفضون لمقاومة أزمة سنوات الثلاثين التي ندرت فيها فرص العمل، وضاعفت انتشار البطالة العامة... إلا أن كلمة فشل لا وجود لها بالنسبة لرجال من جيلته، لقد حضر حملة جديدة... لكن ما حيلة المرء، حتى لو كان شهماً جسوراً ضد نكد الطالع المستمر؟"²، فمورغان يمثل إنسان تلك الفترة وما أصابه من يأس حطم طموحاته في الحياة ففي تعريفه لهذا البطل يصفه بالشهامة والصلابة، وهي من علامات الكفاح التي يستند عليها أي إنسان في مقاومة ظروفه لأن همنغواي المعروف بحياته الصاخبة لم يكن يؤمن بالفشل وهذا ما انعكس على معظم شخصياته، فقد "عبر عن ميله للرياضة (الملاكمة، الصيد، صيد السمك، مصارعة الثيران)، في حياة صاخبة انعكست في قصصه وفي العديد من أقاصيصه القصيرة، صاغها في أسلوب مباشر أحدثت مدرسة في أعوام 1930-1950."³

1- طه حسين وآخرون، دراسات في الأدب الأمريكي، ص 83.

2- ينظر: ارنست همنغواي، البحر والقدر، ت: نديم مرعشلي، شركة الكتاب اللبنانية اللعازرية، لبنان، دط، دت، ص 6.

3- المصدر نفسه، ص 5.

يعتبر همنغواي أحد أعظم كتاب القرن العشرين ولا يزال لأعماله تأثير كبير في الكتاب على اختلاف ثقافتهم فرغم محدودية مواضيعه، إلا أنه كتب بكل صدق وشمولية كما يرى الدارسون، وصور في كتاباته خبراته وتجاربه ومغامراته التي عاشها في زمن الحرب والعنف؛ وفي زمن انقلبت فيه القيم رأساً على عقب؛ واختلفت فيه التصورات حول معنى الحياة والوجود، فكتب من زاويته الشخصية بأدواته التي استنبطها بنفسه عن حياة الكفاح؛ التي يضطر الفرد خوض غمارها بكل ما أوتي من شجاعة وإصرار داخل عالم من الدمار الإنساني والانهيال الأخلاقي.

أما الحديث عن حنا مينة فيأخذنا إلى عالم آخر يحمل فيه الكفاح الإنساني مظاهر مختلفة، لكن تربطه ملامح مشتركة مع ما سبق ذكره؛ إذ دفعت وضعية الاستبداد الشعوب إلى مقاومة الاستعمار الذي زرع القيم الإنسانية خلال الحربين العالميتين لهذا اتسم الأدب بصفة الكفاح والعطف على البسطاء والحيرة والضياع ومرض الاستلاب¹، حيث تطلب ذلك العصر أرواحاً مكافحة هدفها نيل الحرية بكل وسيلة متاحة، وهذا ما جعل من كتاب تلك الفترة قوة مؤثرة في نفوس الشعوب التي كانت تعاني ويلات الحرب والاستعمار.

يوضح العديد من النقاد والباحثين أن أدباء تلك الفترة لم يقاوموا الضعف فقط من خلال أدبهم بل شاركوا في دفع عجلة الكفاح²، وقد تم ذلك بتطوير وسائل جديدة للتعامل مع الفكر بطريقة خاصة لوصف الشعور الإنساني، وهكذا وجدت الأعمال الروائية في العالم العربي واقعيته الصارخة واقتربت شيئاً فشيئاً من أعماق الروح

1- ينظر: أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989، ص122.

2- ينظر: غالي شكري، أدب المقاومة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص10.

الإنسانية، فالمراحل العصبية التي يجتازها أي بلد خلال محنة معينة، قد تتشابه أو تختلف من مكان إلى آخر لكنها تحمل ملامح الدمار والمعاناة نفسها.

يظهر لنا هنا أن الأعمال الأدبية الخاصة بتلك الفترة جاءت لتحكي كفاح المجتمع الذي خلقت فيه، وامتزجت به تجاربه ونجاحاته وهزائمه لهذا يؤكد "حنا مينة" بعدما ألفت ما يفوق العشرين عملاً أدبياً في رصيده أن الرواية هي "بنت التجربة... التي عاناها الروائي، بمعنى عاشها بعمق، شاهدها، وضع رجله في مستنقع موتها..."¹ ما دفعه ككاتب إلى اكتساب وعي خاص بالظروف المتأزمة التي يمر بها مجتمعه.

يتطلب الواقع الإنساني من جانب آخر فحصاً دقيقاً ليتمكن الكاتب من عكس صورته بكل موضوعية، وهذا ما نلمسه فيما وضحه حنا مينة حين اعتبر أن قيمة الكاتب تتمثل في كفاحه مع أبناء وطنه وتواجهه في عصره فيقول: "قيمتنا هي تواجدنا في عصرنا، في بيئتنا، وكفاحنا... وبذلك نكون جديرين بهما، ويكون أدبنا أدبهما... وهكذا نبرهن على أننا حقاً أبناء عصرنا... وأفنيانا أنفسنا فيه ولأجله"²، لا يقتصر هذا على الكتاب فقط بل يجب على كل إنسان أن يندمج مع قضايا عصره ويكافح كلما تطلب الوضع ذلك، أما الأدباء أمثال حنا مينة فقد تحقق لهم ذلك من خلال وسائل الرواية، من أدوات فنية وشخصيات؛ وعناصر الزمان والمكان؛ والسرد؛ الوصف والحوار، والواقعية التي ساعدت على فتح مجالات واسعة ساهمت في تحرر الكتاب وإقدامهم على تجارب إبداعية جريئة، تعري جوانب خفية من المشاكل الاجتماعية التي واجهتها مجتمعاتهم.

1- حنا مينة، الرواية والتجريد الذهني، المعرفة، سوريا، العدد 375، 1 ديسمبر 1994، ص 107.

2- حنا مينة، أدب الحرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دط، 1995، ص 7. 8.

في نظر حنا مينة والعديد من الكتاب العرب لم تعد الرواية مجرد تعبير عن طموحات فردية وهموم ذاتية فقط، بل "انفلتت من أسر هذه النظرة وانحازت إلى صف الأكثرية من الجماهير المسحوقة، فعانقت آمالهم في الحياة وكشفت هواجسهم وباحت بوجدانهم الجماعي ومعاناتهم المشتركة"¹ وهذا ما حاول حنا مينة تحقيقه بالاعتماد على أحداث واقعية مقتبسة من حياته وعصره، فقد نما وعيه بالمسائل الحساسة والجوهرية التي كانت تسود المجتمع، ما فرض عليه كمبدع تجاوز العديد من العوائق؛ إذ لا يمكن أن يتحقق هذا إلا حين يصبح الخصوصي عمومياً² وهذا قد يكون مشابهاً لما صرح به همنغواي حين شدد على ضرورة اهتمام المبدعين بالتعبير عن أحداث العصر وتغييراته وتطوراتها، حتى تجسد أعمالهم ما يمكن أن يرى فيها الإنسان نفسه وبيئته ومجتمعه.

أما معضلة القهر وغياب الحريات والكفاح المستمر للوصول إلى الأفضل؛ فواحدة في عموم البلدان العربية، لذلك اتحدت الثقافات بقوة تعبيرها المنبتقة من تجاربها المشتركة والمختلفة في آن واحد، لتجعل من روح الكفاح قيماً إنسانية، فبعد أن امتازت بالليظة المستمرة لحركة العدو الاستعماري القديم، أصبحت الآلة الحاسمة الكبرى لتصفية بقاياها وآثاره³، وقد بذل كل هذا الجهد لتخليص البشرية من آفة الاستعمار، فالكفاح الذي كان يخوضه أي بلد عربي له امتداد في باقي مناطق العالم، باعتباره عنصراً مهماً في المقاومة التي خاضتها الشعوب ضد التسلط والاستعباد.

1- خالد الغريبي، التناقض والوحدة في رواية المستنقع لحنا مينة، وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 7. 8.

2- ينظر: بوسلهام القط، إشكالية مفهوم الحرب من خلال بعض الأعمال الأدبية العربية، مجلة كتابات، المغرب، العدد 15، شتاء 2009، ص 10.

3- ينظر: مصطفى الأشرف، الكفاح السياسي والثقافة، ص 376.

وقد تعرض حنا مينة للقمع بسبب تبني مواقف معارضة للحكم الاستعماري والوطني، وبذلك أصبح مؤرخاً لكثير من أحداث الأمة وقضاياها، فجاءت محاولاته لمعالجة الأوضاع الاجتماعية المحيطة به والتعبير بكل جوارحه عن الواقع المتردي للإنسان العربي المقهور؛ إذ لا تخلو تجاربه في الحياة من أذى السلطة، حيث ضرب من قبل رقيب في الدرك الفرنسي بسبب مقال نشره ضد ظلم الانتداب الفرنسي، ومطاردات الجيش الفرنسي الجائرة وسجنهم للعديد من السوريين، وبهذا الخصوص يوضح أنه في العهد الوطني ما بين أعوام 47 - 48 - 1949، لوحق وسجن وعذب عقاباً على كتاباته الصحفية ضد الإقطاع... كما قضى قرابة عشر سنوات مشرداً بين أوروبا والصين...¹ فمعاناة الكاتب وتجاربه المؤلمة دائماً ما انعكست في ثانيا أعماله، وجسدت كفاحه شخصياته التي تطمح للأفضل في حياة تملؤها الآلام والمعاناة.

إن سلطة الكتابة كما جاء في قول حنا مينة؛ دائمة التعارض مع سلطة الحكم، فالسلطة تريد إبقاء ما هو قائم من ظلم وبشاعة، والكتابة تسعى إلى إزالة الظلم والتخلص من آثاره، وبالنسبة له "فدور الكتابة... هو الاستئناف... والسلطة الحاكمة تتأذى من هذا التمرد... فتلجأ إلى تقييد الحريات، وأولها حرية الكتابة، مصدر التحريض ضد الكائن الفاسد، نشداناً للتغيير وتسريعاً به، كي يحل ما ينبغي أن يكون محله، وهو الأفضل..."² هذه الرؤية التي تبناها أمدته بالقوة للغوص في جذور المشكلات التي يعرضها، والكشف عن أسباب الفوضى والقمهر والارتباك التي كانت تسود المجتمع، وحسب رؤية العديد من الكتاب أمثاله كانت تلك الرؤية طريقاً للتقدم

1- ينظر: حنا مينة، الكتابة والاستئناف ضد ما هو قائم، مجلة فصول، مصر، العدد 3، 1 يوليو 1992، ص104.

2- المرجع نفسه، ص 103.

نحو عالم أفضل طالما حلموا به، وتحمل في طياتها صراع الإنسان وتناقضات الواقع¹، وقد يكون هذا ما جعل رؤية حنا مينة أكثر عمقا وشمولية وتماسكا، حيث ساعده ذلك على تشريح المواضيع التي أراد معالجتها، ليتضح لنا أن بذل أي مبدع لمثل هذا الجهد، كان ولا يزال من أجل أن ينجلي اليأس وتتحول الهزيمة في نفوس المناضلين إلى كفاح في سبيل العدالة الاجتماعية والإنسانية.

مع نهاية الحرب العالمية الثانية وبعدها؛ زادت أوضاع المجتمع العربي سوءاً واشتدت مصائبه ومتاعب الشعب، بسبب الاستعمار ومن تحالف معه من أبناء الوطن، فعلى سبيل المثال "هزيمة عام 1967م" التي حلت بالجيش العربية في فلسطين، فحنا مينة في مقالته 'أيام تشرينية' يجسد حماسه لما جاء بعدها، خلال حرب تشرين (أكتوبر 1973) التي اتحد العرب تحت جناحها، وتظهر روحه المفعمة بالإحساس والثورة والكفاح في طيات هذا المقال، ويقول في أولى أيام الحرب بعد أن تحقق أمله المنتظر "ليس فرعا بالآمال إلى التكذيب، بل نزوعا بها إلى التوكيد، بعد انتظار حسبناه محالاً... وكان ذلك شعورا صادقا... وكنا نمضغ مرارته منذ حزيران ولا نسأل الحلاوة في تشرين"²، وهذا جزء بسيط من المعاناة الفكرية والنفسية التي لحقت به تلك الفترة.

يعتبر تأثير حدث كبير مثل تلك الهزيمة على جنس الرواية ذا دلالة، كما ازدهرت في تلك الفترة الأقصوصة وبدأت تزاحم الرواية في التعبير عن الأزمة، فقد مثلت سنة 1967 عصراً جديداً انطلقت فيه الرواية العربية بجرأة وإقدام لطرح

1- ينظر: شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، مجلة فصول، العدد 3-4، 1 يوليو 1989، ص 142.

2- حنا مينة، أيام تشرينية، المعرفة، سوريا، العدد 152، 1 أكتوبر 1974، ص 150.

المواضيع الحساسة والموجعة، التي كانت تتطلب الفحص لمعالجتها¹، وقد يكون هذا أحد الأسباب التي دفعت الروائي حنا مينة إلى الاهتمام بتفاصيل الأحداث والعلاقات الاجتماعية؛ برؤيته الاشتراكية التي قدم من خلالها تجربة خصبة، تجسد الصراع الطبقي الذي يظهر في أعماق رواياته ففي الحقبة التي شملت الهزيمة وما بعدها، لاحظ النقاد أن العديد من الأعمال الأدبية صدرت عن رؤية اشتراكية بعد الهزيمة، أما الفترة التي سبقتها فقد صدرت روايات حنا مينة 'المصابيح الزرق' و'الشراع والعاصفة' فقط².

كما تميز الكاتب عن غيره حين استمد تلك الرؤية من المعاناة الفعلية الواقعية فالكتابة كانت في نظره ترتبط بالحرية ارتباطاً عضوياً، وبفضلها تصدر أعمال مميزة في أشد الأوقات ظلاماً وقمعاً لحقوق الكتابة وبالنسبة له "عندما لا تكون حرية لا تكون كتابة، لكن الكتابة في جميع العصور، وفي أشدها قمعاً، تجد حريتها المنشودة بأشكال كثيرة"³ ومع زيادة اهتمامه بتصوير الواقع والإنسان المقهور، تحول هذا الموضوع إلى غرض رئيسي في أعماله، حيث أصبح حنا مينة من أهم كتاب الجيل المعاصر للرواية العربية؛ إذ تربى وتعلم في عصر الاستعمار وشهد بداية عصر الثورات والانقلابات المطالبة بالحرية، وشهد انهيار الحلم القومي وتفكك الوحدة الاجتماعية وتمزق صفوف المثقفين في عصر الشعارات والثقافة المزيفة، والقيادات والدعاية الكاذبة⁴، وهكذا تشكلت عملية الإبداع عنده في ظل واقع اجتماعي مليء بالمشاكل والمآسي والانهيارات.

1- ينظر: علي منصور، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد العيد تاروتة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007 / 2008، ص3.

2- ينظر: شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، ص 143.

3- حنا مينة، الكتابة والاستئناف ضد ما هو قائم، ص103.

4- ينظر: طه عمران وادي، الرواية السياسية، لونغمان، القاهرة، دط، 2002، ص84.

قد يوضح ما تطرقنا إليه تأكيد أحد الباحثين في تلك الفترة أن كتاب ذلك الزمن العسير أصبحوا يعيشون واقعا ينعدم فيه أمل الوحدة القومية والاستقلال والعدالة الاجتماعية، فسعى معظمهم إلى كشف مواطن السقوط ومراكز العنف التي سادت مجتمعاتهم ودمرت واقعهم¹، ويتضح لنا هنا أن روايات حنا مينة أنتجت في واقع ساعده على استلهاهم صور الإنسان البسيط في الحارة والزقاق؛ في الحقل والمصنع بهدف الدعوة إلى تحرير الإنسان والأرض والمساواة بين البشر، ورغم كل ما عاناه الكاتب إلا أنه لم يجد حلاً آخر سوى التعايش مع كل ظروفه وأوضاع وطنه، لدعم كفاح مجتمعه في سبيل غد أفضل له ولشعبه وبهذا الصدد يؤكد دائماً أن مصدر تجربته الروائية هو ما عاشه من قسوة وألم ممزوج بالفرح على حد تعبيره، ودائم الاقتران بالكفاح لقناعته أن لكل كفاح جانب مفرح، لذلك يقول 'أنا كاتب الكفاح والفرح الإنسانيين' نسبة إلى نوع من الانتصار لأنه موقن في أعماقه أن لدى الإنسان مادة للاحتجاج والتقاؤل².

من جهة أخرى؛ مادام الصراع موجودا ستبقى جدلية الخير والشر والهزيمة والنصر قائمة، لذلك لا تمتاز شخصيات حنا مينة بالإيجابية أو السلبية المطلقة التي تدفع للتقاؤل أو التشاؤم، بل تمثل شرائح شعبية يتجلى وجودها باتحاد قوى الشجاعة والكفاح في مواجهة الحياة اليومية العامة والخاصة فبالنسبة للكفاح نجده يمثل قانون البر والبحر في رواية "الشرع والعاصفة"، بسلبياته وإيجابياته بما يحمل من وجع وراحة لهذا حرص على بناء أحداث رواياته من عناصر البحر والغابة المجهولة، والمعارك الحربية التي دفعت الإنسان نحو الموت والهزيمة...³ فالكاتب بطبيعته يراعي التكوين

1- ينظر: طه عمران وادي، الرواية السياسية، ص 84.

2- ينظر: حنا مينة، السيرورة والحقيقة، مجلة مواقف، لبنان، العدد 69، 1 نوفمبر 1992، ص 75.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 75.

الخاص للأحداث التي يستلهم منها قصصه؛ وفق مراحل نمو شخصياته الأدبية، وهنا يتجلى أماننا عالمه الروائي بصور وشخصيات واقعية نقترّب إلى الإحساس بألمها ومعاناتها وحزنها وسعادتها، ليظهر لنا في الأخير كفاحها وقوتها التي تبث في النفس روحاً متجددة تطمح للأفضل.

يمكن القول إن الحديث عن الكفاح عند حنا مينة لا نهاية له، وما سبق ذكره كان مجرد أمثلة بسيطة عن تفاعل روحه المتفائلة المكافحة مع شخصيات أعماله الإبداعية، التي دائماً ما تتم عن المثابرة والصراع للوصول إلى الأفضل، في زمن الأزمات والانكسارات التي عاشها الكاتب بكل مشاعره وأحاسيسه، كما ركز على تجسيد ملامح الكفاح وتصوير الواقع الإنساني الأليم الذي واجهه كإنسان شغوف بالحرية والحياة.

ارتبط الإبداع بكفاح الإنسان الدائم ضد ما يضره في الحياة ويسيء لوضعه الذاتي والاجتماعي، حتى يصبح إنساناً مكافحاً عازماً على الصمود أمام المصاعب، هذا ما نلاحظه في أعمال حنا مينة التي أصبحت تحمل في طياتها دعوة إلى حرية الإنسان وكرامته؛ تحرير الأرض والمساواة بين أبناء البشر، وما يثبت ذلك هي تلك النصوص المختلفة التي تبرز عدة جوانب من الكفاح؛ تتشارك مع باقي الأعمال التي برزت في الوطن العربي.

ترتكز أحيانا دوافع الروائيين الرئيسية للكتابة على استكشاف انطباعاتهم الشخصية عن الواقع، وهذا ما نجده عند ارنست همنغواي وحنا مينة في إصرارهما الدائم للتعبير عن قدرات الإنسان الجبارة في المقاومة والكفاح، وقد لا تخلو أعمالهما من صور الكفاح والصراع لتحقيق الذات والوجود داخل مجتمع تملؤه الانكسارات، ولا تخلو كذلك من فكرة الصراع بين الإنسان والكون سواء ضد الوجود الطبيعي أو النسيج

البشري، والدعوة إلى السلم ونبذ الحروب ونشر التفاهم والتسامح بين بني البشر، ونبذ أنواع التعصب كلها: الجنسي والعنصري والديني والحزبي... كما يمكننا القول إن أعمالهما كانت مؤثرة بالقدر الذي تحمله من الصدق في التعبير عن الإنسان، وبمقدار ما كان إبداعهما عميقاً ومبهراً في رسم أبعاد الشعور الإنساني بالمعنى الواسع له، ليكون بذلك قادراً على تحريك روح الكفاح.

في الأخير يمكننا القول إن العلاقة التي تربط الفرد بالكفاح أسهمت في تطوير نظرة الإنسان إلى نفسه وما حوله، ليستمد حياته من القدرات الذاتية التي تساعد في التكيف مع التغيرات الاجتماعية والسياسية والظروف الاقتصادية الصعبة التي تتقل كاهله، وهنا يأتي الكفاح تعزيزاً للتطور الإنساني وضماناً للنهوض؛ أخذاً بالاعتبار أن ارتفاع حياة الإنسان في شتى المجتمعات وعلى مدى عصور؛ رهن بتنوع الثقافات وتفاعلها، وتباين الآراء والمعتقدات، ورهن لنوع الكفاح (نفسى/ذاتى، اجتماعى، سياسى، ثقافى...).

الفصل الأول

"مرجعية الإبداع عند ارنست همنغواي وحنا مينة"

1- مرجعية الإبداع الذاتية.

أ- ارنست همنغواي.

ب- حنا مينة.

2- المرجعية الاجتماعية والسياسية.

أ- العوامل المؤثرة في ارنست همنغواي.

ب- سلطة المجتمع وأثرها في حنا مينة.

تمهيد:

يمتاز الكائن الإنساني بالقدرة على الإبداع وخلق عوالم مختلفة؛ تمتاز بالقوة في علاقاتها ولغاتها ورموزها وأدواتها، وهذه القوة الإبداعية جاءت عبر تراكم معرفي وحضاري وثقافي سعى إلى تقوية الدور الاجتماعي للإنسان، فقد فرضت تحولات العصر نفسها على مختلف مراحل الحياة تغيرت معها خارطة العلاقات بالأشياء والكائنات؛ بالمجتمع والسلطة، بالزمان والمكان، بالمعرفة والثقافة، بالذاكرة والهوية... وهكذا وجد الإنسان نفسه بين عدة عوالم مميزة لكل منها هويته ومركز استقطابه.

اكتسب الإنسان القدرة الإبداعية بفضل مرجعيات هامة ترتكز على خبراته ومراحل الحياة وتقلباتها، فوفرة المخزون الإبداعي راجع لمرونة التفكير والانفتاح على كل ما هو متاح ومشترك بين البشر رغم اختلاف الخلفيات والخصوصيات لكل فرد منهم، فالتشكل الفكري والإبداعي عند الفرد قد لا يحدث بصورة مستقلة عما يحيط به؛ إذ ينطلق من المحيط الاجتماعي بتحولاته وظروفه ليصل إلى الذات، حتى يستند الإبداع تدريجياً على أهم اللحظات التي تؤثر في المبدع، فتصبح القضايا الفكرية والفنية مرتبطة بالقضايا الواقعية، مثلما تصبح الحياة مجالاً للتأمل والتفكير ومنبعاً للفن وإذا كان للمعاناة والمعرفة أهمية لدى المبدعين ارنست همنغواي وحنا مينة؛ فسنجد كلا منهما يصف كم عانى وتعذب في حياته؛ وكم فرح حين نال ثمار جهده وكفاحه، وهكذا يتداخل عندهما ما هو شخصي بما هو عام؛ وما هو حياتي بما هو فني.

يبقى السؤال الذي يفرض نفسه في هذا البحث هو كيف يمكن للمرجعية الذاتية والاجتماعية/ السياسية أن تدعم وتؤثر في إبداع كل من همنغواي وحنا مينة؟ وهل يرتبط الإبداع بالعوامل الذاتية أم بالعوامل الموضوعية أم ينتج عن تداخلهما معاً؟ وهل نعتبر الإبداع ظاهرة فردية أم ظاهرة اجتماعية أم كلاهما معاً؟ وهذا ما سنحاول الإجابة

عليه من خلال بحثنا؛ بهدف تحديد أهم المحطات الحياتية والمرجعيات التي ساهمت في بناء فكر هذين الأدبيين المبدعين.

1- مرجعية الإبداع الذاتية:

الإبداع مرتبط قبل كل شيء بما يحققه الأديب لذاته، فأقوى محرك لتقوية قريحته الإبداعية يبدأ من قدرته على تغذية ذهنه بمحفزات فكرية ذاتية نابعة من تجاربه، أساسها مدى فهم الروائي لنفسه؛ وكيفية تشكيل الحقائق والأفعال والأخلاقيات الإنسانية، بالاستناد إلى المسؤوليات الفردية¹، حيث تتطلب الأعمال المميزة البحث فيما وراء المظاهر العادية والتجارب اليومية؛ والتعمق إلى جذور القصص والتجارب والأحداث التي تعطي لأي عمل إبداعي أهميته.

من جهة أخرى؛ رغم فردانية بناء الذات إلا أنها قد تعتمد اعتماداً كبيراً على الآخرين، لأن الإنسان يرى نفسه من خلال وجهة نظر الآخرين، مع الأخذ بعين الاعتبار قدرته على مقاومة الآراء السلبية منها؛ بعد اكتساب الثقة اللازمة وترسخ الإحساس الداخلي فالتجربة الذاتية والشخصية القوية تكتسب بالممارسة والاشتغال على معطيات الوجود الإنساني، خاصة عند الوقوع في مأزق والخروج منه بإقامة علاقة بين الفكر والذات²، وعلى هذا النحو تتاح للمبدعين فرصة المساهمة في تغيير الواقع بواسطة الأدوات الفكرية الخاصة بكل واحد منهم، ليحقق ذلك العلاقة المتينة بين حياة الإنسان والإبداع الذي يعكس ملامحها وصراعاتها وتناقضاتها.

1- ينظر: جيسي مانتز، تطور الرواية الحديثة، ت: لطيفة الدليمي، دار المدى، بغداد، ط1، 2016، ص257.

2- ينظر: علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص23.

أ- ارنست همنغواي:

من البديهي القول إن كل إنسان يعايش واقعا خاصاً وظروفاً متنوعة وغريبة؛ إذ يستطيع التأمل وتكريس وقت طويل لكل دقيق من الأمور أن يثير قريحته ويزيد من قوة إبداعه، وقد عرف ارنست همنغواي Ernest Hemingway نفسه هذا الأمر حين تأكد من أنه "حصل على الشعور بالهدوء والصفاء الداخلي ذاته جراء مراقبته فلينة صنارة صيد وهي تهتز في الماء، أو أثناء جلوسه جلسة هادئة في إحدى الأجسام منتظراً حيواناً مفترساً يمر به..."¹

حرص على الأخذ من تأملاته وأفكاره لبناء قصص حولها، من مثل 'وداعا للسلح' التي بنيت على تجاربه الخاصة في الحرب، ورواية 'لمن تفرع الأجراس' التي سجل فيها شغفه بمصارعة الثيران وصور الصراع بين العواطف الإنسانية والحب والخيال وبين الفقر وأهوال الحرب وويلاتها، كما وصف حرف الصيد وأنواع الأسماك في 'الشيخ والبحر' لنكتشف مدى خبرته في عالم البحر، فحين نتحدث عن أفكار الكاتب فإننا نقصد محاولته تلخيص رؤيته للوجود أو على الأقل نظريته للحياة، كما أن شخصياته تظهر قدرة على التعامل مع المواقف والأحداث، لأنها ذات خصائص إنسانية بسيطة وواقعية.

استطاع همنغواي أن يحرز شعبية وسمعة عالمية، سواء على نطاق حياته الشخصية أم أعماله الأدبية، فبالإضافة إلى الأعمال الروائية والقصصية التي تركها وراءه بعد وفاته سنة 1961، فإن حياته تشكل جانباً مستقلاً قد يعادل أهمية أدبه، إذ تأثر كاتبنا في صغره بوالده الذي امتهن الطب وهوى الصيد والرياضة، وتأثر سلباً بوالدته رغم أنها عرّفته على فنون الموسيقى والرسم والمسرح، كما ساهمت المدرسة في

1- كولن ولسون، فن الرواية، ص160.

نحت مساره ورغباته الحياتية والمهنية¹ ويبقى المحفز الذاتي بالإضافة إلى تجارب المراحل الأولى من حياة الكاتب؛ مصدراً أصيلاً يمدّه بمواضيع هامة ومميزة لأعماله الفنية.

يتطلب السرد الروائي مرجعيات متعددة تقوم عليها بنية النص، منها مؤثرات خارجية ومخزون معرفي ومحصلات تجارب وأبحاث؛ ورؤى متباينة للعالم والزمان والمكان والأشخاص وكما قلنا سابقاً حين شب همنغواي عن الطوق تبع خطى والده في الصيد، أما والدته فأجبرته على عزف التشيللو، وهذا ما جعله يمقت تصرفاتها وتسلطها؛ إذ تحدث عنها حين أصبح راشداً بسخرية واحتقار ما أثار دهشة الكثيرين، ويبدو أنه لم يغفر لها إلا بعد وفاتها²، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه كره أمه حسب رأينا، فأول علاقة ينشئها الإنسان مع عالمه تكون عبر أمه، وهي المؤثر الأول الذي يتعرض له وتبقى آثارها ظاهرة مدى حياته سواء كانت سلباً أم إيجاباً.

يظهر هنا أن تسلط والدة همنغواي قد ترك آثاراً سلبية عليه لأنها لم تسمح له بالحرية التي احتاجها، عكس والده الذي جعله يغرم بالصيد والمغامرات، فشخصيته الطموحة والشغوفة تدل على أنه كان منذ الصبا يبحث في شتى المواقع لاكتشاف قدراته الذاتية، خاصة في مجال الصيد الذي قرر أن يحترفه ويتبع خطى والده الذي كانت تربطه به صداقة قوية³ فمغامرات الصيد بصفة عامة وفي أفريقيا خاصة قد

1- ينظر: نبيل شريف آخرون، روائع الأدب الأمريكي، ص 661.

2- ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ت: هاشم حمدي، الثقافة العالمية، الكويت، العدد 99،

1 مارس 2000، ص 163.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص 163.

انعكست في عدد من قصصه القصيرة وخاصة ثلوج كليمنجارو " the snows in *Kilimanjao¹ وغيرها من الأعمال المميزة.

لكن هذه العلاقة الجيدة بين الأب وابنه لم تدم طويلاً حسب ما جاء في مذكرات أخيه الكبرى مارسيلينا همنغواي سانفورد وشقيقه الأصغر ليستر*، ولأنه تصرف عكس رغبة والديه قررا طرده في سن الواحدة والعشرين، تذكر شقيقته أنه حينما أرسل إلى والديه مجموعته القصصية الأولى من باريس، حدثت في البيت فضيحة حقيقية ما إن اطلعوا عليها، وبعد ذلك كتب له والده رسالة ذكر فيها أنه لا يرغب في رؤيته أو قراءة أي عمل من أعماله التافهة حسب رأيه²، فقد خاب أمله في ابنه الذي كان واقعياً جداً في تصوير أحداث قصصه وشخصياته، حيث اعتبر أن بعض المواضيع التي ذكرها لا يجوز مناقشتها علناً؛ وتسببت لهم بالحرج بما أنهم عائلة متدينة ومحافظّة.

ومنذ ذلك الحين؛ لم يعد هناك اتصال بينه وبين والديه وأبعدهم عن صورة نجاحاته الأدبية، حيث أصبح يسافر كثيراً من أمريكا إلى باريس، ومن بامبلونة لحضور مصارعة الثيران؛ إلى السفاري الأفريقية... ومع مرور الوقت تحسنت كتاباته

*- التي يحكي فيها قصة كاتب مغامر في رحلته إلى جبال كليمنجارو بأفريقيا؛ وكيف تسببت له إصابته بالهذيان والموت في الأخير، حيث يصف الكاتب من خلال معاناة البطل وهذيانه الطبيعية وأنواع الطيور وغيرها من الكائنات المميزة والعديد من الأماكن التي زارها، حيث استمتع البطل بلعبة الصيد مثلما كان يفعل الكاتب نفسه.

1- Ernest Hemingway, The First Forty-nine Stories, Jonathan Cape, London, second impression, March 1946, p58.

* (Marcelline Hemingway Sanford – Leicester Clarence Hemingway)

2- ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص164.

*- سبب ذلك أن همنغواي قد عمد إلى التطرق لموضوع محل بتعاليم عائلته المحافظة، فما زاد ثورة الأب أن البطل الرئيسي في قصص ولده كان مصاباً بمرض تناسلي، وهكذا فقد كتب لأرنست: كنت أعتقد أنني بكل تربيتي، قد أوحيت لك أن الناس المهذبين لا يناقشون أمراضهم الزهرية إلا في عيادة الطبيب، ويبدو أنني كنت على ضلال وأي ضلال... (ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص164).

وأصبح مشهوراً، وكأنه عاش هكذا ليبرهن لأبيه أن حياة أوك بارك* تحت رقابة الزوجة ليست ملاذاً حقيقياً للرجال¹، وكأنه بإنجازاته وحياة الشجاعة والمغامرة الحرة، قد برهن لنفسه ولوالديه قبل كل شيء أن ابنهما الذي رفضا إبداعاته التي أغرم بها العالم، قد نجح في إنجاز شيء لنفسه وصنع له مكانة عالية بين صفوف المبدعين العالميين.

رغم ذلك، كان همنغواي يكن الاحترام لوالده ويرى أن أمه متسلطة مثلما ذكرنا سابقاً، ويظهر هذا مثلاً في روايته " الشمس تشرق أيضاً* (Fiesta) The Sun Also Rises²؛ حيث صور فيها زوجة روبرت كوهن Robert Cohn كسبب للتعاسة وخيبة الأمل في حياته، فهي أديبة طموحة وأنانية حرصته على الرحيل معها إلى أوروبا ليتفرغ للكتابة، وحين استقرا في باريس سيطرت على أفكاره سيدة اسمها "فرانيسيس"؛ التي يصفها الكاتب فيما بعد بأنها تحولت من التسلط العادي إلى ضرب من الاستغلال، وكأن المرأة بالنسبة إلى همنغواي مجرد محطات يتنقل خلالها الإنسان خاصة إذا ساد العلاقة التسلط والاستغلال اللذان ركز عليهما الكاتب؛ بسبب ما ترسب

*- أوك بارك Oak Park بولاية إلينوي في ضواحي شيكاغو التي كان يقطنها كلارينس إدموندز همنغواي Clarence Edmonds وزوجته غريس هال Grace Hall وأبناؤه الستة "إرنست، ليستر، مارسيلين، سانفورد، أورسولا، كارول"، وفيها تلقى همنغواي الابن تعليمه المدرسي واستقى بعض أحداثه الواقعية من حياته فيها، وحتى حين رحل منها استمر بالكتابة عن مسقط رأسه من وجهة نظره الخاصة، حيث لامست كتاباته ما كان

مشاركاً في حياة أهل منطقته. (A Group of writers, Hemingway 's Oak park

roots, The Ernest Hemingway foundation of oak park, H-E Birthplace Museum, Oak Park avenue, 2018, hemingwaybirthplace.com)

1- ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص165.

**- هي أولى روايات همنغواي ظهرت عام 1926، تحدث فيها عن جيله الضائع في أوروبا، وتصف بشكل أو بآخر حياة مغتربين أمريكيين في باريس ومغامراتهم وانغماسهم في اللهو والشرب والسهرات، جاءت على لسان صحفي أمريكي في باريس، وقدمت صورة حقيقية لحياة الجيل الضائع وللشعور السائد بعد الحرب العالمية الأولى وما تركته من جراح جسدية ونفسية.

2- Ernest Hemingway, (Fiesta) The Sun also rises, A Traid panther books, Granada, London, 1976, p 8-9.

من أثر تركه تسلط والدته، وغيرها من الأمثلة التي قد تصب في معنى واحد هو تضايقه من أمه، حيث نتج عن هذا "الشّد والجذب للصبي بين عالم والده ووالدته أن أصبح شاباً منغمساً في التفكير وشديد الحساسية... قال... إن أفضل مدرسة للكاتب هي طفولة شقية..."¹

أما بالنسبة لعلاقته بوالده فقد تخللتها مواقف إيجابية تظهر في رواية "لن تقرر الأجراس" * For whom the Bell Tolls²، وقصة "آباء وأبناء Fathers and sons"³، التي صور فيها العلاقة الطيبة بين الأب وابنه المليئة بالنصح والإرشاد، فوالد همنغواي تعلم منذ صباه الصيد وأحب العيش في البرية، وهذا ما ورثه عنه ابنه من خصال تجلت بوضوح في أعماله الأدبية، لكن خيبته الكبرى كانت حين انتحر والده من شدة المرض، فقال في إحدى جلساته: "من المحتمل أنه جُبِن... كان مريضاً... مثقلاً بالديون... ومن جديد شعر بالخوف من والدتي.. فقد كانت هذه المتسلطة بحاجة دائمة لإعطاء الأوامر للجميع، وأن تفعل كل شيء على هواها"⁴.

ظل يحاول إثبات خطأ والده الذي شكلت وفاته صدمة رافقته طوال حياته، حيث كتب بعد مرور عشرين سنة على ذلك: "كان يخيل إلي أن والدي استعجل، لكن من

1- ينظر: إرنست همنغواي، الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ت: ماهر البطوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2011، ص7.

* وهي قصة أكاديمي أمريكي، يعمل مع مجموعة من الفلاحين الإسبان ويضحي بنفسه من أجل ثورتهم، وكانت مادتها تغطية همنغواي كمراسل حربي للحرب الأهلية الإسبانية، "فيها صراع للعواطف الإنسانية، والحب، والخيال، والفقر، والغنى.. والحروب والنزاع، يرسم خطوط النضال بين الفاشية والشيوعية، وبين الديكتاتورية والجمهورية." (ينظر: إرنست همنغواي، لمن تقرر الأجراس؟، ت: خيري حماد، مكتبة الحياة، لبنان - بيروت، 1990، ص5).

2- Ernest Hemingway, For Whom the Bell Tolls, Panther Books, Granada, London, 1976.

3 - Ernest Hemingway, The First Forty-nine Stories, p460.

4- ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص 167.

المحتمل أنه لم يعد يستطيع التحمل، كنت أحب والدي... لذا لا أريد إطلاق أية أحكام¹ هكذا أصبح يرى أن الحياة قاسية أو لا جدوى منها تجر الإنسان تدريجياً نحو نهايته، وقسوة الحياة في عالمه تأتي نتيجة لأن الموت في رأيه بغير قانون، إذ يقول: "تنتهي حياة كل إنسان بنفس الطريقة، ولا يميز إنساناً عن آخر إلا التفاصيل التي تحكي كيف عاش وكيف مات"² وإذا ركزنا في بعض أعماله نلاحظ أن الإنسان يموت دون مقدمات وبغير سبب، إذ يأتي الموت فجأة ليمحو كل شيء كافح من أجل تحقيقه، ومن أمثلة ذلك روايته "أن تملك وألا تملك To Have and to Have not"³ التي تتمثل فيها حياة العنف والتصرفات الوحشية؛ التي يعيشها أفراد جذبتهم رغباتهم ونزواتهم إلى الحضيض، من بينهم "هاري مورغن Harry Morgan" رجل خارج عن القانون يعمل في التهريب؛ يمتاز بالصلابة ولا يقهر بسهولة رغم أنه كان يعيش في عالم مليء بالعنف والفوضى المرعبة، وأعمق ما في الرواية من مغامرات هو مأساة بطلها "هاري"؛ الذي يحاصر ويترك وحيداً ليجابه الهزيمة والموت بسلاحه الوحيد وهو الشجاعة.

يتقدم الموت في عالمه الروائي زاحفاً ليخطف أحد الأبطال أو أحد المقربين منهم، فقد انتزع الموت الممرضة كاترين من حبيبها الملازم "هنري Henry" بطل رواية "وداعاً للسلاح" الذي يصف هذا الموقف بشكل لا يوضح حقيقة مشاعره حول موتها، فيقول: "ظللت إلى جانب كاترين وهي غائبة عن كل ما حولها، إلى أن لفظت أنفاسها، ولم تأخذ زمناً طويلاً حتى ماتت"⁴، سلبه الموت ما كان يكافح من أجل إنقاذه،

1- أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص 167.

2- إ.أ. هوتشنر، بابا همنغواي (مذكرات شخصية)، ص 8.

3- ينظر: إرنست همنغواي، أن تملك وألا تملك، ت: سمير عزت نصار، دار النسر، عمان/الأردن، ط2، 1996.

4- Ernest Hemingway, A Farewell to Arms, A Triad Panther book, Granada, london, 1977, p235.

فالإنسان حين يواجه العالم بكامل شجاعته قد ينقلب الوضع فجأة ويأتي الموت ليحطم عالمه الذي سعى طويلاً لبنائه.

معظم أبطال همنغواي تعمق إحساسهم وإرادتهم من خلال الكفاح الذي يتصل بحدود الموت، لأن الكاتب نفسه اختبر مخاطر الموت عدة مرات؛ حيث "تعرض لخمسة حوادث طرق وسبعة كوارث، وغالباً ما كانت تكتب له النجاة بمحض المصادفة"¹ لكن هذا كله حسب رأي بعض النقاد والباحثين قاد منتقديه ليزعموا أن خوفه من الموت هو ما قاده إلى رحلات حلبات مصارعة الثيران لمراقبة لحظة موت المصارع والثور، وأن ابتهاجه الصبياني المتعجرف بالحرب ليس سوى الوجه الآخر لهلع البَّابا*، واحتتمى بذريعة دراسة الموت عن قرب لاختبار جرأته (أو قتل جبن أبيه) كلما سنحت له الفرصة².

عاش همنغواي بمبدأ تأكيد الذات عبر الاقتراب من النهاية والفناء وسار عليه حتى النهاية لهذا نجد شخصياته يتقدمون نحو الموت بإصرار، لتحدي الضعف وتحقيق النصر أو الموت بشرف، فهو رجل تضطرم في داخله نيران حب الحياة والمخاطرات بعقريّة متفانية، وهذا وصف من أقرب أصدقائه "إ.إ. هوتشنر A.E. Hotchner" الذي يعتبره محارباً في كل جيش... وهو زوج ناجح لا يشكو من أي أمراض جسمانية خطيرة³، فأحداث حياته الغنية بالتجارب والمغامرات تركت أثراً بالغاً في أعماله، التي وصف فيها مراحل الصبا في صورة "نك آدمز" الذي يمثل بطل معظم قصصه، والانتقال إلى مرحلة الشباب والانخراط في الحرب حيث أنتجت هذه

1- أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص 167.

* كانت زوجته الأخيرة "ماري والش" هي التي تتاديه باسم "بَّابا"، وأصبح المقربون منه ينادونه به من أمثال "هوتشنر" الذي كتب مذكراته الشخصية وأطلق عليها عنوان "بَّابا همنغواي".

2- ينظر: أنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص 168.

3- إ.إ. هوتشنر، بابا همنغواي (مذكرات شخصية)، ص 7.

التجربة رائعته "وداعاً للسلاح"، وصولاً إلى مراحل متقدمة في العمر جاء على إثرها أحد أشهر أعماله "الشيخ والبحر" التي استعمل فيها خبرته في صيد سمك المزلين الضخم.

كان أدبه وكتابات مستمدة من حياته وتجاربه ومغامراته العديدة، فحين "التحق عام 1918، إثر دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى بالفريق الطبي وأصيب بجرح خطير وتبع ذلك جروح عديدة، كان لجروحه هذه تأثير كبير في تحوله نحو الكتابة الأدبية"¹ وكان هذا الجرح بمثابة صدمة أدخلها مباشرة في قصصه عن الحرب وأهوالها، ففي مجموعته القصصية "في زماننا"² التي تضم مجموعة من القصص أهمها "المخيم الهندي" و"الطبيب وزوجته"، "عاصفة لثلاثة أيام"، "الملاك"، "الثوري" وغيرها من القصص، تتألق هذه القصص بموهبته النادرة في تصوير مجموعة من الشخصيات المتنوعة التي تواجه الواقع الحتمي للموت، حيث نالت قصصه شهرة كبيرة بفضل روعة الأسلوب، والحوار... والتصوير الواقعي لمناظر الحياة³ فالتجربة الجيدة تأتي من لحظة الانتصار على الخطر والخوف، وكان همنغواي دائماً ما يحتاج إلى اختبار قدراته عدة مرات في حياته الخاصة لإثراء أعماله الفنية بتجاربه ومغامراته، وركز في معظم أعماله على المواقف الإنسانية الشجاعة، ووصف مصير الإنسان أثناء الحرب والسلام؛ لإدراكه أن الأزمات تساهم في تحقيق الذات وتحديد الأهداف المهمة التي يكافح الإنسان من أجلها.

في مجموعة "أصدقاء ارنست همنغواي" التي تأسست عام 1990 على يد ابنه باتريك همنغواي Patrick Hemingway وجاكلين كينيدي أونسييس Jacqueline

1- نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ص 661.

2 - Ernest Hemingway, The First Forty-nine Stories, p: 95-197.

3- ينظر: إرنست همنغواي، لمن تفرع الأجراس؟، ص 5.

Kennedy Onassis، حرصاً منهم على تقديم أعماله والحفاظ على إرثه، يرد قول له في مقدمة المجلة "أصعب ما يمكن فعله في العالم هو كتابة نثر واقعي صريح حول الإنسان، أولاً يجب أن تعرف الموضوع ثم يجب أن تعرف كيفية الكتابة، وكلاهما يأخذ عمر المرء لتعلمه"¹، فقد كان طموحاً وذكياً ودائماً ما يُعد قصصه من المكان الذي يريده ومن التجارب التي عاشها، إذ نلاحظ سيطرته الكبيرة على التجربة الإبداعية من خلال أعماله.

بدأ الكتابة حين كان في المدرسة الثانوية سنة 1917* وتعددت الأسباب والأحداث التي ساهمت في بناء تجربته الإبداعية، لذلك يرى همنغواي أن هناك من الأشياء ما لا يمكن تعلمه، ولابد من دفع الثمن عبر الزمن حتى لو استغرق العمر كله، فكل جديد يتعلمه هو تراثه الوحيد غالي الثمن²، فشغف الحياة قد يدفع الإنسان إلى أبعد مواطن الاستكشاف، حتى تنتشع الذات بالإلهام وينتج العقل أجود ما يمكن أن يأتي به من أعمال إبداعية.

هذه هي طريقته في إثراء أعماله الأدبية بتجارب ثمينة حقق بها أهدافه الذاتية المتعطشة للخطر والمغامرة؛ إذ اقترب من المخاطر وهو على يقين أن الحقيقة الكبرى لهذه الحياة هي الموت لهذا تقيد بنظام صارم لمواجهة الهزيمة التي يقف أبطاله أمامها

¹– Friends of the Ernest Hemingway collection, John Fitzgerald Kennedy presidential Library and Museum, Columbia point, Boston, Summer 2010, p1.

*- وبعد أن ترك المدرسة، قرر ألا يدخل الجامعة وشغل منصب مندوب في (كنساس ستي ستار)، وحين دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى في 1917، حاول التطوع في الجيش، لكنه رفض بسبب ضعف نظره، فتطوع للعمل كسائق سيارة إسعاف مع الصليب الأحمر وأُرسل إلى إيطاليا في أبريل 1918، وأصيب بقذيفة نمساوية في رجله استطاع حمل جندي جريح بالرغم من ذلك وعاد به تحت وابل من طلقات الرشاش ليصل إلى مركز القيادة قبل أن ينهار، فمنح ميدالية الحكومة الإيطالية. (ينظر: إرنست همنغواي، أن تملك وألا تملك To Have and Have not، ص3).

2- ينظر: أ.إ. هوتشنر، بابا همنغواي (مذكرات شخصية)، ص 6.

بشجاعة ليستخلصوا معنى الحياة، وتصبح حياتهم ذات معنى على اختلاف نظامهم ووسائلهم لخلق ذلك المعنى، سواءً كان البطل مصارعاً في حلبة الثيران، أو جندياً في الحرب، أو صياداً أو عاشقاً أو كاتباً...¹ فكل شخصياته سارت على نفس النظام الذي فرضه الكاتب على نفسه؛ لاكتشاف الحياة والتغلب على الخوف من الموت، حيث سار همنغواي حياته كاملة جنباً إلى جنب مع المخاطر والحوادث المميتة والمغامرات الخطيرة، في محاولة منه لاكتشاف ذاته وتحدي مخاوفه والاستمتاع بأكبر قدر ممكن من ملذات الحياة، ومن هنا جاء اهتمامه بمواضيعه المميزة فهو كاتب متذوق لما يحيط به من جمال.

حين تستند التجربة الإبداعية إلى معطيات الحياة الواسعة ومكوناتها وأحلام النفس بانتصاراتها وانهزاماتها، تتخطى مسألة الإبداع والإلهام وتصل إلى أعماق الابتكار الذاتي، وقد نلمس علاقة هذا بما ورد في قول همنغواي: " تعلمت ألا أفرغ بئر كتاباتي أبداً، لكن أن أتوقف دائماً حين يبقى شيء في أعماق ذلك البئر، وأتركه يمتلئ ليلاً من الينابيع التي تغذيه"²، إذ كان يستفيد من تجاربه بشكل عقلائي ومتقن دون الحاجة إلى استنزاف كل أفكاره في موضوع واحد.

من جانب آخر؛ نتفق مع قول أحد النقاد الذي يرى أن همنغواي كان يحمل أفكاراً دائرية، حيث يعيش الرجل بفعل الشجاعة لكن الشجاعة تخونه بفعل الموت، وذلك يعني أنه في حاجة إلى مزيد من الشجاعة التي يخونها الموت أيضاً وهكذا، وهنا يؤكد: "إننا عندما نقدم على عمل شيء في وقت من أوقات الأزمات يستجيب نشاطنا للنداء وننفذ الأمر تنفيذاً حسناً، وعندما نكون في وقت يخلو من الأزمات نميل إلى

1- نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ص 663.

2- Friends of the Ernest Hemingway collection, John F. Kennedy presidential Library and Museum, Summer 2010, p 3.

السأم... وننقذ سيئاً"¹، هذا دليل قاطع على دور الأزمات ولحظات الخطر في إثراء تجارب الكاتب، وذلك بالامتزاج مع ذكائه وقدراته العالية في إعادة خلق تلك اللحظات؛ بأسلوب بسيط يحمل في طياته الكثير من العمق.

كما يجب علينا قبل الاطلاع على أعمال همنغواي الحرص على قراءتها وترجمتها تحت ضوء نظريته الشهيرة "نظرية الجبل الجليدي"^{*}، ويحدد هذه النظرية في روايته "موت في الأصيل" بقوله: إذا كان كاتب النثر يعرف كفاية عما يكتب حوله، وإذا كان يكتب بصدق كاف يمكن أن يهمل الأشياء التي يعرفها، والقارئ بدوره سيُكون مشاعر قوية حول تلك الأشياء... وتعود كرامة ومنزلة حركة الجبل الجليدي إلى ذلك الجزء الظاهر فوق الماء، وسيمتلئ عمل الكاتب بالفراغات إذا أهمل بعض الأمور في عمله لأنه فقط لا يعرف"²، وهذا ما يمكن لمسه في رائعته "الشيخ والبحر"، فالقضية التي يصارع الشيخ من أجلها لا تظهر من التعبير البسيط الذي امتاز به السرد، بل تظهر في عمق المحتوى الذي يوضح صراع الإنسان في الحياة؛ وكفاحه المستمر لتحقيق ولو جزء بسيط من ذاته الطموحة للأفضل.

تعتبر الكتابة بالنسبة لهمنغواي ابتكاراً من المعلومات ذات المرجعيات الذاتية والحياتية وفي كل الأحوال، فالكاتب لا يعرف أي شخص أكثر من معرفته لنفسه؛ إذ يقول: "إذا كانت ابتكاراتك ناجحة تكون أكثر صدقاً مما إذا حاولت مشابهة الواقع، إن الكذبة الكبيرة مستحسنة عن الحقيقة، لذلك يصلح من يكتب القصص لأن يكون كذاباً

1 - كولن ولسون، فن الرواية، ص 159.

*- التي تعني أن ظاهر الشيء غير باطنه، بما أن ما يظهر من قمة الجبل الجليدي في عرض البحر مختلف عن العمق الذي يصل إليه تحت سطح البحر، فقد يظهر من قمته القليل لكن في الأعماق هناك جبل عميق وكبير، وهذا دلالة على عمق المعاني وضخامتها داخل أعمال همنغواي.

2- Argentina Velea, war symbolism in Hemingway's works, Facultatea de relatii Economice Internationale, Universitatea Crestina « Dimitrie Cantemir », p1.

كبيراً إذا لم يكن قد سلك طريق الكتابة"¹، فالصدق في التعبير هو مفتاح نجاح الكاتب في رصد التجربة الواقعية كما عرف عنه أنه لم يخش الفشل أو النقد، إذ يعترف أن المرء يفشل كل يوم إذا لم يكن عمله يسير سيراً حسناً، ففي مراحل الكتابة الأولى لم يصادفه الفشل وذلك لاعتقاده أنه شيء رائع يقضي من خلاله وقتاً ممتعاً، وهنا يقول: "كان ما يشغلني هو أن أكتب بأقصى ما أستطيع من جودة، وكنت أؤمن بما أكتبه، فإذا لم يعجبهم فهي مشكلتهم ولسوف يتعلمون أن يعجبوا به فيما بعد..."² ونلاحظ أن تفكيره هنا كان ذاتياً دون التفكير في القارئ، لكن ما إن يتعلم الأديب الكتابة للقارئ حتى تصبح الكتابة أصعب.

أما حين يتوقع المرء الفشل سيجد نفسه أمامه أو يصادفه على أي حال، لكن ما يميز همنغواي أن أهم مبادئه عدم التخلي عن إنهاء أعماله حتى لو انتابه اليأس، وهذا ما ورد في قوله: "ينتابني اليأس أحياناً ولكني لا أستطيع التخلي عن كتاب ما، فليس هناك من سبيل... باستطاعتك أن تجري ولكنك لا تستطيع أن تخبئ"³ لذلك كان عليه كأى كاتب، أن يدرك ما سيكون عليه الحال ويعد خطته لتعويض خسائره، لأن الإنسان يعرف أخطائه ومعدنه الحقيقي حين يشعر أن الحياة تتسحب من بين يديه، ويحاول تحقيق ذاته بالكفاح والصراع فالتجربة عند همنغواي تنطلق من الأزمات التي تدفع إلى التصرفات البطولية، ليتلاشى الزائف من الحياة بعد تصفية الذهن أمام أزمات الموت، ويبقى كل معتقد حقيقي جدير بالإيمان⁴ والتجربة العنيفة تفتح أمام الإنسان طرق الألم وسبل الحقيقة؛ لتتشعب الحياة الداخلية بالإلهام المشبع بالإحساس الفني، فينتج في الأخير أعمالاً إبداعية مميزة تنعكس داخلها أفكار الكاتب.

1 - إ.إ. هوتشنر، بابا همنغواي، ص 253.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 252.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص 253.

4 - ينظر: لطفي صديق أحمد، إرادة الكفاح بين همنغواي واكسبوري، ص 88.

لكن رغم هذا كله؛ يبقى السبب وراء انتحاره منافياً لمبدئه في الحياة، فقد واجه الموت مرات عديدة بفكرة مفادها "إذا لم تقبض على مخاوفك بيد من حديد فلن يجديك أي هجوم تقوم به"¹، حيث وهب حياته وقلمه لإضاءة مسار الحرية بكل ما أوتي من قوة حتى أضناه التعب فكيف لمن واجه الموت بكل شجاعة أن يقدم في لحظة ضعف على إنهاء حياته؛ لكن الأسوأ من ذلك أنه لم يعد قادراً على الكتابة، حيث لاحظ ذلك أحد أقرب أصدقائه، حين أصبح همنغواي لا يطيق خليط الكلام للتعبير به... لهذا تملكه الخوف حتى نتج عنه وهم التعقب، فبدأ يخاف عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي أو القادمين من المريخ أو من الإفلاس المالي... وقد شخصه الطبيب بمرض البارانويا والذنب في ذلك كله إنما يقع على الضغط...² وقد يكون تحديه لمخاطر الموت وكثرة الحوادث التي أصابته سبباً في هلوساته التي أدت في الأخير إلى انتحاره.

جاء قرار الموت الذي اتخذه في حق نفسه بشكل حاسم وحاول قتل نفسه عدة مرات*، وكان ناتجاً عن الضعف البدني والعقلي الذي آلت إليه حاله في سنواته الأخيرة، وظهر استسلامه لضعفه حين قال: "أفضل شيء في الحياة، فرص كسب المعارك، ولكن علام؟ بم يهتم الإنسان؟ الصحة، العمل الطيب، الأكل والشرب مع الأصدقاء... ليس عندي شيء من هذا... وحين أنهمك في وضع الخطط لقضاء الأوقات الجميلة والمغامرات... من سيبعد عني البوليس الفدرالي، وكيف أدفع ضرائبي

1- إ.إ. هوتشنر، بابا همنغواي، ص 252.

2- ينظر: أنا مشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ص 169.

*- لم يكن انتحاره ناجحاً من أول محاولة، فقد وجدته زوجته ماري ذات مرة يحشو بندقيته بطلقتين فقالت له بهدوء: "هذا غير لائق، لقد كنت طيلة حياتك إنساناً قوياً... وبعد ذلك استدعت الطبيب... ثم قررا إعادته إلى مستشفى الانهيارات العصبية... بدا أن همنغواي وافق على دخول المشفى، وقال إنه سيجمع بنفسه أغراضه... ثم توجه إلى غرفته حيث كانت بندقيته، ومن جديد أوقفوه وانتزعوا منه الطلقات، وأوضحوا له أن الرجال الحقيقيين لا يتصرفون على هذا النحو"، (ينظر: أنا مشكينا، الإرث القاتل، ص 170).

إذا لم أدر الجهاز الذي يعمل على دفعها؟¹، فهذا الأديب الذي مارس مهنته بشغف وشرف وقاتل إلى جانب المستضعفين، وأحب الحياة ومارس فيها كل هواياته ومختلف أنواع الرياضات، ورغم المحاولات المتكررة من أصدقائه وزوجته الأخيرة لمعالجته وحمانيته؛ إلا أنه وضع حداً لحياته وأطلق النار على نفسه في "الثاني من جويلية 1961"² عن عمر بلغ الثانية والستين، فصاحب مقولة "قد يهزم الإنسان ولكنه لا يتحطم" ما لبث أن استسلم لهلوساته وضعفه ومرضه.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن كل تجارب همنغواي وفرت له منذ صباه مرجعيات هامة للنمو كأديب مميز، ناقش خلال مشواره الفني العديد من الظواهر والمشاكل الإنسانية، واستطاع بفضل تجاربه الذاتية أن يترك بصمته الخاصة، كما تميز بأسلوب أدبي مؤثر وبسيط لا تعقيد فيه³، فالتواضع والبساطة في التعبير سر من اسرار أسلوبه الخاص والقريب من قلوب القراء.

نستخلص في الأخير أن همنغواي احتل منذ زمن بعيد مكانة راقية عند المهتمين بالتعبير عن الروح الإنسانية وما تخوضه أثناء كفاحها، حيث حرص في ذلك على عدم الإطالة في الحديث عن تلك المعاني العميقة لكفاح الإنسان، واكتفى بالإشارة إليها بأسلوبه الحاد الموجز المتصل مع تجاربه اتصالاً مباشراً، كما ركز في أدبه على قوة الإنسان وشجاعته في الصراع وتحدي العقبات، ونلاحظ أنه كان يرفض البقاء مكتوف اليدين أمام تطورات مشاكل الإنسان، فقد وهب نفسه لخدمة القضايا الإنسانية العادلة لهذا قرر إنهاء معاناته بنفسه بمجرد تدهور حاله وعجزه البدني والذهني عن الإبداع وخدمة الآخرين.

1 - أ.إ. هوتشنر، بابا همنغواي، ص 376.

2 - المرجع نفسه، ص 7.

3 - مريم عبد الباقي، ارنست همنغواي 1898-1961، البيان الكويتية، الكويت، العدد 25، 1 أبريل 1968، ص 44.

ب- حنا مينة:

بالانتقال إلى الحديث عن التجربة الإبداعية للكاتب السوري الكبير حنا مينة، لابد من تتبع رحلة كاتب الكفاح والفرح اعتماداً على جدلية الذات والموضوع التي تشكل جانباً أساسياً لفنه، يقول سعيد حورانية* في تقديمه لرواية (الشرع والعاصفة): "كان معلمنا، كانت حياته الأسطورة تلهمنا، لقد قرأ كثيراً ولكنه عاش أكثر، وكانت الحياة... "تنضح من جلده"... عاش المأساة أكثر مما عاشها أي أديب سوري كان أكثرنا فرحاً وانتصاراً وأملاً وكان يقول أبداً: يجب أن نفرح وإلا انهزم الإنسان فينا"¹ وهذا نفس مبدأ همنغواي في الحياة، فكل منهما يؤمن أن الإنسان قد يهزم لكنه لا يتحطم لهذا حرص حنا مينة على الفرح والكفاح لتحقيق الانتصار.

من جانب آخر يعتبر الكاتب نموذجاً للأديب العربي المتشبع بتجارب الحياة؛ التي تلقى منها أهم دروسه وخبراته الإنسانية والفكرية والإبداعية، كان يقول إن الماضي يلعب "دوراً مهماً... لكنني لست حامل تفكير ماضوي، فالحدث لا بد أن يعيش في الذات الإبداعية... ومن خارج وطأته في اللحظة المأزومة، التي كثيراً ما تجرف الكاتب في تيار حماسها"²، وهذا ما يثبت أنه يعتمد على ما يُخزنه من ذكريات كمرجع ذاتي هام؛ ينشئ على أساسه حياة كاملة وشخصيات واقعية، ترتبط بشكل أو بآخر بتجاربه الخاصة في الحياة.

يتم بناء الحدث الروائي بالنسبة إلى حنا مينة من اللحظة التي يختار فيها الكاتب عناصر القصة الأساسية، انطلاقاً من المرجعيات الذاتية التي تفرض عليه أن يستعيد ذكريات تجربته، ويفكر في البيئة التي نشأت فيها والدوافع التي أدت إليها،

*- يعتبر سعيد حورانية أحد أصدقاء حنا مينة المقربين، فهو الذي ساعده على نشر روايته "الشرع والعاصفة"،

(ينظر: محمد الباردي، حنا مينة روائي الكفاح والفرح، ص7).

1- حنا مينة، الشرع والعاصفة، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط9، 2006، ص6.

2- حنا مينة، السيرورة والحقيقة، ص77.

مثلاً فعل "همنغواي" بدمج تجاربه مع أحداث رواياته؛ بطريقة خاصة تبعد أعماله عن السيرة الذاتية، وهذا في جوهره يعود لغنى تجربتهما الذاتية وتركيزهما على المواضيع الإنسانية الممزوجة بالكفاح، مما يؤهل كل كاتب لإنتاج أعمال متشعبة بالمعرفة، كما يتأسس مفهوم الكتابة لدى حنا مينة باعتبارها مجالاً للإفصاح عن معاناة الذات¹، لذلك تعددت المواضيع الإنسانية في رواياته، حيث طرح من خلالها أسئلة كثيرة عن الحياة؛ الموت؛ الخير؛ الشر.

تتزين أعماله بثراء تجاربه الواقعية وغزارة انطباعاته الحسية عنها لهذا تتمثل إحدى أهم قناعاته الراسخة في أن الكتابة لا بد أن تحمل جزءاً من تجاربه وقراءاته، أو بمعنى آخر جزءاً من نفسه، وقد يستطيع تجاوزها ليطال عمق أحاسيسه وأفكاره بشكل يجعلها مختلفة عنه²، وهنا يأتي دور ذكاء الكاتب واحترافه في تحويل التجارب الواقعية إلى إبداعات منفصلة عنه ومتداخلة مع أحداث حياته.

بعبارة أخرى فالكاتب يعبر عما يعرفه وما يحمله في ذهنه من أفكار وتجارب ومعارف، فتتشكل مرجعيته الخاصة التي تجعل كتابته سهلة طبيعية مرتبطة بالواقع وقريبة من القارئ، ولعل هذا ما عبر عنه في إحدى شهاداته قائلاً: "لم أكن أفكر في الكتابة، إن الحياة العريضة التي عشتها بكل مرارتها وحلاوتها، قد عشتها لأنها حياتي، قبل أن أفكر بالكتابة... وبعد أن فكرت فيها صرت كاتباً"³؛ إذ يوضح هنا أن أحداث رواياته وقصصه تتناسب تلقائياً دون تخطيط منه، فهي منبعثة من حياته ومغامراته وكل المعاناة والأحزان والأفراح التي عاشها طوال مراحل حياته.

1- ينظر: مجموعة من الكتاب، حنا مينة كاتب البحر... بحر الكتابة، جائزة محمد زفزاف للرواية العربية، مؤسسة منتدى أصيلة، الدورة الرابعة، 2010، ص36.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص27.

3- حنا مينة، شهادة مذكورة، مجلة الطريق، عدد 3-4، 1981، ص12.

من أهم التجارب والقضايا الجسيمة التي كان لها أثر خاص في حياته الأدبية، تلك الأحداث العائلية التي تمثلت في التشرد والضياع والفقر؛ والتوقف عن الدراسة في المرحلة الابتدائية، والصحة العلية في الطفولة والشقاء أثناء تلك المرحلة؛ إذ يقول: "عنها كتبت ثلاث روايات حتى الآن هي: (بقايا صور، المستنقع، القطاف) وأعزم أن أوصل السلسلة، جاعلاً من سيرتي الذاتية سيرة روائية، من خلال عيني طفل يرصد حياة عائلته، ومراحلها التي تتطابق ومراحل حياته"¹ تأتي هذه الأحداث الشخصية في سياق الأحداث العائلية، والمنعطفات الخطرة التي اجتازها عبر محطات عمره، وهذا ما نجده عند ارنست همنغواي في أعماله القصصية الأولى، وتتمثل في رصد حياة بطله "نك آدمز" منذ الطفولة التي تشبه إلى حد ما حياة الكاتب.

عاش حنا مينة حياة أليمة لا تشبه حياة "همنغواي"، لكن كلا منهما استفاد من تجاربه الذاتية بطريقته الخاصة، فقد عاش وأسرته جل الأحداث التي ألمت بسوريا، على شاطئ اللاذقية المدينة السورية الخضراء أحب المدن إلى قلبه حسب قوله²، كل ما ألم بأسرته من فقر وتشرد ومعاناة أصاب قلبه الفتى وترك آثاره العميقة في نفسه، كما تكاد لا تخلو أعماله من أوصاف مدينة اللاذقية؛ التي كتب عنها كثيراً وتفنن في وصفها، ولد الكاتب سنة 1924م وتربى في عائلة فقيرة جداً، ظلت طوال سبع عشرة سنة متنقلة بين "لواء اسكندرون" و"اللاذقية" في حالة من البؤس والشقاء، بسبب سوء حظ الأب في العمل؛ وعاداته السيئة التي جعلت الابن يخجل منها ويكرهه، لكنه استطاع أن يؤثر في وحيدته بتلك القصص الشعبية التي كان يحفظها ويخترع بعضها³، وهو في هذا عكس همنغواي الذي أحب والده واحترمه كثيراً، فحنا مينة كان كأي طفل

1- حنا مينة، السيرورة والحقيقة، ص79.

2- ينظر: حنا مينة، القطاف، دار الآداب، بيروت، ط1، 1986، ص26. 27.

3- محمد الباردي، حنا مينة كاتب الكفاح والفرح، دار الآداب بيروت، ط1، 1993، ص15، 17.

في عمره يحتاج دعم الأب وحنانه وحضوره في حياته، لكنه لم يتلق ذلك بل تأثر سلماً بتصرفات والده وتراكمت في نفسه مشاعر الكره.

عاش تلك الفترة في مجتمع يحمل عقدة نقص التعلم* التي أصابته كذلك فحين قرأ في المدرسة الابتدائية من جريدة قديمة عبارة "حملة القلم"، انصرف ذهنه إلى شباب حيه ممن كانوا يحملون الأقلام للزينة، حيث يقول: "تحمزنت أيضاً، وأغرمت بحمل الأقلام، فاضطر والدي أن يشتري بضعة أقلام... دون أن نفطن إلى أنني ألبس فستاناً، ولا جيب سترة لي لأشكّلها فيها، الأمر الذي قهرني وأبكاني طويلاً، حتى اهتدت أُمي إلى مخرج، وهو أن أشكّلها بجيب فستاني"¹، فتكونت لديه بسبب هذه الحادثة عقدة مناقضة؛ وهي عدم حمل أي قلم فأبسط الأحداث قد يكون لها وقع كبير على الكاتب يمتد عبر مشواره الأدبي كله، وهذا ما فعلته ظروف الفقر التي حتمت عليه أن يرتدي فستان فتاة في صباه ما حطم روح الطفل في داخله، حيث سرعان ما لجأ إلى العمل لسد ثغرة الحاجة والفقر.

بما أن البيئة العائلية هي المؤثر الأول والأساسي في تجربة كل مبدع، ألف حنا مينة العديد من الأعمال الروائية والقصصية ذات الصلة الوثيقة بحياته، على سبيل المثال رواية "بقايا صور"²، التي تعتبر ترجمة لأحداث مهمة في حياته الخاصة؛ وسيرة ذاتية كتبها بطريقة روائية، يحكي فيها عن حياة عائلة والبيئة التي عاشت فيها،

*- إن عقدة النقص هذه تبدو عند شباب الحي الذي كان يقطنه حنا مينة، بأشكال مختلفة منها الحرص على تعلم الحزورات الحسابية، وإمساك جريدة قديمة في اليد خلال عطلة الأسبوع، أو وضع عدة أقلام في جيب السترة. (ينظر: حنا مينة، كيف حملت القلم، ص6).

1- ينظر: حنا مينة، كيف حملت القلم، دار الآداب، بيروت، ط1، 1986، ص6.

2 - ينظر: حنا مينة، بقايا صور، دار الآداب، بيروت-لبنان، ط8، 2008.

ويصف الكاتب فيها جزءاً من حياته بصراحة مثيرة مست هيبة العائلة وسمعتها*، أما رواية "المستقع"¹ فهي ترسم حياة المؤلف وتصور وسطه العائلي في مدينة إسكندرونة في حدود سنة 1939.

قبل أن ينخرط في الأعمال الشاقة وقبل أن يتعلم القراءة ويتقن الكتابة، حرصت أمه وهو في سن السابعة على تعليمه في المدرسة وسجلته في مدرسة أرثوذكسية، رغبة منها لتحقيق حلمها وتعليمه "فك الحرف" وهو الوحيد الذي تمكن من ذلك بفضلها، ووفق فيما بعد في امتحان الشهادة الابتدائية سنة 1936، وهي الشهادة* الوحيدة التي تحصل عليها واعتبرتها الأم أرقى شهادة سورية² لهذا كان حبه لوالدته كبيراً جداً حرص على التعبير عنه في معظم أعماله ولقاءاته، ودليل ذلك أنه بدأ "بقايا صور"³ بإهداء لأمه "مريانا ميخائيل زكور"، وفيها تأخذ الأم صورة أكثر الشخصيات سلبية في الظاهر، لأنها امرأة مسحوقة بسبب ظروف الفقر والخوف وأفعال الزوج الخائب، ودائماً ما ترد على تحديات الحياة بالبكاء لأنها كانت خاضعة أمام الضغوط الاجتماعية بالغة السوء، ورغم هذه الصفات إلا أنه أحبها كثيراً وعنها يقول: "كل

*- يصف حنا مينة موقف أخته قائلاً: عندما كتبت "بقايا صور" وقرأتها لها بناتها لم تكن راضية "هذا حدث، قالت، ولكن لماذا يريد حنا أن ينبش الماضي، ويتحدث عن والده بهذه القسوة، أما عندما قرأوا لها الكتاب الثاني "المستقع"، فقد عاتبتي: "اسمع، هذا يكفي، لقد أسرفت، قف عند هذا الحد". (ينظر: حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، 1982، ص103).

1- ينظر: حنا مينة، المستقع، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977.

**- قام بتعليقها تكريماً لوالدته وفي ذلك يقول: "إنها شهادة السرتيفيكا! وهي شهادتي الأولى والأخيرة، أضعها هنا إكراماً لوالدتي لأنها تعتقد أنها أعلى شهادة في سوريا، تصوروها أنها دعت جيرانها إلى حفلة طيرت معاشي لتريهم الشهادة وتحفل بها، وهربت من الدعوة خوفاً من الفضيحة، ولكن الله سلم فلم يكن بينهم من يعرف الفرنسية واكتفوا بالتحديق في الصورة..."، (ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص6).

2- ينظر: محمد الباردي، حنا مينة كاتب الكفاح والفرح، ص20.

3- حنا مينة، بقايا صور، ص 70، 77.

المعاني التي تتطوي عليها لفظة "الأم"، هذه التي كانت أثيرة لدي، لأنها كانت النأمة الأولى... والفعل الأول في كل مراحل العمر المتوالية، والمختلفة، لوناً وطعماً وإحساساً بالحياة¹، فقد كانت تمثل منبع الحياة وروح الكفاح والعطاء والتضحية والشعور بالذات بالنسبة له.

تركت والدته أثراً ترسخ في ذاكرته طفلاً ورافقه طوال حياته ومن أمثلة ذلك حين كانت تتركه باكياً وتذهب لتشتغل في البيوت، لكن الأمور انعكست حين أصبح رجلاً وغاب هو عنها؛ بعد أن حرمتة الحياة الصعبة منها لمدة عشرة أعوام، ويصف حادثة شديدة التأثير في نفسه إثر عودته من غربته، بقوله: "أمه تنتظره عشرة أعوام وفي ليلة عودته وقبل أن تعانقه، بقي بنذرها... أن ترحف... من البيت إلى مكان وقوف السيارة... وصادف أن كان يوم وصوله ممطراً... دبت في الظلمة، هي التي في السبعين، كطفل رضيع وتبللت بالمطر وتلوّثت بالماء والطين حتى بلغت السيارة وقبلت عجالاتها وجوانبها، ثم نهضت لتعانق ابنها الغائب".²

ليس هناك صورة أعظم من هذا الوصف لتبيين مقدار المحبة التي كانت تجمعها بوالدته، حيث تشارك الألم والمعاناة معها منذ صغره، ولأنها اعتنت بأسرتها بكل ما أوتيت من قوة جسدت بالنسبة له "العاطفة المحرومة والطهر بالنسبة للطفل، ذلك أن صورة العذراء كثيراً ما يشير إليها كلما ذكر أمه، وهي بالتالي حددت صورة المرأة عامة في رواياته"³ هذه العلاقة الوطيدة بينهما كانت عكس العلاقة التي ربطته بوالده، فقد صاحب تضايقه من خيبات والده أثر نفسي عميق ترك دلالاته في معظم أعماله ففي

1- ينظر: حنا مينة، أشياء من ذكريات طفولتي (ذكريات في رواية)، دار الآداب، بيروت، ط1، 2010، ص11.

2- حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، 1982، ص154.

3- محمد الباردي، حنا مينة كاتب الكفاح والفرح، ص259.

رواية "الياطر"¹ التي يمثل فيها "زكريا" الوالد الذي يلاحقه القانون بعدما قتل أحدهم، وأصبح جراً ذلك في وضعية دقيقة تؤدي به إلى عيش تجربة قاسية ينتج عنها إنسان جديد، ولكنه يشهد جريمة ابنه الذي قتل هو الآخر أحد الصيادين ما جعله يصف ابنه بأوصاف دنيئة ومزعجة، فالأب لم يكن قدوة حسنة لابنه كما هو الحال مع والد الكاتب نفسه، وغياب حماية الأب وحنانه تركه تحت مسؤولية كبيرة تحملها منذ الصغر، وحين يصفه كان كثيراً ما يتذكره بصورة بشعة، فهو رجل مهمش لا يتحمل مسؤولياته إزاء عائلته وغير قادر على مواجهة الأحداث الاجتماعية، وبالتالي كان يحمل كل الصفات التي تحط من قيمته في عين ولده باستثناء حكاياته، حيث كان لأقاصيصه وتجاربه في الحياة فضل في تقوية ملكة القص لدى الكاتب².

يعترف الكاتب بفضل قضاء الليالي وهو يستمتع بشوق بالغ إلى قصص والده، ذلك القاص بالفطرة القادر على أن يصنع من خبر حادثاً ومن حكاية تملك كل عناصر التشويق اللازمة لإثارة خيال صبي، ويقول: "أصبحت في كبري وفي فني، أعيش مائدته القصصية؛ الفنية بأطباق لا مثيل لها لنكهتها وعذوبتها، إنني مدين لهذا الأب، الذي علمني بغير مواعظ، أن أعيش الدنيا كأنها بيتي، وأن أحب السفر والمغامرة وملاحظة سلوكيات الناس... وما فيها من دلالات اجتماعية..."³ وهذا التناقض في مشاعره يدل على نفوره من تصرفات والده الطائشة لكنه أحبه في مرحلة ما؛ إذ يوضح هذا الاعتراف أثر الأب في صقل موهبة الكاتب، وتوجيهه ولو بشكل بسيط ليكتشف ذاته وكل ما يجري حوله.

1- حنا مينة، الياطر، دار الآداب، ط3، 1984، ص19. 20.

2- ينظر: أحمد محمد عطية، أضواء جديدة على الثقافة العربية، دار الكتب، القاهرة، دط، دت، ص17.

3- حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، عالم المعرفة، العدد229، 1مارس 1981، ص 181.

بالخروج من حيز البيئة العائلية؛ نلاحظ أن لظروف النضال التي عاشها تأثيراً في قدرته على رؤية ما وراء الأحداث ورصد المتغيرات، لكنه تيقن دائماً أن أصعب المعارك التي تحتّم عليه خوضها هي الذاتية والنفسية، فحين تخون المرء إرادته يصاب بالعجز عن اتخاذ قراراته الحاسمة¹ رغم ذلك فقد تحدى بكل قوته مواقف مريرة وصعبة في الحياة، انطلاقاً من حياته العائلية وصولاً إلى استقلاليته بذاته وتكوين نفسه.

يؤكد الكاتب أنه رغم كل ذلك لم يكن يفكر بالكتابة؛ إذ أن الحياة الطويلة التي عاشها بكل مرارتها وحلاوتها، عاشها لأنها حياته قبل أن يفكر بالكتابة فيقول: "وبعد أن فكرت فيها وصرت كاتباً، الظروف فرضت علي أن أنهض من الحضيض... فوق صليبي الذي دقت آلام الطفولة الشقية مساميره في كفي قدمي، والذي حملته وما زال، دون أن أعي ودون أن أركع"²، يتضح لنا أن العملية الإبداعية قد تحتاج إلى التجربة والمعرفة والخبرة والثقافة والانفتاح الذهني والوجداني، لتتكون بصورتها النهائية وبخصائصها المميزة وأحداثها الفريدة والمتنوعة.

جسد هذا الكاتب روح النضال والقوة باجتهاده وكفاحه للانتصار على ظروف حياته، وسعى في العديد من نصوصه إلى تأكيد مراحلها، ورصد أهم الظروف التي صنعت شخصيته وتفتحت إثرها موهبته في الكتابة، فبعدما غادر المدرسة نهائياً دخل مجال العمل الشاق، وعمل في الميناء واشتغل في الكاراجات وفي إحدى الصيدليات، وانتقل بين الوظائف من حلاق إلى بائع خضر وبائع جرائد... كل هذا قبل أن يصبح في سن السابعة عشرة من عمره (رجل مهنة)³، كان لهذه التجارب الأثر الكبير في أعماله وبفضلها نمت قصصه ورواياته وبنيت على أساسها مواقف شخصياته.

1- ينظر: حننا مينة، بقايا صور، ص20.

2- حننا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص181.

3- ينظر: محمد الباردي، حننا مينة كاتب الكفاح والفرح، ص21.

كان التجول في العالم الخارجي أحد هواجسه؛ أحب الطبيعة والبحر والاختلاط بالبحارة والعمال وغيرهم من البسطاء لهذا يحمل في رصيده روايات متنوعة كان البحر في معظمها مصدر إلهامه؛ إذ يؤكد أن معظم أعماله متشعبة بمياه أمواجه وفيه تجسدت رغبات موته، وصراعه مع كائناته المبهرة كان صراع حياة¹، حيث تعلم حرفة أجداده البحارة، واحترف العمل في الميناء كحمال وكبحار على المراكب، وهذا ما انعكس في بعض روايات البحر، حيث كان أبطاله يعشقون ركوب البحر والصيد، ويملكون من المهارات والخبرة ما يجعلهم أبطال البحر الأقوياء.

يعرف "حنا مينة" بحبه للبحر ومكانته الخاصة في كتاباته، وهذا أمر طبيعي بالنسبة إلى شخص قضى فترة غير قصيرة في مدينة اللاذقية الساحلية التي "خبر فيها البحر وأسراره وحياة رواه ومآسيهم، إما عن طريق المعاينة أو المعايشة، خصوصاً بعد احترافه العمل بالميناء مبكراً، تحت ضغط إكراهات ظروف مادية صعبة"² هذا هو الماضي الشاق الذي أسس حياته وتجاربه، فرغم أن أشد معاناته كانت من العمل في مجالات البحر؛ إلا أنه استلهم منه أفضل التعابير وأجود القصص، أصبحت فيما بعد من مواضيع مجموعته القصصية "الأبنوسة البيضاء"³ التي اقتبس بعض قصصها من تجارب فتى الميناء الفقير، والشاب الطموح المليء بالحب والفرح، ورسم فيها بعض المحطات المهمة في الحياة، وصور مجموعة من الشخصيات المتنوعة بقصصها المختلفة والفريدة، ومن أمواج البحر كذلك جاءت رائعته "الشرع والعاصفة" التي وصف فيها حياة البحر ومعاناة البحارة والصيادين وعائلاتهم، فقلم الكاتب حركته قسوة الحياة ودفعته لكتابة أعمال كان الهدف منها التعبير عن البسطاء والمهمشين.

1- ينظر: حنا مينة، الرواية والروائي، دار البعث، دمشق، ط1، 2004، ص21.

2- مجموعة من الكتاب، حنا مينة كتابة البحر... بحر الكتابة/جائزة زفزاف، ص26.

3- حنا مينة، الأبنوسة البيضاء، مجموعة قصصية، دار الآداب، بيروت، ط3، 1981.

يمكن ملاحظة أثر فترة الطفولة والبصمة التي تركتها في أعمال الكاتبين "حنا مينة وارنست همنغواي"، وما تجسده مجموعة القصص القصيرة التي لخص فيها الكاتبان معاناتهما في المراحل الأولى من حياتهما، إلا أن حياة "حنا مينة" كانت أكثر قسوة؛ لكنه رغم ذلك جسد دائماً قوة الإرادة بفضل مبدأ الكفاح الذي انتهجه في حياته، فأعماله الروائية تردد في معظمها أن الحياة المتقلبة القاسية دائماً ما تنتهي، وفي حديثه عن الطموح فيما يجب أن تكون عليه شخصياته يقول: "طموحي أن أعبر عن الإنسان في حركته الحياتية وصراعه وكل نوازع نفسه بغير إسقاط ولا افتعال، ولكن بغير إغفال لقدرته الجبارة على أن ينتصر دائماً على الصعاب والمعوقات".¹

ويتضح لنا أن تلك الشهادة الابتدائية التي تحصل عليها "حنا مينة" في صغره لم يكن لها الدور الكبير في إثراء موهبته، بل ظروف الشقاء والفقر الممزوجة بالنضال ومرارة الترحال، مع موهبة ورثها عن والده في قص الحكايات، هي التي أصبح بفضلها يحول كل حادثة يومية بسيطة إلى قصة مثيرة، وهذا ما نرصده في قوله: "لم يكن المرسى والمقص لينسياني المطالعة، فكنت لا أترك جريدة ولا كتاباً يقع بين يدي، وكانت زوجة الصيدلي تزودني بالكتب وكنت أحلم بالبحر والسفر والمعارك والثورة".²

من الروايات التي تشير إلى مراحل الفقر والمعاناة، روايتا "المصابيح الزرق" الصادرة عام 1954، و"الشرع والعاصفة" الصادرة عام 1966، وفيهما تظهر شخصيات مفعمة بالحياة أغلبها ينتمي إلى بيئة فقيرة؛ جاءت عفوية مفعمة بروح الكاتب المتفائل، الذي نجده رغم معاناته غالباً ما يؤكد مدى أهمية الكفاح الإنساني، لذلك يقول: "إن الذات البشرية، حين تتضج فيها تجربة حياتية، مقرونة بتجربة فكرية، تتحول التجربتان إلى خصيصة ذاتية في نفس صاحبها، وتصدر عنه... رؤية حياتية

1- حنا مينة، بقايا صور، ص11.

2- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص7.

له، وتعبيران عن نفسيهما بتلقائية تكاد تكون كاملة، وهذا هو الانعكاس الصحيح في الأدب¹.

وقبل أن يملك موهبة الكتابة وينتج هذا الكم المميز من الأعمال والدراسات مر بتجارب قاسية جداً، ففي فترة شبابه كانت سوريا واقعة تحت وطأة الصراعات، وحين حدثت مأساة اللواء* الدامية سنة 1939، هاجر وعائلته عائدين إلى اللاذقية* وفيها فتح دكاناً للحلاقة بمساعدة أخته "قدسية"، واستطاع أن يخزن في أعماقه قصص زبائنه الأسطورية عن صراعاتهم اليومي مع الخطر، فقد تركت اللاذقية أثراً كبيراً في حياته وفي قصصه ورواياته.

وحين تركت الحرب العالمية الثانية ومعارك الاستقلال سوريا في دوامة من الاضطرابات، اشترك حنا الفتى في مظاهرة تطالب بالاستقلال قبض عليه خلالها وزج به في السجن؛ مُعلّمه الأول الذي تعلم فيه قراءة الكلمات الصعبة²، لم ينشأ حبه للكتابة من العدم بل اجتهد لتعلم كتابة الحرف ثم إتقان القراءة، حتى أثمرت جهوده العصامية وقدرته على اكتساب المعرفة والتعلم، وأصبحت مراحل الحياة القاسية مرجعيات سمحت بالوصف والتأمل والتعمق في مواقف الشخصيات وتبرير تصرفاتهم، وساعدته ليصبح من أشهر كتاب سوريا والعالم العربي، وقد استطاع أن يحقق ذلك

1- حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص190.

* حدثت مأساة لواء اسكندرونة الدامية حين احتل الأتراك اللواء العربي بالتعاون مع فرنسا، حيث حدثت نتائج مخزية نجمت عن السياسة الفرنسية في سورية خلال الانتداب أدت إلى خسارة هذا الجزء من سوريا، فمع نهاية الحرب العالمية الأولى، كانت هناك ثلاث قوى تتنازع لواء اسكندرونة في آن معاً، وهي: الحكومة العربية في أنطاكية، القطع البحرية الفرنسية في ميناء اسكندرونة، الجيش التركي في بيلان... (ينظر: حسام الناييف، لواء اسكندرونة حكاية وطن سلب عنوة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص5-60).

** هاجروا منها بعد ولادته بسبب مرض والده إلى قرية السويدية في لواء اسكندرونة وغيرها من الأماكن التي خبر فيها الكاتب الريف والمدينة.

2 - ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص7.

بفضل معاشية المعاناة، وفهم الأحداث والشخص حول بيئته الخاصة، حتى أصبحت أعماله تمثل حياة كاملة مستمدة من التجربة والمعاناة والكفاح والفرح.

حدد الأديب موقفه مما يحيط به من العالم والإنسان وعاش الحياة بكل ما أوتي من قوة، وجمع تجارب كثيرة رتب قصصها بنفسه، انطلقت من ذاته وامتزجت بالكتب والأفكار والطموحات، لذلك من الطبيعي أن يبرز في ظل هذه التجارب والقيم، بطل في كل عمل فني أنتجه يمثل إنساناً شعبياً يحمل وعياً بمشاكل المستضعفين¹، وهو نفس وعي الكاتب وفلسفته في الحياة فالإنسان حتى يتسنى له خوض تجربة ثرية، يحتاج إلى دقة الملاحظة ليصبح مؤثراً بحبه للحياة والناس والطبيعة والمجتمع...

لتسجيل الإبداعات الفنية بقيمتها الإنسانية لابد من التركيز على عنصر الماضي، لأن له أثراً بالغاً في ذاكرة الأديب، لذلك يذكر حنا مينة رحلة حياته التي يلحن منها ذكريات الشقاء بقوله: "وكل ما أذكره عنها أنني بدأت رحلة التشرد وأنا في الثالثة من عمري... هي ترحال مأساوي في المكان... وبسبب من أن التأمل، التلفت، الاستشراف، تمثل الوعي الأول للوجود، وكل هذه الذكريات التي تنهال في خاطر... وأنا ألحنها لأنها تغتالني بلا رحمة"²، فرغم أنه عاش الحياة بكل ما أتت به وحاول أن يتغلب على الضعف والعجز، إلا أنه لم يسلم من الآثار السلبية للشقاء والمعاناة التي عاشها، لكنه دائماً ما وجد راحته في البحر؛ إذ كتب في رسالة لصديقه الكاتب الإيراني "مهدي عبيدي" أنه أديب البحر فيقول: "أنا حنا مينة، إني أديب البحر، وأن هذا الشرف الذي اشتهرت به، قد جعل منه رائعة مكتوبة ومحكية."³

1- ينظر: مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2011، ص17.

2- ينظر: حنا مينة، الرواية والروائي، ص9.

3- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، ص5.

يحاول الإنسان أحياناً أن ينخلع من البيئة والتأثيرات التي تترسب في أفكاره، لكن مهما حاول الأديب التحلي بالموضوعية في أعماله، إلا أن هناك نسبة من شخصيته وظروف تكوينه النفسي تتدخل في رسم أبطاله؛ إذ قال حنا مينة وهو على فراش الموت: "هذه هي الحياة التي تتناسونها، إنها ليست حياة مقهى الهفانا ومطعم سقراط، إنها حياة الشعب المسحوق الذي أتشرف بأن أكون منه"¹، صاحبه شعور الفخر طوال حيات ولطالما اعتز بحياته وتجاربه ومغامراته ونضاله وكفاحه.

يظهر بوضوح أن الحياة لم تعد تغريه في شيء، عندما صار يطلب الموت بإلحاح، وهذا ما كتب عنه بعدما أعياه المرض وطال صبره "أبحث عن الموت خلاصاً من دائي وأوجاعي، لكن الموت كلما اقتربت منه هرب لأن الموت جبان... فيحصد الموت أهلي وأصدقائي وأحبائي الواحد بعد الآخر ويتركني واقفاً ملقى على الرصيف..."² كتب عن حياته التي عاشها من أجل أحبائه ومن أجل نصرة الفقراء والمظلومين، ويعترف أن كل ما فعله لأجل وطنه هو الواجب والحب والكفاح ضد الظلم، ويقول: "لقد غامرت... أنا نصف عاقل ونصف مجنون... الآن وأنا في حوالي التسعين شتاء، وقد تعب بصري، وخف سمعي، فأقول أيها المجنون العالمي، لماذا لم تأخذك سفينة الموت..."³ طلب الموت وحياة الكفاح هي العامل المشترك بين "حنا مينة" و"ارنست همنغواي"، لكن ما يميز الأديب السوري أنه اعتمد لتحقيق نجاحه العظيم على وهب حياته للكتابة ونصرة المعذبين في الأرض كما يصفهم.

أوصى "حنا مينة" في آخر عمره بجنائز بسيطة حتى لا يحزن عليه أحد، فكتب الكفاح والفرح عاش حياة متواضعة يرفض فيها كل بذخ بحكم انتمائه إلى تلك الطبقة

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص5.

2- حنا مينة، بعد أن بلغت التسعين شتاءً، المعرفة، سوريا، العدد 592، 1 يناير 2013، ص 14.

3- المرجع نفسه، ص16.

المقهورة من المجتمع، ويبدو من خلال هذا مرتاحاً لما حققه في حياته من مكانة أدبية، وأكد في وصيته بتاريخ 17 أوت 2008¹ ألا يذاع خبر وفاته في أي وسيلة إعلامية مقروءة أو مسموعة أو مرئية، وقد يتضح لنا من كلامه أنه كان دائماً صاحب القرار وهي عقلية "البحار الرئيس" التي اكتسبها طوال حياته، ونتيجة ذلك ظهرت شائعات عن وفاته منذ ذلك التاريخ، ونفيت الشائعات بتاريخ 21 أوت 2018 حين أعلنت وفاته على القنوات السورية للأخبار².

حاولنا في دراستنا هذه تتبع أهم المرجعيات الذاتية المستخلصة من بعض المحطات الحياتية المهمة في تجربة كل من "ارنست همنغواي وحنّا مينة"، لتتضح أمامنا ملامح التقارب والاختلاف بين مسارهما الإبداعي، وانطلاقاً من الظروف العائلية المشتتة التي عاشها الكاتبان؛ نستطيع القبض على الملامح الأولى المؤثرة في تجربتهما الإبداعية منذ بدايتها، فكلاهما ترك أحد والديه أثراً في نفسه عبر عنه بطريقته الخاصة، لكن تجاربهما الأولى تختلف من حيث كون "همنغواي" نشأ في عائلة برجوازية جعلته فيما بعد ينفر من ذلك العالم الضعيف أخلاقياً في نظره، أما "حنّا مينة" فقد شهد كافة أنواع الفقر والحرمان التي جعلت منه إنساناً متواضعاً، وما يتفق بينهما هو الاستسلام من شدة المرض وطلب الموت، فهمنغواي أنهى حياته بنفسه أما حنا مينة فطلب الموت بإلحاح حتى النهاية.

ويحمل إبداعهما في جوهره قيما ومعاني موضوعية قد تتشابه حيناً وتختلف حيناً، ذلك حسب تباين رؤاهما الفكرية واتجاهاتهما الأدبية والأيدولوجية؛ والبيئة التي ساهمت في بناء مواقفهما، فهي تعظم قدرة الإنسان الهائلة في تحقيق وجوده الإنساني عن طريق الكفاح، وعموماً فكتاباتهما تعكس من حيث نبرتها العامة تلك البلاغة

¹ - ينظر: مجموعة من الكتاب، حنا مينة كتابة البحر... بحر الكتابة/جائزة زفراف، ص4.

² - ينظر: SANA الوكالة العربية السورية للأخبار، <https://www.sana.sy>، 21 أوت 2018.

البسيطة في التعبير، وتزخر نصوصهما الروائية بالشخصيات الواقعية والفضاءات المختلفة، فعلى امتداد تجربتهما الإبداعية تحمل الكتابة في طياتها حكاية الإنسان في صراعه مع ذاته ومن حوله، ما يثبت أن كلا من همنغواي وحننا مينة يمثل الإنسان في بحثه عن الخلاص من عتمته الداخلية العميقة لتحويلها إلى نور، وغدت كتاباتهما سندهما الوحيد بفضلها تركا بصمة فنية واضحة احتلا بفضلها مكانة رفيعة بين من اهتم بالتعبير عن الروح الإنسانية.

2- المرجعية الاجتماعية والسياسية:

تعتبر العوامل الاجتماعية والسياسية من بين أهم العوامل المؤثرة على السلوك الإنساني، لأن الفرد يعيش ضمن بيئة يؤثر فيها وبها يتأثر، فتصدر عنه أنواع مختلفة من الأنشطة يطمح بها لتحقيق أهدافه، والأديب المهتم بقضايا مجتمعه له فريدته الممزوجة بوجود المجموعة فيها، فما يبدعه "لا تكون له قيمة إلا بما يحدث من أثر في المجموعة، فالأدب إذن - في عبارة موجزة - قيمة إنسانية اجتماعية"¹، لأن الكاتب الحق هو من يقدم أعمالاً أدبية تحمل أفكارا اجتماعية وإنسانية تخدم أهدافاً سامية.

يعتبر الأمر طبيعياً حين يتأثر الإنسان بالعوامل المحيطة به، لأن "الفرد غير قادر على العيش في عزلة عن بني جنسه... وخلال عملية التفاعل هذه، يشكل الإنسان معتقداً حول غيره، مثلما يشكل الآخر فكرة عنه، هذه الفكرة تستديم وتنتقل من فرد إلى آخر خلال مراحل التكاثُر، وبالتالي كل مجموعة من الناس لديهم وجهات نظر وأفكار عميقة عن مجموعات أخرى منفصلة، ويمكن ملاحظة هذا النمط عبر كامل

1- عز الدين اسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، دط، دت، ص27.

نطاق التسلسل، من أصغر التجمعات العائلية إلى تجمعات أكبر من سكان البلدان"¹، وهنا يجدر الإشارة إلى أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لكن حقيقة بناء الشخصية لا تقتصر على فهم الواقع والتكيف معه فقط، بل في القدرة على تجاوزه والتأقلم معه.

يحيلنا هذا إلى فهم واقع التجارب الأدبية الذي يكمن في كونها إبداعات انطلقت من الحياة لتعبر عنها؛ بفضل إيمان المبدعين بأهمية إنتاج أعمال تهم الإنسانية، فالكاتب الحقيقي هو "القادر على الربط بين الذات ومحيطها الاجتماعي الواسع... لهذا فإن مقولة تولستوي (Léon Tolstoy) إن الكاتب الذي لا يملك موقفاً واضحاً ومحدداً وجديداً من الكون وبخاصة الكاتب الذي لا يرى هذا أمراً ضرورياً، لن ينتج أي عمل فني"²، وهذا نفس المبدأ الذي بنى عليه الكاتبان أرنست همنغواي وحننا مينة منهجهما الأدبي، إذ يؤمن كلاهما أن على كل من يحترف الكتابة أن يحدد موقفه من العالم الذي يحيط به، ويشارك بفكره في القضايا المهمة التي تعصف بالإنسان والمجتمع.

وعليه فالتغير الاجتماعي يساعد في بناء مرجعية الكاتب، وينتج عنه مساهمات مجموعة من العقول القوية والمبدعة في تفكيرها لتحقيق التطور، باعتبار أن الطاقة الدافعة للتغيير تكون قوية باكتمال القوى الاجتماعية المشاركة فيها³، وعلى هذا الأساس نجد أن الكاتبين أرنست همنغواي وحننا مينة؛ ومن خلال تجاربهما الغزيرة قد التصقا بواقعهما في محاولة للتعبير عن خصوصياته الإيجابية والسلبية، وهذا ما

¹ - Mansour M.A. Dhabab, Representations of the Western Other in Early Arabic Novels (1900-1915), PhD thesis, University of Leeds school of modern languages and cultures, 2005, p2.

² - ينظر: ليون تولستوي، مقال روائيون يتحدثون عن الرواية، مجلة الأقلام، العدد 2، 14 تشرين الأول 1978، ص32. نقلا عن: خالد لغربي، التناقض والوحدة في رواية المستنقع لحننا مينة، ص10.

³ - ينظر: علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، دط، 2015، ص48.

اتضح لنا من تجاربهما الذاتية وفلسفتهما في الحياة ومبادئهما التي لازمت مسارهما الإبداعي حتى النهاية.

أ- العوامل المؤثرة في إرنست همنغواي:

أبدع الكاتب "ارنست همنغواي" في تصوير الواقع الأليم للشعوب التي أنهكتها الحروب، سواء الحروب الأهلية كما هو الحال في إسبانيا؛ أم ما خلفته الحرب العالمية الأولى والثانية، فاشمئزازه من أهداف الحرب الخفية ومعاداته للفاشية ظهر في آرائه منذ شبابه، ودائماً ما تساءل عما يمكن فعله بعد الحرب لهذا اعتمدت حياته العملية على الشجاعة في اختبار العنف والحرب¹، وهكذا أصبح الواقع الملموس بمثابة الأداة الأساسية في عملية الكتابة لديه، كما حرص على الجمع بين الشخصي والسياسي والاجتماعي في كتاباته، وقُدِّر للكاتب همنغواي "أن يصبح واحداً من أعظم المعبرين عن الفوضى التي أصابت العالم، وبهذا حاز كأديب على مرتبة هامة بين ممثلي "الجيل الضائع" من أمثال فولكنر، فيتزجيرلد، دوس باسوس... الذين كان همهم إبراز الخسائر الفادحة التي طالت حياة البشر الاجتماعية والأخلاقية والنفسية بسبب ما نتج عن الحرب العالمية الأولى... كما شكل هؤلاء الكتاب الجدد جيلاً أدبياً ينتمي إلى مرحلة الانتقال من قيم مثبتة مسبقاً إلى قيم كان لا بد من خلقها"²، ومثل كتاب تلك الفترة حاول جاهداً تصوير كل ما ألم بالشعب البسيط من مصائب وتشرد وموت وأمراض وإصابات، بالإضافة إلى التشديد على وصف حياة الجنود أثناء وبعد الحروب وما تركته من جروح نفسية بليغة.

كما يرى أحد النقاد أن كتب همنغواي "تنبض بالحياة، والتعاطف، والعذاب الأليم للإنسان، وفي كل كتاب يكمن النصر الشجاع على هذا العذاب والخوف، وأن المؤلف

1- ينظر: مريم عبد الباقي، إرنست همنغواي 1898-1961، ص44.

2 - Argentina Velea, war symbolism in Hemingway's works, p1.

ليلبس أحد القناعين - الخشونة أو السخرية - ومن ورائهما يخفي الكاتب عذابه"¹، فإحساسه بالتناقض بين الحياة والموت وسعيه المستمر لتحدي أحدهما كان كل شيء بالنسبة إليه، وهذا بسبب مستوى الضغط الذي فرضته الحياة بكل جوانبها السياسية والاجتماعية خاصة على الجانب الشخصي له كإنسان؛ إذ سعى جاهداً لكسر القيود والتعبير عن خفايا الحرب، ولأنه تمكن من كشف القسوة والخطر رغم الحدود التي بناها العالم أمام المبدعين أمثاله؛ ما أصابه بصدمة لأنه لم يكن حراً في تصرفاته وأحس بالغدر والخيانة من عالمه"².

تخرج همنغواي من ثلاث جامعات حياتية هي: الحرب، الصحافة، باريس، فالحرب باعتبارها "رمزاً أساسياً للتغير المدمر الذي يلحق بالسلوك الحضاري، مسؤول عن مآسي النفس البشرية، حيث كانت نتائج الحرب مخيبة ومدمرة، وكانت أسوأ لمن نجوا من الموت، إذ أصبحوا مشتتين ومرتبكين حول مستقبلهم"³، ولأن مشاركته في الحرب كمتطوع في الصليب الأحمر، فقد استطاع اختبار قدر كبير من أحداثها وأهوالها، واكتشف مثلما اكتشف العالم كله أن معظم أهداف العالم البرجوازي الذي نشأ فيه؛ كانت تنصب في ضرورة استمرار الحرب والدمار، لما كان لها من نتائج إيجابية على حياتهم وثرواتهم التي تضخمت بفضلها، أما الإنسان البسيط فطارده الفقر والجوع والموت والجراح وكل أنواع المعاناة التي تحدثها الحروب.

كان بإمكان همنغواي وهو في سن التاسعة عشرة أن يرسخ في ذهنه صورة دائمة عن الحرب والرعب والموت، جراء الإصابة بشظايا قنبلة أثناء عملية إنقاذ، خضع

1- أليينا كوسيفا، همنغواي كما يراه ناقد سوفيتي (كاشكين)، ت: عبد المجيد عبد الرحمن، الأقلام، العراق، العدد 9، 1 سبتمبر 1974، ص 81.

2- ينظر: ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ص 537.

3- Argentina Velea, war symbolism in Hemingway's works, p2.

إثرها لعمليات عديدة أولها بعد الإصابة وآخرها سنة 1959، ومن غيره يستطيع أن يسجل جرحه بشكل لا ينسى في لحظة صدقه النابضة حيث يقول: "ثم ظهر وميض، كما عندما يفتح باب فرن لافح، وأيضاً زئير بدأ أبيض ثم أصبح أحمر... حاولت أن أتنفس لكن نفسي رفض الخروج! وشعرت بنفسي أندفع جسمانيا خارج نفسي... وخرجت بسرعة، كلية من نفسي، وعرفت أنني كنت ميتاً، وأن الأمر كان خطأ إذا اعتقدت أنني ميت..."¹ وفي مستشفى ميلانو الذي عولج فيه تعرف على ممرضة إنجليزية، وهذه التجربة ألهمته فيما بعد حبكة روايته المشهورة "وداعاً للسلاح"².

اشتهر الكاتب بإصاباته الكثيرة والنجاة من حوادث عديدة نتيجة مغامراته المثيرة، فمنذ صباه فصاعداً كان يعاني من الحوادث الفظيعة* التي رغم عنفها لم تتسبب في مقتله، حتى أصبحت أحداث حياته أكثر إثارة من رواياته نفسها، وفي ذلك يقول ألفريد كازن "من الحماسة فصل همنغواي عن عمله، كان يدفع بحياته نحو القارئ، وجعل فتنه بالموت والخطر الموضوع الرئيسي في صفحاته الكثيرة عن مصارعة الثيران، والرياضة، والحرب، وقد جعل القارئ يقترب أكثر من فتنه هو بالعنف والرعب كدراما

1- ينظر: ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ص 529 - 530.

2- Ernest Hemingway, A Farewell to Arms, p17.

*- وقع همنغواي الصبي مرة وانغرس في قفاه عصا ناخرة جزءاً من كلتا اللوزتين، وفي 1918 عندما كان متطوعاً في الصليب الأحمر في إيطاليا، انفجرت إحدى قنابل مدافع الهاون إلى أكثر من عشرين شظية في ساقه، وحينئذ أصيب مرتين برصاصات المدافع الرشاشة وهو يحمل جندياً... وفي وقت آخر كما يذكر أخوه ليستر، أطلق الرصاص من بندقية على سمكة قرش، ولكن الرصاصات انشطرت إلى أجزاء صغيرة عديدة وأصابت الأجزاء السميكة من ساقه، وفي 1940 بينما كان يصيد البط في المستنقعات قرب "البندقية"، انفجرت قطعة من حشو الرصاص في عينه... وفي أفريقيا وقعت طائرته على الأرض وتحطمت طائرة الإنقاذ التي التقطته واحتترقت، وعندما وصل إلى مركز الإسعاف الطبي في "تيروبي" (في الوقت المفروض تماماً ليقرأ فيه نعيه بالصحف)، كانت أعضاؤه الداخلية قد انتزعت من مكانها، وعموده الفقري مجروحاً، وكان ينزف من كل فتحة صغيرة من جسمه... (ينظر: ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ص 539).

سياسية أساسية"¹، فحب المغامرة والاقتراب من حدود الخطر يدفع حافز الإبداع إلى أقصى درجاته، خاصة عند همنغواي الذي فتنه كل ما يرتبط بالموت، فكرس كتاباته لرصد تحولاته، كما خصص جزءاً هاماً من أعماله لتتبع كفاح الشعوب، لتيقنه أن معاناتهم غالباً ما كانت بؤرة للجدالات السياسية والأزمات الاجتماعية المهمة، فأصبح بطله "هو الإنسان الذي جرت الأمور معه على هون، أما الحياة بالقياس إلى همنغواي فقد غدت مهمة تقتضي الحفاظ على الذات والحفاظ على فن الإنسان والعمل على تجديده"²، فقد حطمت الحروب الذات الإنسانية والوحدة الاجتماعية، وما جاء بعدها من انكسارات وانتكاسات في جميع المجالات؛ ترك الشعوب تغرق في الفقر والصراعات التي لا يزال أثرها حتى يومنا هذا.

في مجموعته القصصية التي بلغت في مجملها حوالي الثمانين قصة، نجد منها سلسلة قصص تحكي رحلة حياة "نك آدمز" (Nick Adams) التي تصوره صبيّاً وشاباً ورجلاً؛ يتعرض لمواقف مختلفة تزيد من تجاربه بالحياة والطبيعة الإنسانية، ويظهر هذا مثلاً في قصص "المخيم الهندي، الطبيب وزوجة الطبيب"³، وفيها تشابه مع مراحل حياة همنغواي ومبادئه وآرائه في الحياة، لكنه يؤكد باستمرار أنه لا يستقي كل شخصياته من حياته الخاصة فقط؛ إذ يجيب في حوار له عن سؤال حول كيفية بناء شخصياته وهل هي كلها مستوحاة من حياته، فيقول: "بالطبع لا، فبعضهم يأتي من الحياة الواقعية، وفي الغالب تخترع شخصيات من اضطلاع وفهم وخبرة بشأن

¹ - ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ص 539.

² - ألفريد كازن، همنغواي... خلاصة عمل، ت: يوسف عبد المسيح ثورة، الأديب، لبنان، العدد 12، 1 ديسمبر 1964، ص 33.

³ - Ernest Hemingway, The First Forty-nine stories, p95, p100

الأشخاص"¹، فمرجعيات الكاتب الإبداعية تنطلق من الخبرات والتجارب الذاتية، وتتصل بحياته الاجتماعية وكل ما أثر في تكوينها، لينتج في الأخير شخصيات تبدو حقيقية؛ مرنة وطبيعية.

نلاحظ صوراً واضحة من بعض مراحل حياة همنغواي؛ في قصة آباء وأبناء من مجموعة 'الرابح لا يكسب شيئاً' Winner Take Nothing² التي تمثل خاتمة قصص المجموعة، تقدم القصة "نيكولاس آدمز Nicholas Adams" خلال عودته إلى أمريكا، كما يعدد لحظاته المميزة مع والده الطبيب الصياد المشابه لوالد همنغواي في صفاته وحتى في طريقة وفاته، فقصة "آدمز" لا تختلف في أصلها عن حياة الكاتب، من طفولة تنقصها السعادة البريئة؛ إلى مرحلة الشباب التي تجرّها الحرب بأهوالها، والتفكك الذي أصابه حين انقضائها.

أما المثل الأعلى لدى الكاتب فيظهر بوضوح عند مقارنة الحياة المليئة بالأمل؛ والحرب التي يسودها الدمار والخيبات، باعتبار أن عالمه الروائي ينطلق من الحركة والمغامرات، فنجد شخصية الجندي تكتمل وتفتح المجال لبروز مصارع الثيران، ويأخذ الثوري مكان الجندي الهارب من الحرب، فتمتّزج مشاعر الأنانية وحماسة الحروب بعنف الرياضة، ولا يبقى لصاحب هذه الشخصيات سوى إرادته القوية للاستمرار في الكتابة دون مغالاة³ وقد تتمثل غايته في نقل كل ما أثر فيه بطريقة فنية، لمشاركة التجارب الإنسانية التي مرت عليه أو عاشها.

حين عودة همنغواي إلى أمريكا؛ بعد الحرب أصابه جو الرتابة بالاختناق في بلدته 'أوك بارك'، خاصة بعد أن ذاق طعم الحرية والإثارة في رحلاته الكثيرة لهذا

¹–George Plimpton, Ernest Hemingway the art of fiction, the Paris Review, NO.21, Madrid, May 1954, p24.

²– Ernest Hemingway, The First Forty-nine stories, p460.

³– ألفريد كازن، همنغواي... خلاصة عمل، ص24.

سرعان ما استقل بنفسه وتوجه إلى العمل الصحفي في محاولة منه للعودة إلى عالمه المفضل (عالم الحرب والمغامرات)، ففي عام 1920 ذهب إلى الشرق الأوسط واليونان كمراسل لصحيفة (ستار star) في تورنتو، ثم أصبح مراسل صحف (هرست Herst) في باريس، حيث دفعه شغفه بالعنف والمغامرات إلى ملاحقة الحرب، وتحقق حلمه فيما بعد وأصبح مراسلاً أمريكياً جوالاً شهد مصائب كبيرة، فحين تنقل من إيطاليا إلى القسطنطينية ليغطي أحداث الحرب التركية اليونانية، شهد فظائع انسحاب الجيش اليوناني من المدن التركية وما نتج عنها من خسائر¹، وقد ألهمته هذه الأحداث الوصف الذي ورد في مشهد الانسحاب من 'كابريتو'² في رواية "وداعا للسلاح".

تحول بعدها من المراسلة الصحفية وملاحقة الثورات والحروب إلى كتابة القصة والرواية، وصار ينشر قصصه القصيرة في (ترانزيشن Transition) و(نس كورتر This Quartz) و(أتلانتك Atlantic)، كما أصدر خلال فترة مكوثه في باريس مجموعة قصصية من خمس عشرة قصة قصيرة، وتطرق إلى موضوعات تتعلق بطبيعة الحياة التي عاشها المغتربون من أبناء وطنه، وعبر عن حالتهم المعنوية في سنوات ما بعد الحرب، وهذا كان الموضوع الرئيسي في رواية "الشمس تشرق أيضاً" (1926)³.

يختلف همنغواي عن معظم أدباء الجيل الضائع في أنه لم يلتحق بأي جامعة حيث فضل دخول عالم الحرب على إتمام دراسته، لكن هذا لا يعني أن مستواه كان ضعيفاً؛ بل كانت له قدرة بالغة على التعلم من الآخرين، فرغم أنه "وافق على الرغبة

1- ينظر: ارنست همنغواي، الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ص11.

2- Ernest Hemingway, a Fareweel to Arms, p135.

3- ينظر: مريم عبد الباقي، ارنست همنغواي 1898-1961، ص43.

الشديدة والإحباط الذي كان نموذجياً لدى كتاب الجيل الضائع، لكن عمله كان مختلفاً بوضوح عن أعمالهم فيما يخص فلسفته بشأن الحياة¹، حيث كانت الحرب هي مادة أدبه التي استمدّها من الكفاح العنيف وتتبع أثارها وما نتج عنها.

يتضح لنا أن الحياة الواقعية لا تزودنا أبداً بإجابات كاملة ونهائية، لأن التجارب فيها لا تنتهي، ولعل هذا ما ينطبق على همنغواي بعد أن رأى بنفسه ما يتحمّله الإنسان من قسوة الحياة وفضاعتها، فاستطاع أن يدرك معنى الألم والاستمتاع والانتصار، وهذا ما يظهر واضحاً في أعماله خاصة في رائعته "الشيخ والبحر".

بالانتقال للحديث عن حياته في باريس ومعرفة مدى تأثيرها على كتاباته، نجد أنه تزوج* سنة 1921 وسافر للإقامة فيها؛ وصار من الكتاب الذين اختاروا الإقامة في فرنسا وحملوا في أنفسهم الإحساس بخيبة الأمل بسبب استنزاف الحرب لطاقتهم وأحلامهم، مع انتشار الكلمات الزائفة التي استعملها السياسيون وتجار الحرب لتبريرها²، فشعور الخيبة مازال مستمراً إلى يومنا هذا، بسبب الشعارات الزائفة التي تلقن لنا عبر الوسائل الحديثة والمتطورة، لأن الحروب مهما اختلف مكانها وزمانها تترسخ أثارها السلبية في أعماق الأمم.

1- Argetina Velea, war symbolism in Hemingway's works, p1.

*- أثناء رحلة له إلى ميشغان تعرف على فتاة أمريكية ذات موهبة في العزف على البيانو تدعى "هادلي ريتشاردسون" وتزوجها، فيما بعد اقترح على أصحاب الصحيفتين اللتين كان يعمل فيهما (تورنتو ديلي ستار، وتورنتو ستار ويكلي) أن يعينه مراسلاً لهما في باريس، حيث يوافيهم بمقالاته وقصصه من هناك... وتعد سنواته الأولى في باريس من أخصب أيام عمره، قضاها طوافاً في المدن الأوروبية. (ينظر: أرست همنغواي، الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ت: ماهر البطوطي، ص10).

2- ينظر: نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ص662.

تعلم همنغواي في باريس التمييز بين الأصل والمزيف، بعد انضمامه إلى صالون السيدة "جيرترود شتاين Gertrude Stein" الأدبي؛ الذي كان يرتاده كبار الرسامين والمبدعين من أهمهم بيكاسو والشاعر عزرا باوند وغيرهم... حيث ساعدته "جيرترود" على الخروج من عالم الصحافة والتخلي عن الأسلوب الصحفي؛ واكتشاف الفنان بداخله¹، كانت علاقته "بجيرترود" مفتاحاً ولج به إلى عالم الفن في باريس من أوسع أبوابه، فتعلم إثر ذلك كيف يكتب القصص بالتطلع إلى اللوحات في "متحف اللوكسمبرج Musée du Luxembourg"، واشتغل على حياته الثقافية بلهفة وحماس؛ رغم سوء أوضاعه المعيشية وشعور الخيبة الذي صاحبه، لكنها كانت فترة رائعة امتازت بالعطاء الخصب وازدياد في العمل الخلاق²، وبهذا نتيقن أنه أحب حياته في باريس؛ واعتبرها حياة ممتعة ومفيدة لإثراء رصيده الإبداعي والفني رغم أنها كانت فترة شاقة من حياته.

تعتبر باريس مركزاً لتطور كتاباته واستقلاليتها، حيث أنتج فيها روايته الثانية "سيول الربيع The Torrents of Spring" التي جاءت بطريقة واقعية حين أدرك الأحداث الواقعية التي ولدت الإحساس الذي خبره، وحاول رغم الصعوبات تعلم الكتابة انطلاقاً من الأمور البسيطة التي كان الموت والعنف من أهمها³؛ إذ كان شغوفاً بالبحث عن كل ما هو حقيقي، بخلق رموز للوقائع واستحضار الأفكار اللازمة

* - نشأت علاقة أدبية بين همنغواي وجيرترود؛ فبعد أن كان يعمل مراسلاً صحفياً يكتب التقارير ويجسد الأحداث استطاعت صديقته أن تقنعه أن يصبح كاتباً كبيراً، ومن هنا بدأ همنغواي يغير من أسلوبه التقريرية ويميل إلى الحس الدرامي ووصف اضطرابات النفس وتصوير طبائع البشر بصدق، ساءت العلاقة بينهما فيما بعد عندما قالت جيرترود للصحافة أنها علمت همنغواي فن الكتابة، لكنه رد قائلاً: إن حديثها ينقصه الدقة ورغم ذلك كنت أحبها كثيراً وأشكرها لأنها علمتني كيف أتحدث وأكتب. (ينظر: علي عبد الفتاح، أعلام الأدب العالمي، ص 281).

¹ - ينظر: علي عبد الفتاح، أعلام في الأدب العالمي، ص 281.

² - ينظر: أليسا كوسيفا، همنغواي كما يراه ناقد سوفيتي، ص 82.

³ - ينظر: أرنست همنغواي، سيول الربيع، ت: محمود قدري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، دط، دت، ص 12. 17.

لتصوير الوجوه المختلفة للوجود، الذي تمثل عنده في الحب والموت والحرب والرياضة، كما لم ينكر أثر أساتذته الكبار في تعليمه كيفية بناء الجمل الأدبية ووسائل اختيار الشخصيات¹.

بعد ذلك انخرط تدريجياً في حياة مصارعة الثيران ومغامرات صيد الحيوانات الضخمة، وكانت أولى تجاربه مع مصارعة الثيران في مدريد حينما عرفه عليها صديقه بيكاسو، فصمم على خوض هذه التجارب وانتقل إلى إسبانيا مع زوجته ليشهد أول عرض في حياته، وقضى هناك فترة طويلة قبل العودة إلى باريس²، تعتبر هذه نقطة البداية في حبه الكبير للبلاد الإسبانية وشغفه بعنف مصارعة الثيران والحماس الذي ينتج عنها، ففي سنة 1936 حين كتب مسرحيته "الطابور الخامس The Fifth Column"، استعار إطارها القصصي من ظروف الحرب الأهلية الإسبانية، كما ساهمت في بناء أحداث أكثر رواياته شيوعاً "لمن تقرر الأجراس" 1940، وبعدها راح ينتقل بين الأماكن فتجول في الصين، وارتحل إلى إفريقيا حيث أحرز سمعة صياد وملاكم ورياضي بارع، وبعدها انتقل إلى كوبا³، لكن كل هذه البلدان لم تؤثر فيه كما أثرت به إسبانيا التي تعلق قلبه بطبيعة الحياة فيها.

أما اهتمامه الكبير بالكتابة والحياة السياسية والاجتماعية فقد كان سبباً في تفكك علاقاته الزوجية وتعددتها، حيث تزوج أربع مرات؛ أولى زوجاته كانت عازفة البيانو "هادلي ريتشاردسن Hadly Richardson"، ثم الصحفية بمجلة Vogue النسائية "بولين بلافر Pauline PLeiffer"؛ بعدها الصحفية "مارثا غلهورن Martha

1- ينظر: رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، دار المعارف، بيروت، ط1، 1983، ص136.

2- ينظر: ارنست همنغواي، الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ص11.

3- مريم عبد الباقي، ارنست همنغواي 1898-1961، ص44.

Gelhorn؛ وأخيراً الصحفية "ماري والش Mary Welsh"، وقد كانت كل زوجاته ذوات مستوى ثقافي عال وبذلك استطعن مساعدته في أعماله الأدبية، لكن محب المغامرات والتجديد لم يستطع أن يقف على علاقة زوجية واحدة ولا في مكان واحد، فتنازعت قضية التوفيق بين حياة الفرد التي تعني الخوف والموت وانعدام الأمن، وحياته الخاصة التي تعني السلام والزواج والاستقرار النفسي وكانت حاجته للكتابة كانت أكبر من أي شيء آخر.

من جهة أخرى لا يمكننا فصل أسلوبه في الكتابة عن ظروف حياته الشخصية والاجتماعية على حد سواء، لأن البيئة المحيطة بالكاتب تتحكم بمواقفه فلا يمكن الفصل بين أسلوبه وانفعالاته، لذلك استطاع تحقيق رؤيته الخاصة وترسيخ شعار الصمود الذي رافقه حتى النهاية، حيث "تواجه شخصياته الرئيسية باستمرار دفعات من القوى في الحياة، وبذلك فالحافز والمحرك لأحداث الرواية يكمن في محاولاتهم اللاعقلانية للإصلاح، والصورة التابعة لهذه التدخلات"¹، وفي هذا تكمن شهرة أسلوبه الذي ميزته البساطة ووضوح الأفكار وتسلسلها التي تسمح لنا بفهم القصة وأخذ العبرة

*- "بولين بلرفر" تزوجها سنة 1927 وحين شارفت على الولادة اضطر للعودة إلى "كي وست"، ثم انتقلا إلى "كانساس سيتي" حيث دخلت بولين المستشفى حين تعسرت ولادتها وأشرفت على الموت... وهذه التجربة العصبية التي مرت على همنغواي ظهرت بالتفصيل في روايته وداعاً للسلاح. أما مارثا غلهورن فقد التقى بها في مدريد حين كان ناشطاً في الحرب الأهلية الإسبانية، وأهداها روايته الناجحة عن إسبانيا "من تفرغ الأجراس" في أكتوبر 1940، وتزوجها بعد أن وافقت بولين على الطلاق شرط الاحتفاظ بالولدين، وبعد زواجهما بفترة سافرا إلى الشرق الأقصى ليغطيا أبناء الحرب اليابانية الصينية... وسرعان ما افترقا لتتبع طموحهما وأنشأ همنغواي علاقة مع الصحفية "ماري ولش" أخرى في أوروبا كغيرها من العلاقات التي أدت إلى طلاقه، وفي أكتوبر 1945 حصلت مارثا على الطلاق، وفي سنة 1946 تزوج ماري ولش في هافانا وكانت بهذا رابع زوجة له، وأحبها إلى قلبه لأنها عملت على إرضائه كلما سنحت الفرصة وكانت تشاركه مغامراته وطموحاته. (ينظر: ارنست همنغواي، الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ص20..22).

¹- Joseph Michael Defalco, The theme of individuation in the short stories of Ernest Hemingway, Degree of doctor of philosophy, university of florida, jun 1961, p3.

منها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أساس بناء أعماله هو أن لكل فعل رد فعل مساوٍ له أو معاكس، فما يقابل الإحساس بالوحشة والاعترا ب عنده هو الحب الإنساني والكفاح، وقد اتهم همنغواي أنه يروج للعنف واستعمال القوة البدنية الذي يظهر مثلاً في أشهر أعماله "الشيخ والبحر" "ووداعاً للسلاح".

عاش همنغواي حياة عنيفة وشقية منذ صغره، خاصة بعد مشاركته في الحرب ثم اشتغاله كمراسل حربي، أو حين ألهمته مغامرات الصيد ومصارعة الثيران؛ التي لا تخلو من العنف والدم وتعذيب الحيوانات البرية وقتلها، وغيرها من التجارب التي كانت مرجعيته في التعبير عن المواضيع الاجتماعية التي شغلت تفكيره، وهذا ما يتفق مع تعريف الرواية الحديثة التي دائماً ما تبحث عن "قيم أصيلة في عالم منحط... والمبدع الأدبي ليس مجرد انعكاس لوعي جماعي حقيقي... وإنما مآل نزعات خاصة بوعي هذه الجماعة أو تلك إلى مستوى من التماسك شديد العمق"¹، فكل ما عبر عنه همنغواي هو تصويره عن الواقع بوعي، كان مشتركاً بينه وبين العديد من أفراد المجتمع؛ الذين شهدوا هول مراحل الأزمات وما نتج بعدها.

هكذا سار همنغواي في طريقه نحو القمة بأعمال إبداعية خلدها التاريخ، استطاع أن يخلق صورها لتتفاعل مع وجدان القراء "فالصرح الأدبي الكامل لهمنغواي يستقر على حقيقة انجذابه الواسع والمصرح به نحو ترجمة حقائق واقعية داخل ترتيبات متخيلة، والتي بدورها تعيد خلق جوهر التجربة الحياتية الحقيقية"² القصد من هذا أن أساس أعماله الواقعية حيث طبع عليها الكاتب بخياله وتأملاته وأفكاره الخاصة التي

1- لوسيان جولدمان، مقدمات في سوسولوجيا الرواية، ت: بدر الدين عردوكي، دار الحوار، سوريا، 1993، ص21-24.

2- Joseph Michael Defalco, The theme of individuation in the short stories of Ernest Hemingway, p3.

تمثل وعيه المتميز بما يدور حوله من تحولات اجتماعية وسياسية، وحين سئل همنغواي عن كيفية تطويره أسلوب كتابته، وإذا ما فعل ذلك تماشياً مع سوق الكتب وما يطلبه الجمهور، جاءت إجابته توضيحاً لاستيعابه التفاصيل الكثيرة التي شهدتها في حياته، ما جعل كتاباته محشوة بالتفاصيل والأحداث الواقعية والمتخيلة أحياناً، فتميزت أعماله بسبب ذلك بالثقل الذي اعتبر أسلوباً خاصاً به، وهذا ما يوضحه قوله: "حين عمدت إلى وصف التفاصيل الدقيقة للحالة التي تكون عليها الأشياء أصبحت كتابتي ثقيلة، وهذا الثقل هو ما دفعه أسلوب، وكان من السهل تمييز الثقل والأخطاء، ولكنهم دفعوه أسلوباً"¹.

يمكن القول إن جذور الأزمة الداخلية لهمنغواي تعود إلى الحقيقة التي تقول بأنه كتب عن "كآبة حياته عندما كان شاباً... وإلى عزلته عن العيش في العالم الخارجي ولجؤه إلى مصارع الثيران والصيد... إن هذه التحديدات التي قيد همنغواي نفسه بها، هي التي ربطها إلى مجال الحقيقة الواقعية التي شغلت كل انتباهه في بداية الثلاثينات"²، هذه هي المعاناة التي يعيشها من أراد نقل المشاعر الحقيقية كما هي في الواقع، فكانت رواياته نتاجاً فعلياً لتجارب عاشها بنفسه، ولأنه كان مدركاً للمواضيع التي يكتب عنها؛ نتجت أعمال دقيقة في طرحها للقضايا ووصفها لانفعالات الشخصيات، فكل كاتب مجبر على فهم البيئة والثقافة التي اختارها كمرجع قبل الكتابة عنها.

وفي الأخير أنهى همنغواي آلامه بنفسه بعدما عانى من الهذيان والوسواس والألم، لكن هذا الكاتب العظيم ترك إرثاً إنسانياً إبداعياً متميزاً، لأنه كتب عن الموت؛ وعن الحب والمغامرة والحياة، كما تغلغل إلى عمق العلاقات الإنسانية لدرجة أهله

1- إ.إ. هوتشمر، بابا همنغواي، ص 251.

2- ينظر: ألينا كوسيفا، همنغواي كما يراه ناقد سوفيتي، ص 83.

ليكون أحد عمالقة الأدب في القرن العشرين، وهكذا كانت إبداعاته موضع استقبال وإعجاب من القراء على تباين مستوياتهم، من بينهم الروائي "حنا مينة" الذي لم يخف إعجابه وتأثره بأعمال همنغواي، ذلك أن كلا منهما كان يبحث عن حقيقة الشيء الذي يكتب عنه، وما كان هذا ليتحقق لولا اختباره للموضوع الذي يريد علاجه في أعماله، وهذا المبدأ لا يتحقق بسهولة لأن هناك فرقاً بين ما نظنه عن الواقع؛ وبين ما يكون عليه هذا الواقع، لذلك حاول الكاتبان نقل الحقيقة من تجاربهما الخاصة.

ب . سلطة المجتمع وأثرها في حنا مينة:

تخرج حنا مينة من مدرسة حياة الفقر والكفاح وجامعة السياسة والصحافة لأن شعور انعدام الاستقرار والطمأنينة صاحبه طيلة حياته، حيث عانى من كافة أنواع الحرمان والجوع والتشرد وضياح يتلازم معه فقدان المأوى الذي تكرر طويلاً؛ فمن اللاذقية إلى السويدية، وقره أغاش، والأكبر إلى إسكندرونة وإلى اللاذقية؛ ومن كوخ في حقل التوت، إلى كوخ بجوار المستنقع في حي الصار، إلى الإقامة في العراء وعلى قارعة الطريق*... فهذا الكاتب المتواضع والمناضل المغمور بالحب قال في حوار له: "أنا لا أنسى أصلي، أخواتي كن يعملن خادمت حين كنت طفلاً، وعندما كبرت اشتغلت في مهن كثيرة، لأنني أعتقد أن العمل حرية، وأنه وسيلة المواطنين الأحرار لبناء الأوطان الحرة..."¹ ومن هذا المنطلق نلاحظ الاختلاف الكبير بين الحياة الاجتماعية لحنا مينة والكاتب الأمريكي ارنست همنغواي؛ إذ أن معاناة هذا الكاتب السوري المحب للحياة والأمل والكفاح كانت قاسية جداً.

آلة التصوير التي استعملها حنا مينة لنقل حياته في سيرته الذاتية وأعماله الفنية، هي نفسها التي استعملها لتصوير الحياة العادية لمجتمعه قصد كشف وتوعية المفاهيم

*- السويدية، وقرة أغاش، والأكبر، هي قرى في لواء إسكندرون، وقد وصفها حنا مينة وحياته مع عائلته فيها في

سيرته الذاتية بقايا صور . (ينظر: حنا مينة، بقايا صور، ص229، 207، 235)

1- مجموعة من الكتاب، حنا مينة كتابة البحر... بحر الكتابة/جائزة زفراف، ص62.

المتناقضة داخله فالسيرة الذاتية عند الكاتب هي المجال الذي يكشف به للآخرين عن حياته؛ والتعبير عن قضايا مشتركة كانت تشغلهم، بالاعتماد على أدوات فنية مميزة وتسخير الظواهر الطبيعية لمعالجة قضايا متنوعة¹، لأن مرجعية الكاتب تنطلق من معطيات حياته الخاصة لتصل إلى الحياة العامة الممتزجة بآلام أبناء وطنه وأحلامهم. يوضح حنا مينة أن الدوافع الذاتية والنفسية والثقافية؛ خاصة الدوافع التاريخية، لها تأثيرها أيضاً في تشكيل المجتمعات، إذ يقول: "مع أنني لست باحثاً اجتماعياً بأي معيار، فإن تطور مجتمع معين، في ظرف... معين... لا بد للكاتب أن يدرسه ويحاول تفهمه، انطلاقاً من أن الكاتب يستمد من المجتمع، ويصدر عنه، في كل ما يكتب"²؛ فالأديب ملزم بالقراءة كي يفهم ما يدور في مجتمعه، وهذا بغية معرفة البيئة المحيطة معرفة جيدة، وهكذا لم تقتصر معرفته على ما يحيط بحياته أو بلده فقط، بل انطلقت لتشمل كل بقاع الوطن العربي والعالم، وذلك بهدف التعبير عن الآخر وتقوية الروابط بين الأمم والحضارات.

كان لحياته الأسرية والاجتماعية أثر عميق في بناء شخصيته، فقد وجه وعيه الأدبي إحساسه بالتهميش الاجتماعي في طفولته وشبابه، ما جعله يذكر مراحل حياته الشاقة في معظم أعماله الإبداعية والمناسبات الأدبية، فهو يسرد أجزاءها المهمة في كتابه "كيف حملت القلم" ويقول: "في اللاذقية، التي سأضطرب في العيش فيها، بحثاً عن الرغيف، والتي ستكون الحياة فيها مدرستي في الوعي السياسي، وفي الكفاح العملي، من قطف الزيتون إلى العمل في المرفأ، ومن بيع الصحف إلى أجير في مكتب رجل فرنسي يدعى "دولاكي" ومن المشاركة في المظاهرات الوطنية إلى السجن..."³، فكما كانت اللاذقية مدرسة بالنسبة له كانت كذلك بالنسبة لأبطال

1- ينظر: محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، مكتبة التحرير، بغداد، 1986، ص9.

2- حنا مينة، السيرورة والحقيقة، ص80.

3- حنا مينة، بقايا صور، ص12.

رواياته؛ من أمثال "الطروسي" (الشرع والعاصفة) و"مفيد الوحش" (نهاية رجل شجاع) الذين تعلموا فيها أسس الحياة، وذاقا طعم الفقر والجوع ونقص العمل، وكسبا بالاندماج مع سكانها وعياً وطنياً مميزاً، فأصبح طموحهما يفوق تحصيل الرغبة فقط بل كان هدفهما تحصيل الحرية والاستقرار، لأن الكاتب أنشأ أعماله على أسس معرفية ثابتة عن البيئة والمحيط والواقع، وأعطى لأبطاله مهناً وخبرات كان قد جربها وأتقن طريقتها، مثل مهنة الصيد وفنون تسيير أمور الميناء والمراكب.

أما بالنسبة إلى المحيط الاجتماعي الذي نشأ فيه فقد كان أمياً ومتخلفاً إلى درجة لم يصدقها هو نفسه، حيث لم يكن في حي المستنقع والأحياء الفقيرة المجاورة من يقرأ أو يكتب، إلى أن جاء زمن النضال ضد الانتداب الفرنسي والإقطاع، على يد المناضلين الذين كان لحنا مينة الفتى حظ التعرف بهم والانتماء إليهم، ومعهم تعرف على حقيقة الكلمة التي أرشدوا بها المجتمع، وهكذا استفاد من تجارب الطفولة والشباب في كفاحه بالقلم طوال حياته الأدبية¹ فبعد أن لامس روح الكفاح منذ الصبا انطلق يناضل بطريقته الأدبية الخاصة، وعلى منوالها جاءت أعماله مفعمة بروح المقاومة والصراع والتحدي، وتتبض بالقوة والشجاعة التي تدفع الفرد والجماعة للكفاح، بقدرته الفائقة على إخراج كل الهموم من حيزها الفردي الخائق إلى حيزها الاجتماعي، فالأحداث التي أثرت في تجربته الإبداعية تتمثل في الكفاح الطويل الذي بدأه في سن الخامسة عشر بنشر الفكر الاشتراكي، حيث ذاق أنواع التعذيب والسجن بسبب انتمائه الحزبي؛ وبعد انفصاله عنه اختار الكفاح بالكلمة² يعترف بأن هناك تأثيراً لرقابة المجتمع والدولة والأيديولوجيا على الأديب، ويختلف هذا التأثير وتتفاوت حدته بين قطر عربي وآخر.

1- ينظر: حنا مينة، الرواية والروائي، ص 13.

2- ينظر: حنا مينة، السيرة والحقيقة، ص 79.

كل أديب هو ابن طبقته وهو المعبر عن مصالحها داخل دائرة الصراعات الاجتماعية التي تشهدها لهذا لم تتوقف تجربته عند حد معين بل استفاد من كل تجاربه وكما اتفق فالكاتب "ثري الأصول سخي المنابع معطاء، ولقد كان لذلك أثره البعيد في تنامي تجربته ورصانة تحولاته وإخلاصه لفنه...¹ فهناك صلة واضحة في الحياة الاجتماعية بين معنى الحياة المليئة بالتجارب وبين الكفاح والنضال، حتى تحمل هذه الحياة أثراً اجتماعياً مهماً للفرد والجماعة معاً، وهذا ما حاول حنا مينة تجسيده في أعماله؛ وتوضيحه في مقالاته ودراساته المتعددة عن فن الرواية، حيث تنفتح أعماله على كافة ميادين الحيز الاجتماعي لتحديد مشاكل الشعب وتصوير معاناته وآلامه.

من المؤكد أن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي به يتأثر الكاتب وفيه يؤثر؛ بأفكاره المتجددة والثورية وطموحه الإنساني الفعال، لا يكاد يختلف جوهرها من بلد عربي إلى آخر، وما يمكن ملاحظته أن حنا مينة كثيراً ما يقدم صورة عن واقع الحياة في سورية خاصة خلال الحربين العالميتين وبعدهما، فهو ينتقي ببراعة أكثر الأحداث دلالة ليبرر التغير الاجتماعي الذي أثر في وطنه، كما برزت آراؤه حول الأزمة الاقتصادية العالمية التي ما لبثت أن شغلت فكره، فصور آثارها على سوريا في "بقايا صور"²، حين وضع أثرها على الفلاحين الذين تعرضوا للمجاعة والبطالة التي حطمت العديد من العمال، مثلما وضع "همنغواي" ذلك في أحد أعماله التي وصف فيها أثر الأزمة الاقتصادية والكساد الذي أصاب أمريكا في فقدان الناس لوظائفهم وتعرضهم للتشرد.

يؤكد حنا مينة بدوره أن الأحداث التاريخية التي لها تأثير خاص في حياته الأدبية هي نفسها التي مر بها الوطن العربي: "الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، النضال

1- خالد الغريبي، التناقض والوحدة في رواية "المستقع" لحنا مينة، ص 28.

2- حنا مينة، بقايا صور، ص 168 - 186.

لأجل جلاء القوات المحتلة، الاستقلال وما تلاه، العدوان الثلاثي عام 1956 على مصر، حرب حزيران 1967، حرب تشرين عام 1973، القضية الفلسطينية¹، فهو أحد أهم الأدباء الذين بدأوا مسيرتهم الفنية مع شعارات يوليو 1952 البراقة وخيالات الحلم العربي القومي، فنجاح الفكر الاشتراكي زاد الكاتب ثقة بتحقيق الوحدة العربية وتحرر الوطن وتطور الابداع²، وما زال هذا الحلم قائماً لتحقيق الوحدة العربية التي كافح من قبلنا للوصول إليها.

لكن سرعان ما تحطم ذلك الحلم الجميل وتحول إلى كابوس مرعب بسبب هزيمة الخامس من يونيو (حزيران)* 1967، وكانت "السقطة مدمرة للأحلام ومخيبة للآمال... نتيجة لما سبق كان الوعي الأيديولوجي عميقاً عند معظم أدباء هذه المرحلة... ومعنى ذلك أن هذا الجيل تنقف ثقافة فكرية واعية، واشتراكية عميقة"³، حركت مأساة فلسطين وجدان الأمة العربية القومي والإنساني، وأصابته الهزيمة الشعوب العربية عامة بالخيبة، لكن صداها كان أعظم على المثقفين والكاتب؛ إذ تركت أثراً بالغاً يظهر في كتاباتهم وبحوثهم، ولا يزال أثرها راسخاً إلى يومنا هذا.

تعتبر القضية الفلسطينية من أهم مواضيع حنا مينة وتحتل مساحات واسعة في أعماله وأبحاثه، لكن الحرب العالمية الثانية والحرب العربية الإسرائيلية تحتلان مكانة

1- حنا مينة، السيرة والحقيقة، ص 79.

2- ينظر: طه وادي، الرواية السياسية، ص 192.

*- فعقب الهزيمة المذهلة التي مني بها المجتمع العربي سنة 1967 ثار في أوساط المثقفين وعامة الناس تساؤلات عديدة، أهمها حول المتطلبات الحقيقية التي تفرضها الظروف الجديدة، فيما يتعلق بالأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث "تكشفت الهزيمة عن مدى بؤس الأوضاع التي يعيشها الإنسان العربي الذي طلب منه فجأة أن يدافع عن شرف أمته، وعن أرضها، دون أن يعد لهذه المواجهة من قبل، فكراً وسياسياً ونفسياً، بما يكفي" (ينظر: سمير قطامي، هزيمة حزيران وأثرها في الرواية الأردنية، مجلة فصول، مصر، العدد 4، 1 أكتوبر 1997، ص 155-156).

3- ينظر: طه وادي، الرواية السياسية، ص 193.

مميزة، فهو دائماً ما يقدم "مجتمعاً منفعلاً بالحرب لا فاعلاً فيها، موضوعاً للتاريخ لا محركاً له..."¹ شأنه في ذلك شأن العديد من الكتاب العرب، الذين اهتموا بالآزمات التي ألت بأوطانهم، فالاستعمار الذي طال العديد من الأمم واحد لا يتجزأ؛ ولا يختلف من منطقة إلى أخرى أو من زمن لآخر، وطموح الحرية واحد بين بني البشر أزهقت بسببه العديد من الأرواح وشردت كثير من الشعوب وحطمت حضاراتهم العريقة.

أما حنا مينة فقد قربته إحساس التهميش والضياع من أنصار الحركة العمالية في سوريا، لأنه وجد لديهم مجالاً لتعميق وعيه الاجتماعي والايديولوجي؛ إذ اتصلت السياسة بحياته الأدبية والعملية، ودخل المحيط السياسي بالتقرب من أبرز رجاله، وهو يعترف دائماً أنه رجل سياسة قبل أن يكون أديباً، حيث وضح العديد من المرات بأنه كاتب سياسي تعلم أبجدياتها في السجون والمنافي، وتعمق فيها رغبة منه في الدفاع عن وطنه وشعبه السوري المعروف بتقاليده الكفاحية²؛ إذ انتقل تدريجياً بين أبجديات العمل السياسي للدفاع عن أبناء وطنه وتحقيق الحرية التي طالما حلم بها.

ومن هنا نريد أن نصل إلى نتيجة مهمة بالنسبة إلى أعماله التي نشر فيها آراءه السياسية، مفادها أنها روايات تركز على الظروف الاجتماعية والسياسية في وطنه، وفي هذا المجال يوضح أنه لولا كفاحه من الجهة الثقافية وما فيها من كرم التضحية والنضال لما استطاع أن يكتشف حقائق كثيرة في وقت مبكر؛ ويقول: "تركزت الانتماء الحزبي... وكرست حياتي للأدب... دون أن يعني ذلك نسيان الماضي... فأنا أعرف أن اليوم الذي أنسى فيه ناسي، أو أدير لهم ظهري... سيكون يوم توقفي عن الكتابة، وتالياً عن الحياة"³، أي أن السياسة تمثل محورا مهماً في معظم رواياته مثل:

1- ينظر: محمد كامل الخطيب وعبد الرزاق عيد، عالم حنا مينة الروائي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1979، ص21.

2- حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص101.

3- حنا مينة، الرواية والروائي، ص14.

المصابيح الزرق، الشراع والعاصفة، الشمس في يوم غائم، الياطر، المرصد، الولاة، نهاية رجل شجاع، حكاية بحار، الرحيل عند الغروب، الثلج يأتي من النافذة... ففي كل منها لمسة ولو بسيطة عن تدهور الأوضاع؛ وضياح الفرد والمجتمع داخل متاهات الصراعات السياسية والحرب.

ساهم الوعي بالظروف المحيطة بالكاتب في إنتاج أعماله المميزة، وهو وعي اجتماعي وسياسي بالدرجة الأولى، لأن السياسة أصبحت تشغل كافة طبقات المجتمع، وعالجت قضايا تهم الأفراد وتهتم ببؤسهم وأفراحهم¹ ولأن وظيفة الأدب كما يتصورها حنا مينة هي وظيفة اجتماعية وسياسية، وباعتباره الأديب يمثل طليعة قومه فهو أكثرهم وعياً وأقدرهم على فهم ألعيب السلطة السياسية، وذلك ما يفسر تعرض الكثير من الكتاب للرقابة والنفي والسجن والتعذيب، وهو أسلوب تتبعه أجهزة الدولة الترهيبية لكبح أفكار المثقفين وأحلامهم نحو التغيير² لم يسلم مثقفو فترات الأزمات وزمن الاستعمار من أنواع الترهيب والتخويف وحتى القتل لهذا تفرض الأوضاع المتأزمة على المبدعين أخذ مواقف بارزة تخدم مصلحة الشعب، وتهدف في جوهرها لتوعية الإنسان البسيط وتعليمه حقوقه وواجباته، كما أن الأديب مطالب بموقف يمليه عليه انتمائه إلى الشعب.

عاش حنا مينة حياته بقناعة أن قانون الوجود هو ما يحكمها، لكنه يرى أن الخروج من الدائرة الضيقة للعيش إلى الدوائر الأوسع قد يكون أمراً مفروضاً، وهذا حال من "فرضت عليهم الظروف المغامرة في سبيل الرزق، أو الاطلاع، والروائيون في الأغلب الأعم يخرجون من الدائرة الضيقة إلى الدوائر الواسعة، ويواجهون الحياة بلا

1- ينظر: نجوى الريحاني القسنطيني، الأبطال وملحمة الانهيار (دراسة في روايات عبد الرحمن منيف)، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص85.

2- ينظر: نزيه أبو نضال، أدب السجون، دار الحداثة، ط1، 1981، ص14.

خوف، وهذا ما ينفعهم في عملهم الروائي، ما دامت التجارب أحداثاً¹، ذلك أن الرواية تبنى على الأحداث الواقعية منها أكثر من الخيالية.

كان الكاتب بطبيعته من الحالمين بغد أفضل، وتغيير العالم بالكلمة لا بالمقص الذي قد يقصد به السلاح أو يقصد به المقص الذي استعمله للحلاقة، فقد تعرف الكاتب على عالم النشر وهو لا يزال حلاقاً، حين كان يرسل بعض القصص إلى الصحف الدمشقية حتى صار اسمه معروفاً وأعماله محبوبة، وما لبث أن أغلق دكانه وسعى خلف تحقيق أحلامه، لكنه لم يكن أمراً هيناً عليه حيث أحس أنه فتح أبواب روحه؛ حين أغلق الدكان وقدم كل مدخراته لوالدته وارتحل إلى بيروت² وهذه التضحيات التي أقدم عليها كل من حنا مينة وهمنغواي وانطلاقهما من كتابة القصص في الصحف والمجلات، أتى ثماره واشتهرت كتاباتهما وأصبحا من أهم كتاب الرواية الواقعية.

لكن سجون الاحتلال الفرنسي علمته أن العالم لا يتغير بالأحلام الطيبة والنيات الحسنة، بل تكون بداية التغيير عن طريق الكفاح؛ مثلما اكتشف ذلك بطل روايته "نهاية رجل شجاع"، فبعد أن سجن تعلم أن التغيير الذي كان يطمح إليه لن يتحقق في ظروفه القاهرة التي أجبر على تحملها، وهو نفس الشعور الذي حتمته الأوضاع المتأزمة على الكاتب، ففي سنة 1947 حين غادر اللاذقية واتجه إلى بيروت أمضى فترة يبحث عن عمل قبل أن يعود إلى سوريا ويسنقر في العاصمة دمشق، ليشغل محرراً في جريدة 'الإنشاء'، ومن هنا بدأ مرحلة جديدة من حياته، ولأنه يأخذ بمقولة أن الروائي الناجح يجب أن يكون صحفياً ناجحاً قبل ذلك، نجده يشبه "همنغواي" إلى حد ما في انطلاقه من الصحافة ليصبح كاتباً مهماً، فكلاهما يؤمن بفائدة مهنة الصحافة

1- حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص433.

2- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص8.

في إثراء محتوى ولغة إبداعاتهما، والصحفي بحكم المهنة في نظر حنا مينة واسع الاطلاع على المشاكل الاجتماعية، حيث جرب هذا بنفسه حين اشتغل في الصحافة السورية، فالمعاناة في العمل الصحفي أفادته بمادته الغزيرة وأيقظ ذكرياته المنسية.¹ بعد انتقاله إلى بيروت* ظل حنا مينة متصلاً بالحياة الثقافية والأدبية في وطنه عن طريق المراسلة، لذلك أصبح حالما عاد إلى دمشق صحفياً شهيراً، فارتقى بسرعة من محرر في جريدة الإنشاء؛ إلى رئيس تحرير مسؤول في نفس الوقت عن الصفحة الأدبية وصفحة السياسة الخارجية، ويعتبر حنا مينة هذه المرحلة من حياته فترة متعبة لأنه كان يعمل كالآلة، بسبب زواجه وتكوينه عائلة أصبح بحاجة أكبر إلى تحصيل لقمة العيش² فكثيراً ما تفرض الحياة العملية على الإنسان إهمال جزء من روحه

1- ينظر: حنا مينة، القلم والأدب والبيئة، عالم المعرفة، سوريا، العدد 380، 1 مايو 1995، ص142.
*- ومثال ذلك قوله: فإن العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، وما اجترح البحارة المصريون والعرب خلاله من بطولات، ومن هؤلاء بحارنا البطل جول جمال، دعيتي إلى التأمل وحركت في أعماقي ذكريات قديمة، عن حياتي كحمال في المرفأ، وكبحار فتي في بعض المراكب، التي تبخر بين عواصم شرق المتوسط... وهكذا وجدت نفسي أمام حدث كبير، كان له دوي في الصحافة العربية والأجنبية... بعد ذلك انصرفت إلى تحليل الأخبار التي تجمعت لدي، وتخصص الأنباء جيداً، فخرجت بيقين أن البحارة العرب قد قاموا بمفاداة كبيرة وخطيرة، وأن مهاراتهم ليست بنت ظرفها، وإنما هي مكتسبة من معارك بحرية على مدى التاريخ العربي... وأن عملي أنا البحار، على أدب البحر، ناتج عن تجارب، وعن معاناة قاسية... (ينظر: حنا مينة، القلم والأدب والبيئة، ص142-143-144).
**- وفي بيروت بدأ بحثه عن العمل، وقضى معظم وقته بالكتابة متأثراً "بغوركي" وترجم له هناك قصة "فرنكا أو ليسوفا" وكان يرسل جريدة "الإنشاء" في دمشق حتى دعي للعمل فيها، فعاد إلى دمشق واستقر فيها سنة 1947، وتمثل هذه الفترة مرحلة النجاح والحياة اليسيرة، وكسب احترام العديد من الناس خلال تلك الفترة، لكن هذا لم يدم طويلاً وعلى واقع الانقلاب العسكري الذي قام به حسني الزعيم سنة 1949، قرر الهجرة إلى بيروت من جديد فراراً من النظام الجديد الذي قرر ملاحقة التقدميين عامة، بيد أن هجرته لم تدم طويلاً، ففي 14 أوت من نفس السنة تغيرت الأوضاع السياسية على أثر انقلاب عسكري جديد فلم يعد لحياته فوق السطوح في مدينة بيروت أي معنى.
(ينظر: محمد الباردي، حنا مينة روائي الكفاح والفرح، ص23).

2- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص8.

لتحصيل رزقه والاهتمام بعائلته، فوصف الآلة الذي اختاره الكاتب جاء ملائماً لدرجة المعاناة التي وصل إليها من أجل العمل والإبداع في نفس الوقت.

أثرت عليه هذه الظروف كثيراً فكتب على منوالها قصة "علبة التبغ" من مجموعته القصصية "الأبنوسة البيضاء"، حيث يصف فيها فترة أليمة من حياته؛ بسرد قصة بطلها الصحفي "إبراهيم" الذي كان معروفاً بآرائه التقدمية؛ ما اضطره إلى التخفي والهرب مثلما فعل الكاتب، حيث لم يستطع "النزول في الفندق، لأنهم يطلبون فيها هويته؛ ولأسباب خاصة به لا يريد أن تكون إقامته معروفة من رجال الأمن، وليس ذلك لأنه كان مطلوباً في لبنان، بل لأنه قد يطلب من قبل سورية، فهو صحفي أغلق حسني الزعيم، غداة انقلابه عام 1949، الصحيفة التي يعمل فيها، وسجن صاحبها ولاحق محرريها، وهو واحد منهم"¹، وانتهى الحال ببطل القصة مثل كاتبها، بالرحيل بعد أن انتهى عهد حسني الزعيم في دمشق، وانتهى معه مبرر وجوده في بيروت فوق سطح أحد البيوت القديمة، وهنا يتضح لنا مدى أهمية العمل الصحفي في إثراء مواضيع قصصه ورواياته، وهذا ما فعله "همنغواي" حيث نلاحظ وجود شخصية الصحفي المثقف أو الكاتب المغامر في العديد من قصصه وروايته.

أما فيما يخص حياة حنا مينة الزوجية، فبعد أن تزوج* تشرد مع عائلته لظروف القاهرة، حين ألحت عليه الحاجة ووجد نفسه يشتغل في مطعم وفي معمل وفي ورشة

1- ينظر: حنا مينة، الأبنوسة البيضاء، ص135.

*- تزوج "مريم دميان سمعان" أصلها من بلدة السويدية، مصب نهر العاصي قرب أنطاكية، وكانت مقيمة في اللاذقية حين التقاها، وصفها بأنها إنسانة طيبة، شعبية، لم تتجاوز دراستها الصفوف الابتدائية، أي أنها مثله من ناحية التحصيل العلمي، لكنها بذكاؤها الفطري تفهمت ظروفه ناضله السياسي ضد الانتداب الفرنسي قبل الزواج، كما تفهمت ظروف الكاتبة بعد الزواج، فوفرت له في الحالتين جواً أسرياً سعيداً، وهو مدين لها بنجاحه، وقد رزقا بخمسة أولاد بينهم صبيان هما سليم الذي توفي في الخمسينات، في ظروف النضال والحرمان والشقاء، والآخر سعد أصغر أولاده، وهو ممثل ناجح شارك في بطولة المسلسل التلفزيوني "نهاية رجل شجاع"، وثلاث بنات: سلوى

بناءً رغم كونه صحفياً وروائياً في بيروت، واضطر إثر ذلك للتوجه إلى أوروبا والعيش في اليابان والصين وغيرها من البلدان، وخلال هذه الفترة ذاق مرارة العذاب والتشرد والبحث عن العمل¹، حيث أنشأ عائلته في ظروف قاسية حتمت عليه التنقل بين البلدان لتحصيل العمل، وكذلك التفرغ للكتابة والإبداع الأدبي ليناضل من جانبه ضد النفى السياسي الذي تعرض له.

جاء قرار العودة النهائي إلى أرض الوطن بعد هزيمة الجيوش العربية في حربها مع العدو الصهيوني سنة 1967، ومر بمرحلة تعد الأصعب في حياته بسبب التشرد والبطالة، إلى أن ساعده أصدقاؤه في تحويل روايته "الشرع والعاصفة" إلى مسلسل، ومنذ تلك المرحلة ابتعد عن عالم السياسة؛ وشرع في انجاز أعمال أدبية متنوعة مع مواصلة العمل في الإذاعة ومجال الصحافة، لتشهد حياته مرحلة من الاستقرار النفسي والاكتفاء المادي وغزارة الإنتاج الأدبي²، فقد استطاع أن يجمع بين السياسة والثقافة لأن الحياة بالنسبة له سياسية بطبيعتها، وبهذا أصبح على حد تعبيره كاتب كل الناس؛ وجميع الطبقات والفئات، وأصبح يعتز كثيراً حين يقرأ له الفقير والأمير؛ الكبير والصغير؛ العدو والصديق... وهذا ما جاء في قوله: "لست خريج الجامعات والمعاهد الأكاديمية، بل خريج السجون والمنافي الحقيقية..."³، مثله مثل همنغواي الذي لم

طبيبة، سوسن طيبة تخدير وتحمل شهادة الأدب الفرنسي، وأمل مهندسة، يقول تزوجن ولم يتبعنني على طريق جهنم: طريق الأدب. (ينظر: حنا مينة، رسالة إلى امرأة... نسيت اسمها، ص 67-68).

1- ينظر: حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص 103.

*- عمل في الصين كأستاذ يعلم العربية التطبيقية في إحدى جامعاتها، وفي المجر أنتج بعض البرامج الأدبية بإذاعة بودابست... (ينظر: حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص 128).

2- ينظر: حنا مينة، هواجس في الكتابة الروائية، ص 7.

3- حنا مينة، رسالة إلى امرأة... نسيت اسمها (مقالات في الأدب والفن)، مكتبة الأسد، دمشق، دط، 2008، ص 10.

يتخرج من جامعة أو معهد بل من الحياة نفسها، لذلك طبعت على أدبهما ملامح من تجاربهما الخاصة.

وفي أيامه الأخيرة نجده يتحسر على ضياع عمره الذي أفناه في الشقاء والكفاح فيقول: " ومنذ أضعت طفولتي بالشقاء، وشبابي في السياسة... سرت في الناس مبعثراً بالعدالة، وأنا أسعى إلى الخلاص بالموت... وبذلك تتم المعادلة بين كسب وخسارة... من خلال التجارب المنقوشة في راحة كفي، ظاهراً وباطناً!¹؛ إذ نلمس هذه المعاناة في أدبه المنبثق من حياته الخاصة وتجاربه الاجتماعية والسياسية، حتى جعل من كل ظروفه مرجعاً هاماً يستقي منه أحداثه وشخصياته؛ التي قد تمثل مرحلة مهمة من تاريخه وتاريخ وطنه، وتوضح مواقفه ومبادئه التي أقام على أساسها حياته.

من خلال أقواله يظهر لنا أن الإبداع بالنسبة له هو رسالة الأديب إلى العالم، وبه يستطيع مجابهة تحدياته بالاعتماد على مفهوم الحرية الفكرية، فدائماً ما تظهر عليه "كونية غوركي... تشريحية بلزك دون حياده، وواقعية محفوظ دون مهادنته، يطالع حنا هؤلاء جميعاً كما في غيرهم، فهو المنفرد المميز في وجوده، محققاً بذلك صفحة مفردة فيما يمكن أن يسمى الواقعية العربية، إن لم نقل الواقعية السورية على وجه التحديد"²، فالأخذ من المبدعين والتأثر بأعمالهم هو من طبيعة الأدباء، لأنها تفتح أمامهم أبواب عوالم جديدة، وبهذا نتفق أن الأدب يلعب دوراً هاماً في عكس معاناة البشر، حين يسلط الضوء على تجاربهم الإنسانية التي تتقاطع بطبيعة الحال مع التجارب الأخرى في كل مكان وزمان.

وصفوة القول ومجمله أن الإنسان هو من يصنع الإبداع الذي قد لا يحصل إلا في جو من الحرية، لكن المسألة صعبة من حيث التساؤل عن العوامل التي تنتج هذا

1- حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص79.

2- ينظر: مجموعة من الكتاب، حنا مينة كاتب البح... بحر الكتابة/جائزة زفراف، ص16.

الإبداع، مسألة حاولنا تفكيك رموزها بداية من الكشف عن دور العوامل الذاتية وصولاً إلى البيئة الاجتماعية والسياسية، "فالتجربة الإنسانية التي تعبر عنها الأعمال الأدبية؛ تتسق بدرجة قد تصل إلى حد التطابق مع طبيعة الواقع المبدع/المتدوق"¹، وتأسيساً على ما سبق نستنتج أن الإنسان اجتماعي بطبعه وفردى بتصرفاته، ومنه قد تتحكم في الإبداع كل تلك العوامل في الوقت نفسه.

فموقف حنا مينة من الإنسان هو عندما يتصدى لمظاهر الظلم الاجتماعي، لكن خاصية هذا التصدي أنه لم يكن من قبل بطل وحيد يواجه قدره، بل بفضل اتحاد شخصيات عديدة تختلف انتماءاتها وطبقاتها الاجتماعية، لأن حنا مينة كان ابن مجتمعه، وهو في هذا عكس الكاتب همنغواي الذي يفتخر بتاريخه الخاص المشبع بمغامراته الذاتية، فمعظم أبطاله يتصفون بالفردية في مجابهة الصعاب، بسبب أيديولوجيته الفردانية التي تهتم بالفرد يقدس، ومسارهما الإبداعي قد يتشابه في مواطن كثيرة مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف البيئة والتكوين الذاتي لكل منهما.

اعتمدنا لدراسة مراحل تطور تجربتهما الإبداعية على مسار تاريخي غير متسلسل، بل حاولنا التركيز على أهم المحطات التي ساهمت في ارتقائهما إلى مراتب مميزة للإبداع؛ باعتباره ظاهرة إنسانية لا يمكن الفصل فيها بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية، فعلى المستوى الذاتي لابد للإرادة أن تتدخل؛ والميول النفسية والموهبة كما يحتوي على نصيب اجتماعي.

وفي حصيلة هذا القسم؛ يتضح لنا أن الباحث لا يمكنه أن يتناول الأثر الأدبي لهذين الكاتبين بشكل منعزل عن رؤيتهما الأدبية الخاصة؛ وفلسفتها الخاصة في الحياة وارتباطاتهما الأيديولوجية، وكذلك تجاربهما الاجتماعية والذاتية على طول سنين

¹ - طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1992، ص90.

حياتهما، فالعمل الأدبي ليس إلا وحدة التصور والممارسة التي تنعكس ولو جزئياً على طريقة التعبير عن المواقف الهامة، حيث يتواجد الأثر الخاص بهما بشكل ملموس تماشياً مع قدرة كل أديب على استيعاب مجالاته المختلفة، ليستخلص بذلك أدباً يخدم مصلحة الإنسانية الواسعة بهمومها وتطلعاتها بهدف التعبير عن أزماتها ومشاكلها، ويلتحم بها لينشر فيها الوعي الذي قد يدفع الواقع للتغير والتحرر والانفتاح على العالم.

الفصل الثاني

"إشكالية الوجود وتجليات الكفاح"

1- الكفاح ضد الطبيعة (البحر):

أ- تجليات الكفاح من خلال التفاعل مع البحر.

ب- أوجه التشابه وأثر الكفاح على البطل.

2- الكفاح الاجتماعي والسياسي:

أ- تفاعل البطل مع الواقع والمجتمع.

ب- تأثير الحرب في وعي البطل ونموه.

تمهيد:

يتحقق مفهوم الكفاح عند أرنست همنغواي وحنا مينة؛ بالارتباط مع الوجود الإنساني على المستويين الاجتماعي/السياسي والفردى في آن واحد، ويتجلى الارتباط الجوهرى بين حركة الإنسان المكافح وكيانه في اتصال وثيق مع آثار المعاناة التي يمر بها أبطال رواياتهما، حيث تتمثل من خلالها المواقف الصعبة التي واجهها كل كاتب في مراحل حياته التي قد تشبه حياة أي إنسان، وما يتصف به أبطالهما من مبادئ ومثل يدافعون عنها ويصارعون كل القوى من أجلها ويقاومون النفس ونزعاتها في سبيل نصرتها كلها تتعلق بإثبات الوجود، ومن هنا جاء اهتمام الكاتبين الشديد بطبيعة وجود الأفراد وعلاقتهم بكل ما يحيط بهم.

في ضوء هذه الدراسة وجب علينا البحث عن الصلات التي جمعت بينهما وأوجه الاختلاف التي تفرقهما، فيما يخص موضوع الكفاح الإنساني ضد عوامل الطبيعة والضعف الإنساني؛ مع العلم أن كلا منهما يرى أن الطبيعة هي ينبوع القوة والجمال وأن الضعف لا يعني الانهزام، كما حاولنا التركيز على جانب مواجهة الظروف الاجتماعية والسياسية، بالأخذ بعين الاعتبار انتماء الكاتبين إلى زمن كثرت فيه الحروب؛ وضاع فيه الفرد البسيط بين أهداف الحرب وإرادته في تحقيق ذاته المتعطشة للسلام لهذا يؤمن كلاهما أن كل إنسان يميل إلى الخوف من الهزيمة؛ لكن الحياة دائماً ما تعلمه معنى الكفاح وترشده إلى سبل المقاومة.

1- الكفاح ضد الطبيعة (البحر):

يمكن تقدير خبرة الكاتب بالنظر إلى تجاربه الغنية وقدرته على وصفها وتحويلها إلى إبداع فني متميز؛ إذ كلما كان أكثر إماماً بالقضية التي يطرحها كانت كتاباته أكثر اتصالاً بحقائق الواقع وأكثر صدقاً في التعبير عنه، حيث لا مجال لمن يريد الكتابة عن الصيد مثلاً؛ أن يعبر عنه دون خبرة في ظروف البحر وتقنيات الصيد وأنواع الكائنات البحرية، وملامسة واقع الصيادين في أرضهم ورحلاتهم البحرية.

من جانب آخر؛ نلاحظ أن الأفكار لا تتكوّن دون جهد بل تأتي بفضل التجارب الحياتية الغنية، لأن الممارسة والخبرة "تتعدى دوماً الخصوصيات الثقافية والأطر القومية، لكي تتشكل مساحات معرفية أو لغات مفهومية تتيح اللقاء بين الذات المفكرة"¹؛ إذ لا يمكن للفرد أن يفهم كل ما يجري حوله دون استيعاب الخبرات المختلفة التي تكوّن شخصيته؛ وتحدد طبيعة رد فعله على المواقف والظروف التي يعيشها، وهذا بالاعتماد على خاصية أن الإنسان يحمل سمات البطل الذي يعتني الكتاب بوصفه، وهكذا كان اهتمامنا بالبطل بكل ما يملك من صفات البطولة، بما أنه محور الرواية وأساسها ويحمل صفات الشجاعة والإقدام والمواجهة والكفاح رغم الهزيمة.

كتب "أرنست همنغواي" رائعته "الشيخ والبحر" The Old man and the sea، وانطلق أساس كتابتها من خبرته الخاصة بعالم البحر وكائناته ويقول: "إني أعرف ما يحدث لرجل في نفس الموقف مع الأسماك... وما يحدث في القارب وفي البحر... لذلك فقد اتخذت رجلاً أعرفه منذ عشرين عاماً مثلاً وتخيّلته في مثل هذه

1- علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، ص 27.

الظروف"¹، وهذا لأنه صاحب الصيادين في أفريقيا وكوبا، كما تعلم حرفة الصيد على يد والده حين كان صغيراً.

ارتقى همنغواي إلى العالمية وزاد تألقاً بهذا المؤلف المميز، فقد استطاع الكتابة عن بطل مكافح استطاع التغلب على خسارته؛ وقلبها إلى فوز في معركة بين قوى غير متساوية، والشيخ سانتياغو (Santiago)* هو رمز للبطل الحديث لأنه يشبه شخصية حقيقية استوحى منها الكاتب قصته، "قالصياد" أنسلمو هرنانديز Anselmo Hernandez هو الشخصية التي ألهمت الكاتب الأحداث الأساسية... ويقول هذا الشيخ أن همنغواي استوحى فكرة روايته "الشيخ والبحر" من قصته الحقيقية...² والشيخ "سانتياغو" هو تعبير عن الإنسان البسيط المفعم بروح الكفاح، لأنه ناضل في البر والبحر خلال مهمة البحث عن رزقه، وشق طريقه معتمداً على جسمه العجوز وعضلاته القوية وشجاعته المندفعة.

بفضل كفاح هذا الشيخ؛ وصل صيت الرواية إلى أبعد ما يمكن تصويره حتى وصلت إلينا وألهمت دراستها، حيث أعجب بها القراء في كافة أنحاء العالم من بينهم الكتاب العرب من أمثال الكاتب السوري "حنا مينة" الذي أعرب عن حبه لأعمال همنغواي وتأثره برواية "الشيخ والبحر" خاصة في روايته "الشرع والعاصفة"، ويؤكد هذا

1- أ. إ. هوتشنر، بابا همنغواي، ص 251.

*- يرى بعض المحللين أن قصة "الشيخ والبحر" مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالهجرة غير الشرعية. فهي مستوحاة من تجربة حقيقية تعود للشيخ الكوبي الذي خرج بقرابه البالي العتيق مواجهاً المخاطر وأمواج البحر... ولكن إرادته قوية، فلم يكن "هارنانداز" هذا مثل "سانتياغو" يغامر من أجل الصيد، بل يغامر ويخاطر بحياته من أجل الهروب من الفقر والجوع والحرمان والظلم، متجهاً بقرابه نحو الشاطئ الآخر قاطعاً مضيق "فلوريدا" كي يصل إلى أمريكا حيث العيش الرغد والهناء والكرامة، مثله مثل بقية الشباب الذين حاولوا الهرب عبر البحر ليصلوا إلى فلوريدا. (ينظر: عبد الكريم كريمي، همنغواي والرواية العربية، ص 107).

2- ينظر: عبد الكريم كريمي، همنغواي والرواية العربية - دراسة مقارنة - (من خلال بعض النماذج)، إشراف: عبد القادر بوزيدة، أطروحة دكتوراه دولة، أدب مقارن، جامعة الجزائر 2، 2010/2011، ص 108.

الأستاذ واسيني الأعرج في قوله: "أن حنا مينة يحدد نفسه لأنه يمتاز بجانبين نقدي وروائي، إذ كتب عن تجربته الروائية بوجهة نظر شخصية ومن وجهة نظر من تأثر بهم كذلك، من أمثال الكاتب الأمريكي الكبير أرنست همنغواي الذي اهتم في بعض نصوصه بالجانب البحري"¹ كان هذا التأثير بارزاً أكثر في روايته الشراع والعاصفة، لذلك نحاول في هذه الدراسة الإحاطة بتجليات هذا الأثر؛ مع التركيز على جانب كفاح الإنسان، ما يحيلنا إلى التدقيق في بعض أعمال هذين الكاتبين والاستعانة بتأثر حنا مينة بهمنغواي كشخص وكأديب مع تقادي تقليد أسلوبه، وهو ما سعى لتوضيحه عدة مرات بقوله: "إن فكرة تقليد أسلوب همنغواي لم تخطر لي على بال رغم أن عالم البحر هو القاسم المشترك بيننا"²، لكن تحديد الصفة التي جاء عليها هذا التأثير صعب بحكم ضبابية ملامحه، لأنه لم يشر في قوله إلى أي مبدأ أو نظرية محددة استقاها من همنغواي في كتاباته.

أ- تجليات الكفاح من خلال التفاعل مع البحر:

يتجلى الكفاح في رواية "الشيخ والبحر" و"الشراع والعاصفة" بعدة صور تختلف باختلاف بطلي الروائيتين وبيئتهما ومجتمعهما لكن الصراع مع البحر كان أكبر مؤثر في تطور البطل وانتصاره، بالنسبة للشيخ "سانتياغو" فقد همشه باقي الصيادين وسكان قريته؛ إذ أصبح يوصف بكلمة *Salao وعاش منعزلاً عن المجتمع يمضي وحدته

1 - ينظر: (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينة)، لقاء تلفزيوني على قناة FRANCE24، <http://f24.my/youtub.AR>، 21 أوت 2018.

2 - حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص8.

* - Salao جاءت من الكلمة الإسبانية Salado بمعنى مالح وهي أسوأ صيغة لسيء الحظ، وهذه الصيغة التي أطلقها والدا الطفل مانولين على الصياد العجوز نظراً لعدم تمكنه من الصيد طيلة ثمانية يوماً، وهذه الصورة تلمح للقارئ بأن الشيخ لن يصطاد شيئاً أو أنه سيمسك سمكة ويخسرهما بطريقة أو بأخرى، وهذا بالتحديد ما جرى في الرواية، ولعل الكاتب ذكر بعض المصطلحات باللغة الإسبانية دون ترجمتها إلى الإنجليزية بغرض إضفاء روح

بمتابعة البيسبول (Baseball)، ولم يبق له سوى صديق وحيد أحبه وهو الطفل مانولين (Manolin).

تبدو قصة هذا الشيخ عادية في ظاهرها، فهو صياد أمضى أربعاً وثمانين يوماً في عرض البحر دون أن يصطاد شيئاً؛ إلى أن حالفه الحظ في اليوم الخامس والثمانين رقم حظه "خمسة وثمانون رقم سعيد، كيف ستراني أحضر سمكة تزن صافية بعد التنظيف أكثر من ألف رطل؟"¹، وحقق استطاع أن يصطاد سمكة ضخمة كانت أضخم من زورقه؛ وهي أكبر تحد مر عليه في ذلك السن، حيث لم تستسلم إلا بعد جهد طويل دام ثلاثة أيام، سحبته خلالها إلى حيث شاءت حتى ابتعد عن الشاطئ، لكنه كافح إلى أن استسلمت واستطاع طعننها بحربته وربطها إلى طرف زورقه، ومن هنا تبدأ المرحلة الثانية من نضاله العنيف، فقد اجتذبت رائحة الدم أسماك القرش؛ وراحت تتوافد إليه لتأكل من لحم السمكة "نصر الشيخ العظيم"، فأصبح يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة؛ وقتل ما استطاع منهم حتى تحطمت جميع أسلحة الصيد لديه، فهزمه القرش واستطاع التهام ما تبقى من السمكة، ولم يبق إلا الهيكل العظمي الضخم حمله الشيخ إلى الشاطئ وهو منهار القوى ومضى لينام ويحلم بمصارعة الأسود.

هذه هي القصة في خطوطها الكبرى والموضوع كما يبدو سهل جداً، لكن همنغواي استطاع أن يحمل هذا الموضوع بالكثير من الطاقة الفنية والأخلاقية والفكرية والإنسانية، حيث أراد تضمين ما رآه وأحس به بأبسط وأفضل طريقة يعرفها، لأن أسلوبه يرتكز على أبسط ما يمكن استخدامه من أدوات تعبيرية لإيصال تجاربه الواقعية، لذلك جعل من "سنتياغو" البطل الوحيد في قصته؛ حتى يمثل صورة الرجل

الثقافة الإسبانية على عمله الروائي، بما أن البيئة التي بنيت عليها أحداث الرواية كانت في قرية صيد إسبانية أو لاتينية أمريكية.

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ت: سمير عزت نصار، الأهلية للنشر، الأردن، ط1، 2002، ص25.

الصامد الذي يرفض الخضوع والاستسلام، وفي غمرة من التحدي قرر أن يواجه البحر بقاربه الصغير على أمل أن ينجح هذه المرة؛ ويحقق فخره أمام الصيادين المتمترين وأهل القرية.

يظهر "سانتياغو" قدرته على تحمل الآلام بصبر وعزيمة غريبيين فهو أقوى منها ولا يؤمن بالهزيمة، وإضافة إلى شجاعته وقوته فهو صياد ماهر متمرس، وكل ما في الأمر أنه لم يعد محظوظاً كسابق عهده؛ لكنه لا يستسلم أبداً ويبدى استعداداته الدائم لمجابهة البحر، لذلك نجده ناضل في العديد من المرات بصبر شديد على حظه السيء واستهزاء الصيادين به وسخريتهم منه، فالكاتب يرسم لنا صورة حية عن علاقة الصيادين بهذا الشيخ غير المحظوظ، فقسم من الصيادين الشباب سخروا منه؛ أما الشيوخ ممن تمرسوا في البحر فكانوا ينظرون إليه بحزن ويحدثونه بلطف.

رغم هذا لم يفقد إيمانه بنفسه بل ظل واثقاً بقدراته رغم معرفته قوة البحر، وظل يستيقظ كل صباح ويحمل ساريته وشراعه وعدته إلى مركبه الصغير؛ ويخرج إلى عرض البحر وحيداً ويجذب بعيداً بحثاً عن رزقه، فحياته لم تكن على الشاطئ حيث الأمان والدفء وسخرية الزملاء وخيبة أمل الصبي، بل هي حيث جذب حبال الصيد والوحدة والجوع والأمواج الهائلة والكائنات المبهرة.

في المقابل يظهر البطل قوياً في رواية حنا مينة "الشرع والعاصفة"؛ والتي كثيراً ما توصف أنها قصة رجال البحر الشجعان، بفضل صراعمهم الدائم مع خوف الموت ومقاومة قوة البحر الهائج الذي يقابلونه "بأشرعتهم الممزقة وقواربهم العتيقة، وعزمهم المستمد من صخور الشيطان، إن فيها لروحاً أسطورياً حنوناً ولكنه غائص في جذور الأرض"¹، تزخر الرواية بشخصيات فقيرة وثرية؛ مناضلة ومظلومة... في تعدد وتنوع

1- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص9.

نموذجي برع الكاتب في عرضه، فهذه الشخصيات هي وسيلته لتجسيد رؤيته للعالم والناس؛ وهو يحمل شخصية البحار في بيئة شخصيته، حيث يجب أن يقود ويقرر، وبالتالي "قد تشبهه شخصياته لكن في الوقت نفسه تنفصل عنه لتدخل في الحياة العامة الأكثر غنى والأكثر تفصيلاً"¹ وعلى هذا الأساس وجب تقديم لمحة عن بطل رواية "الشراع والعاصفة" قبل التطرق إلى إبراز أوجه التشابه والاختلاف بينه وبين الشيخ "سانتياغو"؛ فيما يخص موضوع الكفاح الإنساني مع الطبيعة، ودور كل بطل وطريقته في التعامل مع الأحداث المتأزمة ومدى شجاعته وصموده أمامها.

أظهرت الرواية "أبو زهدي الطروسي" كهلاً عازباً؛ في الخامسة والأربعين من العمر حين تحطم أعز ما يملك "مركبه المنصورة"^{*}، وبعد غرق مركبه الذي كان ريساً عليه؛ أصبح يملك مقهى اختار موقعه على الشاطئ قريباً من البحر، حيث كان يجلس على أطراف الصخور البحرية ينتظر بأمل عودته للبحر رئيساً لا مرئوساً، ومن أجل هذه الغاية رفض كل العروض التي جاءت له للعمل تحت إمرة الآخرين، "تعطل طويلاً، ثم اشتغل "ريساً"، إلا أن أصحاب المراكب بخلاء، يعاملون بحارتهم معاملة العبيد، فلم يطق صبراً... وقال وهو يترك العمل آخر مرة: الذي صوته ليس من رأسه لا يعرف أن يغني"²، وهكذا ظل في مقهاه يتربح لحظة العودة إلى البحر، ويدخل في صراعات مع عصابات الميناء؛ ومع تتابع الأحداث يتعرض لعاصفة أخرى يكَل فيها بطلاً لإنقاذه صديقه الرحموني، ثم يمتلك أخيراً مركباً جديداً ليجر متوجهاً بشجاعة ونبل نحو مستقبله المنتظر.

1- ينظر: (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينة)، لقاء تلفزيوني.

*- غرقت المنصورة عام 1936، حين هبت عاصفة رهيبية على المتوسط وكان هو بين اللاذقية ومرسين، فنجا مع بحارته في قارب صغير، وتحطمت المنصورة وابتلعها البحر.

2- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص51.

نحاول في هذه الدراسة التعرف على مراحل حياة الكفاح التي قضاها البطل في شوق شديد للعودة إلى البحر عالمه المفضل، فبين صخور البحر التي طاف فيها كثيراً افتتح مقهى لتوفير عمل بسيط له، وهناك تحلى بالصبر لأنه دائماً ما أحس أن البر هو منفاه، ناضل لعشر سنوات من الغربة والقهر حتى يعود إلى عالمه الذي شغل باله، ففيه يسترد قوته وثباته ويقود رجاله على متن سفينته، ويشد عزيمتهم للكفاح ومصارعة الأمواج، لأن البحر من أجمل مظاهر الطبيعة وأخطرها، كما يعتبر سراً بالنسبة له "وأبداً لا يحب إفشاء الأسرار"¹ لهذا كان يستريح على أطرافه ويتخيل نفسه في شبه جزيرة.

من جهة أخرى؛ فهو بطل لا يملك إلا رجولته وإنسانيته لأنه ابن مدينة اللاذقية والموانئ البحرية التي تعلم فيها البطولة، فالرجولة هي القيمة الأخلاقية الأساسية التي تكتسب من خلال المغامرة، يصفه الكاتب بقوله: "لقد اعتاد الناس أن يهربوا حين يرشقهم البحر... أما... الطروسي فلم يكن يفعل ذلك قط. إنه لا يتراجع ولا يهرب، ولا يخشى البلل، وحين تأتيه الموجة يكتفي بالقفز من مكانه، مستثيراً البحر ليتابع لعبته بعنف أشد."²

يذكرنا هذا بالشيخ سانتياغو الذي يشبهه الطروسي في وحدته، فهو من الشخصيات التي تصبح قوية في المواقف الصعبة، لأنه رجل قوي هشمه الهرم وسوء الحظ والوحدة كان "عجوزاً يصطاد السمك وحيداً في زورق صغير في تيار الخليج..."³، فهمنغواي بدأ قصته بوصف بطله بأحسن الأوصاف، كما ركز على ربطه بالبحر ارتباطاً شديداً؛ وبمتاعب الصيد والعناء الذي صاحبه، ثم اختار له طريدة

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص14.

2- المصدر نفسه، ص15.

3- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص19.

أكبر منه حجماً وقوة؛ رغم أنها سمكة مارلين (أسماك خيل البحر) ضخمة تحتاج قوة جماعية لصيدها إلا أنه ثبت أمامها وحيداً، واجه الحياة بكل شجاعة مع إدراكه مدى تفاقتها، وهذه الصفات زادت احتراماً وتقديراً للجهد الذي يبذله في الحياة، فمن أشهر أوجه أدب "همنغواي" وجود بطل ذي ملامح خاصة يسمى "بطل همنغواي"، يمتاز بفلسفته ونظامه الخاص في الحياة والتي ترتبط بطبيعة الحال بفلسفة همنغواي نفسه.

كما يرتفع بطل حنا مينة هو الآخر إلى مستوى إنساني يتمثل في صراعه مع الطبيعة؛ إذ يتجسد هذا الصراع من خلال حياته مع الصيادين الذين حطم البحر العديد منهم، فموضوع الرواية يركز على شخصية البطل المكافح المحب للبحر، ودائم الإيمان بأن ساعة تحقيق أحلامه قادمة لهذا استقر على مقربة من البحر في انتظار ذلك؛ على أن هذا الاستقرار الذي كان ينعم به ما لبث أن اضطرب.

وهنا نجد الكاتب يحدد صفات بطله على أنه رجل عنيد لا يتراجع أمام التحدي ويصمد حتى النهاية، فيتعرض بسبب ذلك إلى مجموعة من الامتحانات التي تختبر قدرته على الكفاح، حيث يضطر إلى مواجهة كائنات أخرى لا تختلف عن السمك القوي والمفترس في قانونه للبقاء المتمثل في "القوي يأكل الضعيف"، وتمثلت أولى الاختبارات في أن يرد على "صالح برو"؛ مثير المشاكل الذي استعمل ضده الخنجر بغرض قتله، لكن شهامة الطروسي كانت تمنعه من قتل خصمه وهو على الأرض؛ إذ "طالما عارك... وقاتل كي يشق طريقه ويعيش... كان مصاباً في موضعين، كتفه وفخذه، وكان استناده إلى الجدار يتخذ صفة المقاتل الذي لا يريد أن يضرب غريمه وهو ملقى على الأرض..."¹ فقد أظهر هذا المشهد بشكل غير مباشر صفات النبل؛ والشهامة وكره النفاق، حيث اتصف بقوة مميزة توضح صفة البحار الخبير في ظروف

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص20.

الحياة بمعاركها وانتصاراتها، ومتمرس يعرف خبايا الميناء وغدر المحتكرين؛ لذلك اختار مقاومتهم والدفاع عن نفسه وكل من حوله من صيادين ضعفاء وبحارة.

لعبت الأحداث التي تزدهم بها رواية "الشرع والعاصفة" دوراً في إظهار صفات التضحية والصرامة التي اتصف بها البحار المتعلق بعالمه؛ إذ ملكته عظمة البحر وقوة أمواجه حتى أطلق عليه صفة الملوكية "البحر ملك تلك هي صيحة الاحترام العميقة التي يطلقها كل بحار..."¹، فبحر اللانقية الذي سلب وجدان الكاتب هو البحر الذي يشق إلى بطله، لكن المغامرة الكبرى هي التي تُتوجه بطلاً؛ إذ كان سلاحه في سبيلها "الشجاعة"، ولذلك يتطوع على رأس أربعة بحارة لدخول البحر؛ قصد إنقاذ بحار غرق مركبه في عاصفة هوجاء رغم رفض مدير الميناء، "صحيح أنه لم يعتمد الأشياء لذاتها، ولم يصارع العاصفة ليحظى بالتقدير، غير أن الذي يزرع القمح لا يحصد الزؤان"^{2*}، وكان على المغامرة أن تنتهي بانتصاره وتوجيه بطلاً؛ لتترك تضحيته أثراً بالغاً في نفوس من شهد تلك الحادثة.

من جهة أخرى؛ كان الصراع الذي قام بين الصياد العجوز "سانتياغو" والوحش الأسطوري مفعماً بالأمل وروح المقاومة؛ التي ترفض القتل والفساد من أجل المتعة والمال، ويظهر الكاتب أنه تكهن بلقائه تلك السمكة قبل حدوث ذلك بعد أن وصفه "منولين" بأنه أفضل صياد فيقول: "... أمل ألا تظهر لي سمكة كبيرة فتثبت خطأنا.

— لا يوجد مثل هذه السمكة، إذا كنت لا تزال قويا كما تقول.

1- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص9.

*- الزؤان: عشب ينبت بين أعواد الحنطة غالباً، حَبُّه كحَبِّها إلا أنه أسود وأصفر، وهو يُخَالِطُ القمح فيكسبه رداءة فصل الحنطة عن الزؤان، لا يفرّق بين القمح والزؤان: لا يفرّق بين الصالح والطالح. (معجم المعاني الإلكتروني: [./https://www.almaany.com](https://www.almaany.com)).

2- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص279.

قال الشيخ: قد لا أكون قوياً كما أظن، ولكنني أعرف كثيراً من الحيل وعندي التصميم.¹

يعبر هذا عن إصرار الإنسان وعناده في سبيل مواجهة مصيره؛ إذ يتمثل المصير في قوة السمكة الضخمة حين أصابته دهشة يتخللها الفرح عند اصطادها، كانت أفضل لحظات كفاحه حين التقطت السمكة الطعام، رغم أنه أحس بقوتها وقسوتها إلا أن طعم السعادة أنساه التعب والألم، لكن سرعان ما تبخر شعوره بالفخر؛ حين أدرك أن هذا الصراع سيكون طويلاً وشاقاً قبل أن يستسلم له الحوت العنيد، فقال بصوت عالٍ: "يا سمكة، سأبقى معك حتى أموت. وأضاف قائلاً في نفسه: إنها ستبقى معي أيضاً..."² وهنا أدرك أن مقاومتها ستطول أكثر؛ وبالفعل تصارع معها مدة ثلاثة أيام، فقد كانت خصماً أثقل منه ومن قاربه الصغير الذي لم يقو حتى على جرّها به، وبدأت السمكة تجر القارب بعيداً عن الشاطئ لأن الشيخ لم يستطع أن يسيطر عليه.

نشأت في المرحلة الأولى أثناء ذلك الشد والمسايرة علاقة غريبة بينهما مشحونة بالانفعال والتعاطف، بدأ حينها يشعر بالشفقة على السمكة العظيمة التي جعلها تعلق بصنارته، وهنا تطالعنا إنسانية الشيخ العميقة، بل ويمضي إلى أبعد من ذلك حين يأسى لهذه السمكة؛ وقال في نفسه: "إنها مدهشة وغريبة... أبدأً لم اصطد سمكة قوية كهذه... كان يمكنها أن تحطمني... إنها لا تعرف أن رجلاً واحداً فقط يقف ضدها، كما لا تعرف أنه رجل عجوز... أتساءل إن كانت... يائسة قدر يأسى أنا؟"³ والعجيب في الأمر أنه أحب هذه السمكة بل اتحد معها اتحاداً بالطبيعة كلها؛ فهما متشابهان في كفاحهما ووحدتهما، وهكذا يخاطبها في موضع آخر ليظهر القوة والمحبة في كلامه

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص31.

2- المصدر نفسه، ص31.

3- المصدر نفسه، ص52.

ويقول: "ليتني أطعم السمكة. إنها أختي. لكن يجب أن أقتلها وأحافظ على قوتي لأفعل هذا، ببطء وراحة ضمير..."¹

الحفاظ على القوة أمام الصعاب هو شعار البطلين أمام حياة البحر، تمضي في المقابل رواية "الشراع والعاصفة" لتبرز سمات الطروسي الاستقلالية الراضة للقوى المحتكرة، ويظهر هذا بعد حادثة "صالح برو" حين بدأ يستشعر الفرق بين البر والبحر؛ فالاختلاف بين هذين المحيطين الواسعين كبير جداً "وفهم أن وقفته على البر، وهو في نضج الرجولة، غير سفره في البحر وهو في شرخ الشباب... والعالم يدور في دوامة الأحداث"²، لم يجد مهرباً من كل هذا سوى الخروج واللجوء إلى البحر، ومن خلال الحركة والسلوك والتفاعل مع الأحداث التي أوصلته إلى اتخاذ قرار إنقاذ مركب "الرحموني"، يتمثل أمامنا أكثر أحداث الرواية تأثيراً على البطل؛ من حيث هو الصراع ضد أهوال الطبيعة، وجراء خبرته بأمور البحر من سرعة ومسافة ومجرى الرياح وتقلباتها، امتلاك إحساساً يملكه من معرفة حال البحر من خلال اهتزازات الماء؛ ترسخت المغامرة في دمه بفضل هذا، فهو يحترم البحر ولا يتحداه أبداً لأنه ملك في نظره.

بالعودة إلى الشيخ سانتياغو يصفه الصبي "مانولين Manolin" بأنه من أعظم الصيادين الذين عرفهم؛ لكنه بالنسبة للآخرين صياد عجوز وحيداً ولازمه سوء الحظ، ما جعل أسرة الصبي الذي كان رفيقه الوحيد ومساعدته؛ تمنع إرساله إليه وتنقله إلى قارب صياد آخر أكثر توفيقاً وأوفر حظاً في نظرهم، والصبي رغم تنفيذه رغبة والديه إلا أنه كان يعطف على الشيخ ويحبه ويحترمه لهذا بقي يزوره ويعتني به ويساعده على قضاء حاجياته اليومية، لأنه علمه الصيد وهو في الخامسة من العمر؛ ولم ينس الصبي هذا الجميل لعلمه أن سانتياغو من أمهر الصيادين في منطقته.

1 - أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 61.

2 - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 37.

نلاحظ أن هذا الصبي قد يرمز إلى شباب الشيخ الذي يحن له ويوضح رمز الحاجة إلى الآخر؛ إذ كلما أحس بالتعب والضعف وأثقل كاهله العمل المضني، تمنى بشدة ومراراً وجود ذلك الصبي معه خاصة أثناء رحلته الصعبة في عرض المحيط لهذا أصابته خيبة بسبب وحدته في ذلك الموقف الصعب وتحسر على ذلك كثيراً، وذُكر نفسه بعد الصراخ عالياً بأن الأوان قد فات وهو غارق في صراعه وحده فيقول: "لكن الولد ليس معك. ليس معك إلا نفسك فقط ويحسن بك أن تعمل عائداً إلى الخيط الأخير الآن... هكذا فعل. كان العمل في الظلام صعباً..."¹، وهذا القول وحده كان كافياً ليبعث فيه الثقة والتفاؤل؛ نجده يسيطر على نفسه بفضلها، فأصبح يخاطب نفسه والسمة كذلك ليوضح محبته وحاجته لقتلها رغم تقديره لها، على أمل أن يستطيع تحقيق ذلك لأنه يعلم في قرارة نفسه أنه خلق ليكون بطلاً ويحقق انتصاره مهما كلفه الأمر.

يتمتع هذا البطل ككل أبطال الكاتب بل كهمنغواي نفسه بقوة جسدية جيدة؛ وما يثبت ذلك هو كفاحه الطويل في البحر، وكلما لامس الشيخ قوة السمة ازدادت نفسه صرامة وشدة، واشتدت رغبته في التغلب عليها، ويظهر هذا في قوله: "يجب أن أوفر كل قوتي الآن... لم أكن أعلم أنها كبيرة إلى هذا الحد... لكنني سأقتلها. بكل عظمتها ومجدها"²، كما نلاحظ أن الكاتب استعمل ضمير المؤنث "هي She" بعد أن نشأت علاقة أخوية بين الصياد وسمكه فأصبح يعتبرها أخته، ولم يعد يستعمل ضمير "it" للحيوانات والأشياء في حديثه عنها، لتحمل السمة بذلك صفة الإنسان.

وفي جانب آخر من قصته أصبح رأسه مشوشاً من شدة التعب، ولم يعد يستطيع سماع صوته العالي الذي كان يشحن قوته، وهنا تظهر أعراض الصراع واضحة وصار

1- ينظر: أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص55.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص66.

عليه أن يحتفظ بذهنه صافياً ويتعلم كيفية تحمل الألم كرجل أو كسمكة حسب قوله، وهكذا عاهد نفسه رغم ضعفه ووهن يديه وجسده، واستجمع كل أمله وما تبقى من قوته وعزة نفسه التي تلاشت منذ أمد طويل، وحشد كل ذلك في مجابهة معاناة السمكة التي استسلمت أخيراً وتحولت إلى جانبه وسبحت برفق في محاذاته، فاستجمع كل قواه ورفع الحربة وعرزها خلف زعنفتها الصدرية، وبعد الانتصار عليها قال: "لأحافظ على صفاء رأسي. أنا رجل عجوز متعب. لكنني قتلت هذه السمكة التي هي أختي..."¹ ورغم التعب والمعاناة وكل محبته لها؛ إلا أنه تمكن من قتلها في الأخير، وحرص على التأكد من حجمها وشكلها الضخم الذي لا يزال يفاجئه، نلاحظه أن الكاتب قد ركز على هذا الصراع الملحمي بشدة ووصف كفاح الشيخ ضد تعبته وضد بوادر الفشل والاستسلام؛ وكذا صراعه مع السمكة الضخمة حتى تمكن منها، فالمعركة لم تقتصر على كفاح العجوز ضد قوة السمكة وقوى الطبيعة فحسب، بل قاوم آلامه وجراحه وضعفه؛ ووحدته في معركة الحياة والموت داخل ذلك البحر العظيم.

لكن سرعان ما تلاشى طابع تلك الرابطة السحرية وذلك الانبهار بنصره، عندما ظهر قطيع أسماك القرش التي جذبتها رائحة الدم، وهنا تظهر المأساة الحقيقية في قصة هذا العجوز، لأن الكاتب وضعنا وجهاً لوجه أمام صراع إنساني يتمثل في تعارض الإنسان مع قدره؛ هذا ما يشعر به القارئ، وهنا يكمن سر الكآبة التي نشعر بها أمام كل مأساة، إنه شعور بالعجز أمام القوى العظمى، حيث يرسم لنا الكاتب الحياة نفسها؛ حين تذيبنا حلاوة الأيام ثم مرارتها ثم حلاوتها في مواقف أخرى وهكذا دواليك، ليظهر لنا عدم استقرار الحياة على حال أبداً؛ وضرورة التثبيت بالكفاح للاستمرار في مواجهة تلك التغيرات.

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 90.

استطاع همنغواي أن يخلق جواً من المأساة؛ حين وضع الشيخ أمام مجموعة من أسماك القرش أفسدت عليه نجاحه، ومن خلالها يتمثل قدره الذي يحاربه فترة حتى يفشل ويستسلم، لأن الشيخ مضى إلى البحر بإرادته الحرة، ونجده يتحدث عن اختياراته في الحياة ويقابلها باختيارات السمكة وكأنها نصيرته، يقول: "كان اختيارها أن تبقى في المياه العميقة المظلمة بعيداً عن كافة الحبائل والشراك وأعمال القدر. كان اختياري أن أذهب إلى هناك لأجدها بعيداً عن كل الناس في العالم. نحن الآن مرتبطين معا وظللنا كذلك منذ الظهر. ولا أحد يساعد أي واحد منا. فكر: لعلني ما كان يجب أن أكون صياد سمك. لكن ذلك ما ولدت من أجله..."¹

جاءت المأساة في اللحظات الأخيرة بتدخل من القدر؛ تمثل في قدوم سمكة القرش من نوع (ماكو Mako) لتحطم كل ما جناه بحريته واختياره، وقد مهد لحدوثها حين قال بصوت عال: "إلا إذا جاء سمك القرش. إذا جاءت أسماك القرش، ليرحمه الله ويرحميني"² وما إن انتصف الليل حتى خاض غمار معركة أخرى أدرك أن النضال فيها لا فائدة منه، فقد اندفع نحوه قطيع كامل؛ لم يستطع أن يرى سوى الخطوط التي أحدثتها زعانفها في الماء، وتألّق لونها الفسفوري وهي تنقض على سمكته وما كان له إلا أن يكافح في يأس ضد عدو لم يتمكن حتى من رؤيته بل أحس به وسمعه.

ولنا أن نتخيل بعد كل هذا الإعجاب بهذه السمكة مدى أسفه عليها، حيث لم يكن كفاحه الطويل معها وضدها - معها في مواجهة البحر والقرش؛ وضدها حين قتلها - إلا دليلاً على مقدار الحزن الذي مس قلبه حين هاجمها القرش، ويعبر الكاتب عن هذا المشهد الأليم بقوله: "لم يعد يحب النظر إلى السمكة منذ أن بترت، حين

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص54.

2- المصدر نفسه، ص68.

ضربت السمكة كان الأمر وكأنه ضرب هو نفسه"¹، قتل أول قرش هاجمه وعلم حينها أن رائحة الدم ستجلب غيره؛ لأن الوضع كان أفضل من أن يدوم، فأصبح يتمنى لو كان الأمر حلماً ولم يصطد السمكة مطلقاً، ثم ذكر نفسه كما يفعل دائماً بأن الرجل لم يخلق ليهزم؛ قد يحطم لكنه لا يهزم أبداً، ورغم هذا الحوار الإيجابي لرفع معنوياته إلا أن شعوره بالأسف كان قائماً حين أحس بأنه مقبل على أوقات عصيبة.

أدرك لاحقاً أنه هزم هزيمة نهائية لن ينجح بعدها، عندما تحطم هو وسمكته وتُرك مطروحاً في قاع القارب يجاهد نفسه للوصول إلى الشاطئ، فبعد ساعتين من الإبحار لمح قرشين من نوع جيلانو فقال: "آي، جيلانوس"² وليس هناك ترجمة لهذه الكلمة (آي/ Ay) سوى أنه الصوت المعبر عن الألم، لتبدأ بعدها المعركة الحاسمة بين إرادة الإنسان وروح المقاومة، وبين قوى الطبيعة الجبارة، لأن الكفاح الإنساني مع قوى الطبيعة لم ينته بانتصار سانتياغو على السمكة، بل تجدد مع أسماك القرش التي أخذت تطارد السمكة وتنتهي ما بدأه القرش الأول وتنهش من لحمها، كما أصبحت تهدد مصير العجوز وزورقه وهكذا حاول أن يحافظ على قدر معقول من صفاء ذهنه حتى يتمكن من صنع سلاح بسيط ليدافع عن نفسه وسمكته، لكنه فقده ولم يعد لديه سوى عصا ومجذافين وهراوة راح يضرب بها رؤوس أسماك القرش أثناء مهاجمته.

هذا الصراع الطويل أخذ متعة الحياة والمغامرة من قلب الشيخ؛ حتى أصبح يرغب في الموت للتخلص من مصائبه، فقد غلبته أسماك القرش لأنه كان متعباً جداً لهذا بقي طوال فترة صراعه يتجنب النظر إلى السمكة لأنه يعلم أنها دمرت، ولم يعد يحدثها كما في السابق لكن خطر في ذهنه خاطر فقال: "يا نصف سمكة. أنت يا من

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 97.

2- المصدر نفسه، ص 101.

كنت سمكة. أنا آسف لأنني ابتعدت كثيراً جداً. لقد حطمت كلانا. لكننا قتلنا الكثير من أسماك القرش...¹

صراعه الأخير مع قطيع القرش أكد له أنه هزم بصورة نهائية، وهنا لم تعد تراوده أي أفكار ولم تخالجه أي مشاعر، وما إن اقترب من المرفأ فكر بأن الريح صديقه أحياناً، وأن البحر العظيم مع أصدقائه وأعدائه، ورأى آنذاك نتيجة لخيبته أن كل شيء يبدو له سهلاً؛ وقال في نفسه: "إنه لأمر سهل حين تهزم. لم أعرف أبداً كم هو سهل هذا. فكر: وما يهزمك. قال بصوت عال: لا شيء، أبحرت أبعد من اللازم"² وهنا قد نلمح سر مأساته كلها في قوله لقد أمعنت في الابتعاد عن الشاطئ، لأن الابتعاد عن الشاطئ معناه التحرر والانطلاق والرغبة الشديدة في المغامرة وتجلي روح البطولة، وهذه كلها تنم عن حرية الإنسان واختياره لأعماله، ولكن وراء هذه الحرية قدر لا يستهان به يتعارض معها ويسعى إلى ضبط حدود الطبيعة.

عند وصوله إلى الشاطئ؛ لم يبق من السمكة سوى رأسها الذي لا ينفع لشيء وهيكلها الضخم، وهنا خسر الشيخ معركته غير متكافئة الأطراف بصورة أليمة، عبر عنها الكاتب بشكل دقيق في قوله: " نزع الصاري وطوى الشارع وربطه... وشرع بالصعود. عندئذ فقط عرف عمق تعبته. توقف للحظة والتفت إلى الخلف ورأى على انعكاس ضوء الشارع ذيل السمكة الكبير مرتفعاً... رأى الخط الأبيض العاري لعمودها الفقري والكتلة السمراء لرأسها مع المنقار البارز"³.

استمرت معاناة الشيخ وراح يصعد فسقط عند القمة وتطلب منه الأمر أن يجلس خمس مرات ويرتاح قبل أن يصل إلى كوخه، وهناك نام فوق الجرائد ممدوداً ووجهه إلى أسفل، حين رأى الصبي حالة يديه في الصباح أخذ يبكي وخرج بهدوء تام وتركه

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص107.

2- المصدر نفسه، ص111.

3- المصدر نفسه، ص111.

نائماً حتى استرد بعض قوته، أخذ الشيخ قهوته ليشربها وقال: "هزمتي يا مانولين. لقد هزمتي حقاً... لم تهزمك، ليست السمكة... لا. حقاً. كان هذا فيما بعد"¹، وبتشجيع من الصبي اتفق معه على الإبحار معاً من جديد، رغم أن الشيخ أكد له أنه لم يعد محظوظاً، فالصبي هو إرادة الشيخ وقوته وثقته وشجاعته وروح الشباب والتجديد، وهو المعين الوحيد والوفي في صراعاته المقبلة والدائمة مع قوى البحر، هكذا كانت نهاية معاناته وصراعه بأن يعود في عصر ذلك اليوم إلى النوم ويحلم بالأسود.

هزم الصياد "سانتياغو" بعد صراع طويل مع قوى الطبيعة؛ ربح أغلب الجولات وخسر آخرها، لكنه لم يقهر بل زاده ذلك إصراراً على مواصلة الكفاح، هذا هو المغزى الذي حرص همنغواي على تجسيده في روايته، للتأكيد على ضرورة الاستمرار وتحقيق الانتصارات للحفاظ على الأمل الإنساني.

يتجلى أمامنا الصراع مع أهوال البحر في أبهى صورهِ الملحمية في رواية "الشرع والعاصفة"؛ ملحمة البحر أو قصيدة البحر كما يصفها حنا مينة التي "نُحت بطلها محمد بن زهدي الطروسي من أندر المعادن"²، استطاع أن يثبت قدراته في البحر الذي كان يعتبره مصيبة لم يستطع العيش بعيداً عنها، أما التشويق الذي يشد القارئ فينطلق ما أن تبدأ أحداث الصراع مع البحر؛ فحادث إنقاذ مركب "سليم الرحموني" يمثل الصراع الملحمي ضد عالم الطبيعة، الذي يصفه الكاتب بكل تفصيل وحب "دنيا البحر، نزاراه الكبيرتان، صدره الرحب، موجه ذو الذوائب، أعماقه ذات الأسرار... وفيه يتعلم الكفاح والصبر، ويتذوق حلاوة الانتصار ومرارة الانكسار... فالبحر كالفرس الشموس، لا يعتلي سرجها إلا الفارس المغوار"³.

1- أرست همنغواي، الشيخ والبحر، ص113.

2- حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص277.

3- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص177.

كان هذا البحار يتحرق شوقاً ليمتلك مركبه الخاص من جديد؛ ويركب الموج وينطلق في رحاب العالم الواسع، إذ يسأل نفسه مقهوراً: "ألن أصبح صاحب مركب مرة أخرى؟ ... بلى!! سيكون لي مركب، سأعود ريساً كما كنت، وسأسافر إلى بعيد... فقط لتنته الحرب، وسأبيع المقهى، لا، لن أبيع، سأهبه لأبي محمد"¹؛ ليحقق هذا كان عليه أن ينتصر في آخر صراعاته ويحقق النجاح الذي سيكلله بطلا وفارساً لمركبه الخاص.

كانت العاصفة قادمة؛ أحس بها الطروسي قبل وصولها مثلما أحس "سانتياغو" بإمكانية صيده لسمكة أضخم منه ومن مركبه وصدق ظن كل منهما، فحين أحس "أبو زهدي" بريح تهب من الغرب كانت شخورة الرحموني تتجه إلى منطقة الصيد حين أحس هو الآخر باقتراب غيمة العاصفة، ثارت عناصر الطبيعة على بعضها في قتال لا رحمة فيه، ولم يبال الرحموني بعلامات اقترابها وكان كل همه في الصيد، في الجهة الأخرى كان الطروسي ينظر من النافذة ويفكر فيما يجري حوله والمصائب التي ستجلبها العاصفة معها.

كانت زوجة الرحموني تحاول أن تطمئن نساء البحارة دون جدوى؛ إذ أن ثقتها بقدرات زوجها كانت سبيلها في تخفيف ذلك الخوف والقلق لكن خوفهم كان أكبر هذه المرة، مع مرور الوقت اجتمع الناس في الميناء وبدأت عمليات البحث، عمل الطروسي على أن يطمئن نساء البحارة بحجة أن الرحموني الذي قضى حياته في البحر معهم وبذلك سينجون، وحين سألته امرأة أحد الصيادين المفقودين في البحر: "كيف يعود والبحر جبال؟" أجابها: هذا شغله، البحر لا يخيف الرجال، الموج جبال على رأسي، ولكن الرجال أقوى من الجبال، الرجال تهد الجبال."²

جاء التحول التام منذ لحظة قرار الطروسي إنقاذ المركب المنكوب ونجده مستعداً للقتال بقوله "أنا هنا بانتظار ساعة الإبحار. إنني في جوار البحر ومن أجله فقط يمكن

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص181.

2- المصدر نفسه، ص217.

أن أقاتل، أما إذا تركت وشأني فلن أكون مع هذا ضد ذاك، أنا الطروسي ولست صالح برو"¹، يفصل نفسه عن النزاعات ويجعل من البحر حليفه الوحيد الذي من أجله يجوز القتال، فهو بحار عملي في تفكيره يتقدم نحو الصعاب بإصرار، وهي السمة التي وجدناها تتكرر باستمرار في رواية "الشيخ والبحر" لكن بدرجات متفاوتة، خاصة حين استمر الشيخ في مواجهة الموت والتصدي لقوى الطبيعة، كلاهما يمتاز بقوة الإيمان بالحياة والإرادة والأمل والكفاح من أجل إثبات الوجود والانتصار للذات، لكن الطروسي يمتاز عن الشيخ أنه بدأ فردياً وانتهى إلى التدخل في صراعات من يحيطون به، وأصبح اجتماعياً إلى درجة التضحية بحياته من أجل الآخرين، هذه هي نقطة الاختلاف بين الشخصيتين؛ نسبة لاختلاف ايدولوجية الكاتبين في الحياة، فرؤية حنا مينة تختلف بالتأكيد عن همنغواي، إلا أنهما يتفقان على أن العزلة والعمل الفردي لا ينفع صاحبه ويدفعه نحو الهزيمة والخسارة.

رغم أن نزول الطروسي للبحر في تلك العاصفة كان يشكل خطورة عليه وضرباً من الجنون في نظر رئيس الميناء والصيادين، لكن هذا البطل المغامر لم يكن يفكر في شيء أو يحاول تصنيف فعلته فهي حماقة أم مغامرة أم جنون؛ وهكذا تطوع عدد من الصيادين معه وأخرجوا الزورق من الميناء بصعوبة، ليستلم الطروسي الدفة لأول مرة منذ أعوام.

كان الخروج من الميناء خطراً في حد ذاته، فالبحر أصبح يهاجم الشاطئ بأمواجه الشرسة؛ حتى خيل للبجاعة أن الزورق سينقلب بهم لا محالة، لكن الطروسي أخذ يتجنب الغرق بمهارة حتى صار في عرض البحر فصاح ليشجع رجاله: "خرجنا من الميناء... كلما تقدمنا في البحر تغلبنا على النوء، الموج لا يخيف إلا على

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص45.

الشاطئ¹.. استمر في التقدم بإصرار نحو قدره المجهول؛ ليجابه الموج ويتحدى الألم والضعف؛ استجمع قواه وخبرة البحار القديم المتمرس في مهارة تجهيز وتسيير أمور مراكب الصيد.

في نفس الوقت كان الرحموني تائها وسط البحر؛ بعد أن تحول مركبه إلى لوح خشبي عائم أحس به يضطرب ويدور بغير اتجاه، وهو يجلس القرفصاء ويدها تمسكان بالدفة بعناد يحاول إنقاذ ما تبقى منها أو ما تبقى من نفسه، حيث عقد العزم على التمسك ببقايا مركبه حتى النهاية، ومضى زمن وهو على حاله؛ تمزق شراع مركبه وتحطم كل ما فيه؛ وبقيت إرادة الإنسان متشبثة بالحياة، صور المأساة هنا ماثلة في قول الكاتب: "بيد أنها كانت في صراعها العنيد مع العدم، تتبدد حتى لتوشك أن تستسلم، وتتجمع فتنتفض وتقاوم من جديد"²، أرسل بشارته في قارب صغير بعدما فشلت محاولاتهم البائسة لإنقاذ شخورتها، وأصبح رجلاً وحيداً يتحدى البحر.

تنتقل الرواية لتصور بطلها يخوض غمار البحر في محاولة للتغلب على أمواجه العاتية؛ ويشجع البحارة ويبعث في قلوبهم الثقة والحماسة "شرع ينضح بحماسة بعثت الحمية في البحارة"³، كان يقود المركب والبحارة ويحاول منع الماء من التسرب إلى داخل الزورق، ومضى يكسر الأمواج العاتية وهو خلف دفته يحرق أمامه وكأنه يرى في الظلام، وحين برزت إشراقة من ضوء القمر وسط الغيوم تمكنوا من رؤية بعضهم البعض، وأرسلوا بأبصارهم بعيداً ليستكشفوا ما يحيط بهم، حتى لمح أحد البحارة لوحاً عائماً فوق الماء علامة على قربهم من مكان حطام المركب، وهكذا استعد البحارة لأي طارئ وكلهم أمل لحدوث الأعجوبة التي ينتظرونها أن تحدث في أي لحظة؛ استمروا

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص239.

2- المصدر نفسه، ص222.

3- المصدر نفسه، ص242.

على حالهم حتى ظهر ضوء الفجر الذي بعث السكينة في نفوسهم القلقة المعذبة وأصبحوا يستمدون العزيمة من الضوء.

لكن سرعان ما اصطدمت أنظارهم ببقايا حطام أثارت في أنفسهم التعاسة والقلق، فتكلم أحد البحارة قائلاً: "ترانا تأخرنا يا ريس؟ قال الريس في نفسه: "ليس هذا بسؤال. إنه دعوة إلى الرجوع، لهاث إنسان تعب يفكر بالكف عن المقاومة، وعليك يا طروسي أن تجيب، وأن تشجع، أن تثبت العزيمة من جديد"¹، فقد تعب الريس وبحارته وهزمت عزمته صور الحطام ودلائل موت من كان في الشخورة من أصدقائهم، لكن لم يجد سوى قيادتهم حسب سير الرياح؛ وحين اكتملت الإشراقة واتضحت الرؤية ظهرت معها المفاجأة أو الأعجوبة التي كانوا يأملون حدوثها؛ كانت أمامهم على مسافة غير بعيدة شخورة تطفو محطمة على جانبها فوق السطح.

أدار الطروسي القارب وانحنى على دفته محاولاً التحكم في أعصابه وتوفيرها للعمل الشاق، فتعالت أصوات غناء البحارة وأطلق الريس طلقتين من مسدسه؛ لكن لم يظهر أثر أي بحار على متن الشخورة، فعادت الخيبة وانطفأت الحماسة كما اشتعلت من نفوسهم، وكان قرار الطروسي هنا حاسماً: "لن أترك الشخورة تضيق، فتطلع بعضهم إلى بعض بدهشة واستغراب، هل جننا لننقذ الرحموني والبحارة، أم لننقذ الشخورة؟"² لأنه كان يفكر بعقل بحار فقد مركبه ذات يوم وتحطمت كل حياته معه؛ إذ لو وجد من يساعده وقتها في إنقاذ مركبه لما اضطر أن يفتح مقهى ويهجر البحر من الأساس، فكر في فرحة صديقه بعودة شخورته في حال كان ما يزال على قيد الحياة، كان قرار إنقاذها أخطر من سابقه؛ فمسير زورقهم أصبح معلقاً بمصيرها.

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص248.

2- المصدر نفسه، ص252.

فاجأ الطروسي بحارته في آخر لحظة وهم في غمرة تفكيرهم بمغامرته الجديدة؛ وأدار الدفة ووضع الزورق في الاتجاه المطلوب ثم اندفع داخل الماء في خط مستقيم، واتجه نحو المركب ليرى ما فيه، وخلال ذلك قام بإحصاء الأضرار التي وقعت بها وما ينقصها من أجزاء، في نفس الوقت عادت العاصفة لتضرب من جديد، فيتأكد لنا هنا ماذا يعني أن يكون الإنسان بحاراً وينتزع لقمة عيشه من فك العواصف؛ أما الطروسي فقد "بدا معذباً بتفكير ترف منه وجهه ظلال قاتمة... ومن هيأته كلها يتجلى التوفر والعناد، كنمر يرتكز على قدميه، يتحدى صياده أن يطلق النار، ويتحفر للانقضاض عليه في كل الأحوال"¹ تبعثرت أفكاره للحظات وثار في داخله شعور بالتضحية يتسامى ويدفع به إلى أقصى درجات المغامرة، واتخذ قراره النهائي بإنقاذ الشخيرة مهما حدث، وهنا يقف مشتتاً من جديد فهو يوشك أن يضحى ببهارته وزورقه؛ وإذا أخطأ ظل الذنب يلاحقه؛ وإن عاد خائباً وصفه البحارة أنه جبان، وهنا لن ينفع أحداً ولن يعيد الشخيرة آخر عزاء عائلة الرحموني؛ أم هي عزاء للطروسي نفسه في صراعه المرير ضد أهوال الطبيعة وضد نفسه ومن حوله.

كان وراء هذه الأفكار هدف أكبر وأقوى يدفعه إلى المواجهة، وهو "الشوق إلى معانقة الشهادة في ساحة المعركة، والرغبة الآسرة في توكيد رجولته على نحو أقوى من كل ما سبق... أمنية الرئيس في أن يعود إلى الشاطئ قاطراً وراءه الشخيرة... انتهى إلى رأي قاطع: متابعة المغامرة!"² يشبهه في هذا الشيخ "سانتياغو" الذي قرر إكمال مغامرته وإتمام ما بدأ بنفس الإرادة التي بدأ بها، فصارع ما واجهه من وحوش البحر؛ وغامر بنفسه وزورقه من أجل السمكة التي كانت رمزاً واضحاً لنصره حتى وإن كان نصراً غير مكتمل.

1- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص254.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص255.

أما الطروسي فحاول العودة إلى الشاطئ بالشخورة رمز انتصاره مهما كلفه الأمر؛ مثلما قرر الشيخ العودة بسمكته، وهكذا افترق عن البحارة وأنطلق خلفه الصبي "أحمد" ليشاركة في هذا الصراع، لقد تحدى الصبي رجولة الثلاثة الباقين وهو في هذا الموقف يشبه الصبي "مانولين" حين تحدى والديه وباقي الصيادين من أجل البقاء إلى جانب الشيخ سانتياغو؛ ليشاركة مغامراته وكفاحه وانتصاراته، فكما أظهر "مانولين" بعضاً من صفات سانتياغو في ثقته وصبره وصراعه الذي لا يعرف عجزاً، نلمح صفات من الطروسي تظهر على الصبي أحمد "كان فيه من الطروسي قبس يستدفئونه في جليد خيبتهم... فلما رفعوا رؤوسهم باتجاه الفتى السابح بين الأمواج لاح الصفح... وبان الأسى في وجوههم"¹، يعتبر الطروسي وأحمد دليلاً على حاجة الإنسان للتضحية والحب والاتحاد لتحقيق الانتصار والتعاون واستمرار الكفاح.

صارع الطروسي أمواج البحر في محاولة للنجاة بشخورة الرحموني وسط العاصفة؛ إذ أصبح في "قلب الخطر ولم يبق إلا الكفاح حتى النصر أو الموت، وحتى لو تلفت إلى الوراء طلباً للنجاة فإنه غير مدركها بأية حال لقد "أحرق السفن" وراءه متعمداً ليقطع كل طريق على وسواس الضعف التي قد تنتابه وتلح عليه"²، فكما كان المكان الذي يستهدفه الكاتب بحراً؛ كان من الطبيعي أن تكون شخصية البحار شخصية رئيسية ومحور الاهتمام؛ حيث يظهر جوانب من أثرها وتأثيرها في الأحداث والشخوص.

بعد صراع طويل لمح صديقه أخيراً وأسرع ليتأكد من نبضه فوجد حركة بسيطة من التنفس ما زالت تقاوم للبقاء، وهنا ما عاد يهمه في الأمر سوى مدى قدرة الشخورة على أن تكون وسيلة لإنقاذ إنسان، فبدا له موضع الخطأ في اللحظة التي أرسل فيها الزورق لينقذ البحارة؛ لكنه بهذا قد يفقد الرحموني الذي تكبد كل تلك الأهوال لإنقاذه،

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص260.

2- المصدر نفسه، ص262.

وما لبث أن لمح الصبي أحمد يصارع البحر بجراً وشجاعة أبهرته، حيث أظهر هذا الصبي قوة بثت في نفس البطل الثقة من جديد، فضمه إليه وعلامات الشكر بادية على وجهه بابتسامة تقدير من بحار كهل إلى بحار فتى.

تعاون الطروسي مع الصبي حتى أقلعت الشختورة ونجح في إثبات نفسه كبهار؛ عاد بالنزورق إلى الميناء بعد صعوبات كثيرة، سبقهم البحارة وتم تضخيم الأمر في محاولة لا شعورية لتبرير سبب تركهم للطروسي والصبي وحدهم في عرض البحر، وما إن ظهرت الشختورة من بعيد للمتجمهرين على الميناء تراكض الجميع بعدما فقدوا الأمل من نجاة بطلهم، وهنا جاءت شهادة رئيس الميناء: "هذا بحار يجب أن تقتخر به الميناء، وحرام أن يظل في المقهى لولا أنه عنيد يابس الرأس!"¹، تشبه الدهشة التي أصابتهم إلى حد ما الدهشة التي أصابت الصيادين في قرية "سانتياغو"، بعدما وجدوا هيكل السمكة الضخم ملقى في الميناء، يتجلى الكفاح بأبهى صورته من خلال صراع هذين البطلين وصمودهما أمام كل الصعوبات والمآسي.

فوجئ الطروسي بالحشد في الميناء وهو يقف وراء دفة الشختورة "وأنته الأصوات بعيدة، غريبة، كأنه في حلم، وتذكر ما قاسى فأطبق جفنيه وفكر وصلت أخيراً إذن! ترى ماذا قال البحارة، وهل عرفت أم حسن بالأمر"²، قد يكون هذا دليلاً واضحاً على أن صراعه مع البحر كان محاولة للتغلب على صراعاته الخاصة التي تدور في أعماقه من قلق وتردد، فكان مضطراً للكفاح مهما كانت النتيجة، نلاحظ أن هذه الصفات إنما تقربه بشكل أكبر من صفات "الشيخ سانتياغو"، الذي يملك نفس العزيمة والإصرار وروح المقاومة في صراعه الحاسم من أجل النصر، فرغم صغر سن

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص273.

2- المصدر نفسه، ص274.

"الطروسي" بالمقارنة مع "سانتياغو"؛ إلا أنهما يتشاركان في إصرارهما على الكفاح مهما كانت نتيجته وعواقبه.

يظهر الطروسي في آخر فصل من الرواية فرحاً بأسعد صيف مر عليه منذ ترك البحر، صيف مجده البحري ومصدر البهجة في نفس تألمت جراء صراع مرير وطويل، كافئه أهل الحي وعمال الميناء بمركب صغير وشاركه كل أصحابه فرحته، وعرض عليه بعدها أن يعمل ريساً في أحد المراكب وتتابع العروض من اللاذقية وبيروت وغيرها، وازداد الإقبال على المقهى وزادت شعبيته البطل في المدينة.

اكتملت فرحته مع نهاية الحرب العالمية الثانية وتحقق أخيراً أمله حين نشطت الحركة في الميناء وأعد الرحموني مركباً بعد بيع شخوته "وأعلن في الميناء أن الطروسي ريس المركب"، وأنهما سيتشاركان...¹؛ رفض بادئ الأمر إلا أن الرحموني تمكن من إقناعه، وهكذا أعلنت شراكتها رسمياً، ورغم أنه كان يشعر بالارتباك والقلق والأسى على حياته التي عهد لها لعقد من الزمن، وألفة الجو بين أصدقائه وأم حسن، لكن البحار لا يستطيع البقاء على البر وسرعان ما استأنف حياته في البحر، في الأخير يظهر البطل وهو يستعد لليلة سفره وفرحته عارمة، عقله الداخلي يمور بأحاسيس متباينة لا سبيل إلى تجاهلها وقاع نفسه شفاف يعكس أدق المشاعر ويستدعي أبعد الذكريات: طفولته، صباه، المحروسة، البطرنة، الميناء، علاقاته بالناس عشرته مع أبي محمد، حياته مع أم حسن، عداوته مع أبي رشيد، صداقته مع نديم مظهر، شراكته مع الرحموني، سفراته الماضية والمقبلة، عمره الذي تصرم شعره الذي خطه الشيب، كهولته ماضيه ومستقبله...² وهذا وحده قد يختصر كل ما يمكن قوله حول حياة الطروسي.

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص281.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص358.

اتجه في الصباح الموالي إلى البحر غريمه الذي خسر جولة ضد إصرار هذا البطل، ومع أن للبحر أثراً معه لكن مظهره الأزرق لا يدل على الحق أو الرغبة في الانتقام، "لقد زحفت أمواجه إلى الشاطئ عاتية متحدية غداة إنقاذ شختورة الرحموني، وكان ارتظامها على صخور البطرنه عنيفاً رهيباً يدل على أن له أثراً وأن له خصماً تحداه... قهر جيوش الملك واستذل كبرياء الملكة وطارد العاصفة القوية بشراعه المحطم"¹، لكنه لم يجد من يصارعه، فكان عليه أن ينتظر الفارس الذي ترجل ونزع عدة القتال؛ إلى أن يحين الوقت ويناديه بنفسه للنزال.

عاد الطروسي ينادي خصمه ويسير إلى لقائه واثقاً مطمئناً للنتيجة، مثلما عاد الشيخ "سانتياغو" للبحر رغم الهزيمة التي نالها منه، أعطى "الطروسي" الإشارة للإقلاع "فتحرك المركب... وذكر في لحظة كل أشيائه، كل أصحابه، واستشعر الرغبة في أن يكون معهم..."²، فالطبيعة والبحر قوة دائمة العطاء؛ إذ تمثل بالنسبة له ينبوع الطاقة والجمال، ورغم هذه المحبة والاحترام يسعى دائماً إلى فرض قوته وإرادته عليها، حتى يعود للصراع والمواجهة والكفاح بعد كل هزيمة من أجل أن تكفل جهوده بالانتصار.

ب- أوجه التشابه في تفاعل البطل مع البحر:

يظهر تفاعل البطلين مع البحر بشكل مميز لأنه يشكل عنصراً أساسياً في بناء كيان كل منهما ونتيجة لهذه الدراسة يمكننا استخلاص أوجه الشبه بين الروائيتين بوضوح، "وفي الشراع والعاصفة يعمل الفعل الدرامي ضد الأفكار الرئيسية التي دافع عنها بطلها "الطروسي" الذي يشبه بطل همنغواي في الشيخ والبحر، لأنه يسعى أيضاً إلى إثبات أنه لا

1- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 359.

2- المصدر نفسه، ص 364.

يمكن هزيمة الرجل على الرغم من العقبات والمصاعب¹، وعلى هذا الأساس يمكننا بناء دراستنا وتتبع أوجه الشبه والاختلاف، لأن الكاتبين يؤمنان أن الإنسان يمكن أن يهزم لكن لا يمكن قهره، أما وجه الاختلاف بين بطليهما فهو أن همنغواي جعل بطله وحيداً فخر انتصاره رغم كفاحه الطويل، بينما حنا مينة جعله وحيداً في البداية لكنه ما لبث أن اختلط بالجماعة وارتبط بها؛ حتى تحول ارتباطهم إلى نصر، فعندما ترك الطروسي وحيداً يصارع الطبيعة وظف الكاتب الصبي كرمز للثقة والإصرار والكفاح، وهو مثل الصبي الذي احتاجه "سانتياغو" لينتصر نصراً كاملاً وأدى غيابه إلى الخسارة، لكن هذين البطلين اشتركا في مصير واحد وملامح الكفاح العالية؛ مع إصرار وإرادة لا تحطمها أهوال الطبيعة.

يظهر في هذا السياق أن هذين الكاتبين يعتبران من الأدباء الذين تفننوا في تجسيد وعيهم الجمالي بالحياة وتفاعلاتها المختلفة في شكل متمرد على سلبيات الواقع، ما يدعو إلى استكشاف الطبيعة بالجوء إلى أقوى مظاهرها المتمثلة في البحر ميدان الكفاح والصراع، في محاولة لاستيعاب مشاكل الحياة وإيجاد حلول ملائمة لها، فالهرب إلى الطبيعة وتفضيل مساحة البحر فيها ليس رفضاً للمدينة والحضارة، بل هو في الأساس تعبير عن معاناة إنسانية واجتماعية يضطر الإنسان للتعامل معها بهذا الأسلوب.

يعتبر البحر وما يحيط به وطناً في نظر الطروسي؛ في حين مثل متعة بالنسبة إلى غيره، فهو ماضيه وحاضره ومستقبله وهو بمثابة القدر الذي يلاحقه فيحدده ويتحدد من خلاله؛ إذ قضى فيه زمناً من العذاب والصبر والانتظار، كما تربطه علاقة لا محدودة بالبحر، ويصف الكاتب بطله بقوله: "الطروسي الذي خلقته، أو خلق نفسه من خلالي، أرى إليه كشخص آخر مستقل عني أكثر قيمة مني، أكثر احتمالاً وصبراً..."

1- Muhsin Jassim Ali, The Socio-Aesthetics of Contemporary Arabic Fiction: An Introduction, Journal of Arabic Literature, published by Brill, Netherland, Vol. 14, 1983, p69. (مقال لمحسن جاسم علي في جريدة الأدب العربي بهولندا)

وعندئذ أشعر أنني خالق ومخلوق في وقت واحد، لقد علمته شيئاً وأصبح يعلمني أشياء¹.

حاول حنا مينة من خلال الكتابة عن البحر تجنب التركيز على وصف الصيد البحري وصياديه فقط؛ بل الكتابة "عن البحر في الأعماق، وفي المحيطات، وعن شجاعة بحارتنا وخبرتهم وبسالتهن في مواجهة هذا الأزرق الذي يقال في الأمثال، إن الداخل إليه مفقود، والخارج منه موجود"²، حيث تأخذ رواية حنا مينة شرائح من الحياة الإنسانية، في سعيها المرير نحو ضمان حقوق الصيادين وتحقيق انتصار البطل على المعوقات التي تواجهه.

أما بالنسبة للشيخ "سانتياغو" فيتضح أنه لم ينل مراده بعد كفاحه الطويل؛ رغم أنه اصطاد سمكة كانت من الجمال والعظمة في نظره بحيث لم يعد الناس جديرين بأكلها، وكأن طمعه أدى إلى خسارة كل ما جنى وترك غنيمته هيكلاً عظيماً على الشاطئ لا فائدة منه، لكنه كان علامة قوية لإثبات قدراته أمام الصيادين، والطروسي كذلك كانت أحداث مغامرته قريبة من تجربة الشيخ، فقد خسر الكثير منذ البداية ما اضطره للابتعاد عن حلمه الكبير، كما نلاحظ أنه قرر العودة بهيكل سفينة الرحموني التي مزقتها العاصفة ونجح في إيصالها للميناء، وما هذا إلا دليل على قوة عزمته وكفاحه وهو ما لاحظناه على "سانتياغو" الذي عاد بهيكل ممزق رغم أنه لا فائدة منه، وقد نفترض أن كفاحهما انتهى مكللاً بالانتصار رغم ذلك؛ وقرر كلاهما العودة من جديد إلي صراعهما مع البحر والطبيعة.

تجدر الإشارة في النهاية إلى أن الكفاح في رواية "الشيخ والبحر" و"الشراع والعاصفة"، كان من أجل إثبات الذات الإنسانية أمام الصعاب، والكشف عن قدرة

1- نجاح العطار، الطروسية وعالم حنا مينة الروائي، المعرفة، العدد 146، سوريا، 1 أبريل 1974، ص78.

2- حنا مينة، القلم والأدب والبيئة، ص 144.

الإنسان وما يمكنه تحقيقه في مواجهة الطبيعة؛ إذ أن اختيار الكاتبين للبحر مكاناً وتوظيفه فناً جعل من أمواجه حركة دالة على استمرارية الحياة، فإخلاص الكاتبين للحقيقة يبدو قوياً من خلال تجربتهما الصادقة، وهذا الإخلاص يظهر على أشده في روايتيهما، فكل ما فيهما واقع ملموس مع حس أسطوري ملحمي يظهر من خلال كفاح سانتياغو والطروسي مع قوى البحر الهائلة؛ إذ حاول كل كاتب التعبير عن صيادين وبحارة حقيقيين، وبحراً حقيقياً بجماله وأهواله وكائناته المدمرة.

2- الكفاح الاجتماعي والسياسي:

يشكل الواقع الذي نعيش تفاصيله كل يوم قصة ومغامرة في أذهان المبدعين، حتى أصبحت الرواية مفتاحاً نلج به عمق ذلك الواقع، لأن المضمون الاجتماعي للعمل الأدبي بهذا المعنى لا يستمد في الحقيقة من واقع الحياة في المجتمع؛ بل من مشاهد الكفاح الإنساني داخله وموقف كل أديب من ذلك كله، لأن "المضمون في ذاته قيمة، وهو قيمة تتولد عن مواقف الأديب الفكرية من القيم الأخرى السائدة في المجتمع، فالعمل الأدبي ذو المضمون الاجتماعي هو الذي يضيف إلى مجموعة القيم السائدة قيمة جديدة قد تلغيها أو تعدل منها"¹.

يتأثر الكاتب بطبيعة الحال بكل ما يحيط به لأن له قدرة مميزة على ملاحظة أبسط التغيرات، حتى يستمد تعابيره ومختلف أوصاف وانفعالات شخصياته؛ إذ أنه لا يملك إلا أن يعبر عن تجربته وفهمه العام للحياة، فحين يتأثر بالمجتمع إنما يعكس فهمه هو على هذا المجتمع، فلا ريب أنه حين يقدم نقداً سياسياً أو اجتماعياً لأوضاع مجتمعه أو مجتمع ما، فروايته ستصور بعض الأزمات الفعلية للبشر، مثلما يظهر في أعمال أرنست همنغواي وحنّا مينة، بما أن "ثراء خلق الشخصية وعمقه يعتمد على ثراء

1- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، دط، دت، ص26.

العملية الاجتماعية المتكاملة وعمقها"¹، ما يجعلنا نتصور بالتقريب دقة العلاقة بين البطل كشخصية رئيسية لأعمالهما؛ وبين واقعه في إطار الوضعية الاجتماعية أو السياسية أو التاريخية التي تحاول رصدها كل من روايتي "وداعاً أيها السلاح ونهاية رجل شجاع" التي عنينا بدراستها.

يعتبر عامل الإعجاب سبباً في تعرف الكاتب حنا مينة على أعمال همنغواي وتأثره بها؛ لكن هذا لا يعني النقل الحرفي لها حيث "يمتلك اللاوعي لدى أي كاتب نموذج لقصة خاصة به وحده، وذلك لاختلاف تاريخ كل فرد... بالتأكيد ستحمل قصة كل كاتب سمات متشابهة بين بعضها البعض..."²؛ إذ لا ضرر في تشابه بعض الأعمال فيما بينها مع الحفاظ على عنصر الجودة في الموضوع لتقديم عناصر جديدة للقارئ، وما يؤكد هذا حين تحول حنا مينة من الإعجاب إلى التأثر؛ ويقول: "وقد أعجبت بهذا الكاتب الرائع، وأحسب أنني تأثرت به، لا في الشيخ والبحر، بل في رواياته الأخرى إنه أحد الذين شاركوا في تكويني الروائي"³، لأن العمل الأدبي عند حنا مينة جزء لا ينفصل عن حياته مثلما لاحظنا عند أرنست همنغواي، فكما تمد الحياة الإنسان من عناصرها الخام يمدّها هو بالمقابل من معاناته وكفاحه وتضحياته وفكره، فتكون النتيجة ذلك الاندماج بين الكاتب وأدبه وواقعه.

ومن هنا فلننظر كيف فهم كل من همنغواي وحنا مينة ضعف البشر وقوتهم، وكيف عبرا عن هذا الفهم بدلالات مستخرجة من شخصية بطليهما، ومن الأحداث المتأزمة التي قادت كل شخصية إلى مصيرها الحتمي، سواء كان بالانتصار على

1- تيري إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي، ت: جابر عصفور، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص36.

2- دورثي براندي، لياقات الكتاب، ت: فريق ضاد/غزة، دار كلمات، الكويت، ط1، 2015، ص40.

3- حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص 08، 09.

بعض الصعاب أو الانهزام في النهاية، حتى يتجلى عنصر الكفاح الذي جذب انتباهنا إلى الروايتين، وقادنا إلى تتبع الأحداث المصيرية التي ساهمت في تغيير بناء شخصيات الأبطال.

أ- تفاعل البطل مع الواقع والمجتمع:

يمكننا القول إن السمات المميزة لأدب همنغواي المتشبع بأحداث وتجارب حقيقية أو قريبة منها، استطاعت أن توجه أنظار أجيال عديدة إلى أعماله لما فيها من واقعية، ويعود هذا لقدرته على تجاوز المظهر إلى الواقع حسب قول أحد النقاد الذي يجد أن "هذا الانتقال مسألة معقدة... هكذا جاء همنغواي لي طرح حلولاً لعلاقة الأدب بالواقع، حلولاً تتصل بالتقنية الأدبية، وأخرى تتصل برؤيتنا للعالم"¹، وبالنظر إلى قدرة همنغواي على التوفيق بين استعمال الأوصاف الواقعية وبين استعمال الرمزية، فرواية "وداعاً للسلح A farewell to Arms" رغم أنها تعتبر قصة حرب وحب، إلا أنها تحمل أوصافاً دقيقة لكل ما له علاقة بالطبيعة، لكن التركيز على هذه الناحية فيه إهمال وإغفال للرموز التي لا تظهر بسهولة، من مظاهر الكفاح والصراع والاختراب والدمار، من جانب آخر فقد استطاع "بموهبتة الخاصة... إعطاء، قيمة كبيرة لتجاربه..."² وقد يكون تقديسه لتجاربه الخاصة هو ما يسر مهمته عند وضع كل حدث في محله.

تظهر من عنوان هذه الرواية رغبة همنغواي في ترك الحرب؛ على أن "وداع السلاح" هو وداع للحرب في حد ذاتها؛ بأهدافها التي تقضي على أحلام الشباب تحت شعارات المجد والشرف، وترميهم أجساداً محطمة ليس لهم من أحدٍ يرمم نفوسهم أو

1- غالب هلسا، أدباء علموني... أدباء عرفتهم، دار التنوير العلمي، عمان، ط1، 1966، ص26.

2- ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ص532.

يدفن أجساد من مات منهم، وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الرواية هي ملحمة الذاتية وطريقته الخاصة التي كان يطالب فيها بتحرير العالم، وإذا كان لديه أسلوبه الخاص في رؤية العالم أو وجهة نظر في السياسة؛ فإن ذلك يأتي من تلقاء نفسه، حيث يعتبر همنغواي "أستاذاً في التورية إذ تجري كافة المشاعر في (وداعاً للسلاح) بأسلوب هادئ مما يجعلها أكثر صدقاً... فيعتمد وصف السطح وترك القارئ لفهم العذاب الذي يكمن تحته..."¹

لفهم ذلك العذاب المخفي شدد على عظمة الجبل الجليدي العائم الذي يظهر من خلال القيمة الظاهرة منه فوق الماء، فقد تعلم أسلوبه الفذ في الكتابة من بداية عهده كمراسل حربي، ولا بد من الإشارة إلى أسلوبه الذي أضحى يمتاز بسهولة الظاهرة، وأصبح يعتبر "نموذجاً يحاول الكثير من الكتاب تقليده فيكتشفون صعوبة ذلك، فهو أسلوب موجز محكم مركز، يخفي أكثر بكثير مما يظهر، وقد أصاب صاحبه حين وصفه بأنه أسلوب الجبل الجليدي الذي لا يبدو منه إلا جزء ضئيل... والذي يخفي باقيه تحت سطح الماء"²، وعليه فإن أعماله بجودتها قد تخدع القارئ فيما تظهر وما تخفي، فالجزء الظاهر دائماً مليء بالصور الواقعية أما الجزء الخفي فلا يفهم بسهولة. وقد تمثلت الرواية في شخصية "الضابط فريديريك هنري Lieutenant Frederic Henri"، وهو شاب أمريكي تطوع للعمل في مجال الإسعاف والإنقاذ بين صفوف الجيش الإيطالي؛ رغم أن مجال عمله كان واضحاً إلا أنه لم ينج من ويلات الحرب التي دمرت جسده وأحلامه ونفسه الطموحة، دارت معظم أحداث الرواية في

1- كولن ولسون، فن الرواية، ص193.

2- ينظر: نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ت: جلال أسمر، الأهلية، الأردن - بيروت، ط1، 2010، ص632.

إيطاليا، وجاءت الصفحات الأولى عبارة عن وصف للبيئة وظروفه مع زملائه ونقاشاتهم ورحلاتهم وسهراتهم ولياليهم الصاخبة.

كانت مهمته أثناء تلك الحرب إنسانية إلى حد كبير؛ إذ أحس أن مهمة الإنقاذ كانت منوطة به في بعض الأحيان فيقول: "لكن غروري صور لي، أن حالة السيارات ونقل الجرحى من مراكز الإسعاف... ومن ثم توزيعهم كل إلى المستشفى المقرر له.. كل ذلك منوط بي شخصياً إلى حد كبير، والواقع أن شخصي لم يكن له تأثير ما في أي من هذه الأمور"¹ كلها أحاسيس بطولية لكنه لم يمثل فرقاً كبيراً في تلك الحرب الهوجاء، حيث كان جزءاً من فرقة مهمتها الأساسية إنقاذ الجرحى ونقلهم، ولم يدخل ساحة القتال كمحارب ولم يحمل السلاح إلا في آخر لحظاته فيها، لكن الإنقاذ كان أسمى مهمة إنسانية ساعدت في نمو وعيه الواقعي والاجتماعي خلال زمن وحشي لا يمت للإنسانية بصلة، ومن جهة أخرى أصبح قانونه يعني أن يعيش بشكل صحيح مع توفر الاحترام والشرف والشجاعة في عالم فوضوي ومجهد.

أبدع الكاتب فيها بأسلوب سردي مباشر، يروي بطله الأحداث المحيطة به على شكل حوارات طويلة بينه وبين الشخصيات التي شاركته الأحداث، أما أهم شخصية في حياته كانت الممرضة "كاترين باركلي Catherine Barkley"، تبدأ العلاقة بينهما في وقت مبكر من الرواية حيث رافقته وصولاً إلى نهايتهما المأساوية، كما كانت الأنسة باركلي دائماً ما تستغرب سبب انضمامه إلى الجيش الإيطالي رغم أنه كان أمريكياً، ولم يكن لذلك جواب عنده فهو إنسان غيرت الحرب تفكيره وانضم إلى صفوفها في محاولة للمساعدة فقط، وكانت السمة الرئيسية التي يحملها البطل هي التضحية بالنفس.

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص26.

يبدأ الكاتب بعدها فصلاً جديداً من حياة بطله بعدما يفترق عن كاترين لأنها تأكدت أنه كان يكذب في مشاعره نحوها "لعبة قذرة تلك التي تمثلها!... ولست بحاجة للقول: إنك تحبني، فلقد انتهى دور هذه العبارة"¹، لكنه يبرر أنه كان مضطراً لذلك حتى لا يعود للتخبط بين الخمر والمتعة الزائفة في بيوت الهوى، التي تأتي بدورها على تحطيم النفوس التائهة وتشتيتها، وكان هذا الجانب أسوأ ما وصلت إليه الحالة الاجتماعية وقتها، حيث انتشرت بكثرة وسائل المتعة الزائلة لتشتيت انتباه الجنود والتقليل من حدة هول الأوضاع، وهذا ما يظهر جلياً خلال انسحاب "كابوريتو Caporetto"؛ يوضح الكاتب استغلال الحكومات لجنودها بزرع العديد من بيوت الهوى والبغايا أمامهم حتى يتم سحبهم إليها أينما تحركوا، وهذا ما يصفه مشهد نقل مجموعة من النساء في شاحنة كبيرة، وما يوضح رأي الكاتب قول أحد أصدقاء البطل: "يتقاضين مبالغ فاحشة، الحكومة تستغلنا استغلالاً بشعاً إنها تسرق رواتبنا"²، يوضح هذا المشهد الحالة الاجتماعية والأخلاقية المتدنية التي وصل إليها الإنسان، حين شاع الفساد واضطرب الفرد وتشتتت أموره خلال عصر صراعات كبار الحكومات.

تقف إزاء ذلك الواقع الوحشي والعنيف قصة حب بين البطل والممرضة؛ يتم سردها بأقل قدر ممكن من الوجدانيات، فهذا التباين الحاد بين الكآبة والدفء هو الذي يمنح الرواية تأثيرها العاطفي، لأن الكاتب "كره الكلمات الكبيرة الجوفاء التي تستعمل لخلق أوهام تزور الحقيقة وكذلك الصفات التي يستعملها الكتاب للتعبير عن مشاعر فردية شخصية. وقد تبلور أسلوبه هذا بعد تجربته كمراسل حربي يهتم أول ما يهتم

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص46، 47.

2 - المصدر نفسه، ص219.

بالواقع كما هو¹؛ إذ لابد للكاتب من دراية الخبير أو المشارك في تحولات الواقع إذا أراد أن يكون صادقاً في التعبير عن الفرد.

نجد اهتمام الكاتب العربي "حنا مينة" بهذا الجانب كبيراً جداً، حين كان من الواجب التدقيق في تصرفات البطل وتجاوبه مع محيطه، نظراً للظروف المتأزمة التي كان يعيشها العالم والوطن العربي؛ إذ "قدم تجربة روائية خصبة، انطلق فيها من رؤية فنية وفكرية واحدة... كما أن الرؤية الاشتراكية والصراع الطبقي تتجسد في بؤرة رواياته... استمد رؤيته الاشتراكية من المعاناة الفعلية في أرض الواقع."²

رسمت رؤيته الفنية المميزة الشخصيات في روايته "نهاية رجل شجاع" الصادرة عام 1989، والتي تتعلق بميناء اللاذقية والصيد والتهديب والحرب؛ جاءت مرتبطة بظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية حرجة غير مستقرة، كما تركز هموم الشخصيات المحورية وقضاياها الهامة على الكفاح والنضال في سبيل الوصول إلى مجتمع يخلو من الفوضى والاستغلال والقهر الاقتصادي والوطني يقول الكاتب: "إنّ ما أكتبه يحاول أن يجسّد الجمال الذي خلقه الناس وأدركوه، ومن أجمل هذا الخلق أن يكون الرجال نافعين حقاً وأصدقاء حقاً وشجعان حقاً وأن يكونوا مستعدين لقتال القروش والذئاب، أن يدفعوا عن مملكة الوطن أعداءها وعن المجتمع أعداءه"³.

يمكننا أن نلاحظ منذ البداية أن البطل عند حنا مينة يفرزه ذلك التنافر والتناقض بين المجتمع السوري والحضور الأجنبي فيه، وبذلك ينسجم البطل كلياً وكأي إنسان مكافح مع طموحات شعبه الذي يقاوم خطراً أجنبياً، ما يجعله يحمل وعياً اجتماعياً يتّصل

1 - نبيل شريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ص 664.

2 - شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية في روايات حنا مينة، مجلة فصول، العدد 3-4، مصر، 1 يوليو 1989، ص 143.

3 - حنا مينة، هواجس في التجربة الروائية، ص 91.

بلحظة من التّاريخ، وهكذا يجد البطل نفسه رغم عقيدته وطموحاته الفردية التي يتصف بها في البداية؛ في مواجهة إشكالية اجتماعية قد تشغل تفكيره.

يقدم الكاتب لمحة عن طفولة بطله عكس همنغواي الذي يصف "هنري" انطلاقاً من فترة شبابه وهنا تكمن نقطة الاختلاف بينهما؛ إذ لم يركز همنغواي على تصوير النمو الاجتماعي لبطله مثلما فعل حنا مينة، وهكذا نجد "مفيد الوحش" بطل الرواية نشأ وفي نفسه بذرة الرّفص والتحدّي التي عبرت عنها الرواية منذ صفحاتها الأولى، يصف الكاتب شخصية بطله المشاغب المليء بالحقد والكراهية، حين لم تلق بذرة العنف هذه الرعاية الكاملة لتهدئتها منذ البداية؛ بل تم ربطه بالحبال من قبل والده وضربه حتى أغمي عليه بسبب تخريبه لممتلكات غيره، وكانت أمه تخاف أن يموت من شدة الضرب، فكانت تحاول نصحه وملاطفته لتحديد سبب فعلته التي لا يرضى الله بها، لأنها الوحيدة التي كانت تهمها حاله وهنا يقول: "ثم تسقيني وتطعمني، وتأخذني إلى الفراش الذي أنام عليه وأنا مدمى، مهدود الحيل، فاقد القدرة على الحركة"¹.

بعد أن تحولت فعلته إلى فضيحة ثم إلى فاجعة، تلقى العقوبة من مختار القرية بموافقة ومساندة والده "هذا الولد لن يتوب ويرجع عن شقاوته، إذا لم تتكسر كل هذه الحزمة من الأغصان على قدميه... شرط الفلقة أن يتناثر اللحم وينفر الدم"² هذا موقف جد أليم يتعرض له ولد في سنه وأمام والده الذي لم يقل شيئاً، كان قاسياً يتحرق لإنزال أقصى العقوبة به، عكس والدته التي حاولت كل جهدها لإنقاذه دون جدوى.

لم يحس الفتى بأي ذنب، فقد كان مقتنعاً أن ذنب الحمار هو السبب، لذلك شعر بالظلم وتضاعفت رغبته في الانتقام أجّلها إلى حين يكبر في السن، قرر الفرار من البيت وقطع كل صلة بعائلته وضييعته ويظهر مدى حزنه وحسرتة على حياة الصبا في

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، دار الآداب، بيروت، ط5، 2007، ص8.

2 - المصدر نفسه، ص11.

قوله: "هكذا دفعوني في طريق الشقاوة. لا أنفي أنني كنت شقياً منذ ولادتي، لكن القصاص الذي أنزلوه بي، حوّل هذه الشقاوة إلى قصد، فرحت أبحث عن سبب للشجار، وللاعتداء، وعدت إلى المدرسة أحمل روحاً عدوانية"¹.

هذا ما يجعلنا نتساءل هل سوء تفاهم كهذا سبب كاف للعداوة بين أهل قرية وصبي صغير؟ فحتى والده لم يرحمه أو يحاول الوقوف في صفه؛ بل كان يتمنى موته أو رحيله بأي طريقة؛ إذ نجده يستغرب سبب طرده من المدرسة ونبذه من طرف أهل قريته وبيته رغم بساطة فعله، فهو سبب يستدعي التأديب فقط؛ وكأن الكاتب يحاول أن يوضح من خلال تساؤلات بطله عن سبب شقاء بعض الناس رغم طيبته، فهذا التحامل على الصبي ونعته بأوصاف تحط من شخصه جعله يطمح إلى الانتقام وارتكاب أفعال أخطر، حيث لم يقتنع أبداً أنه يستحق ما وقع له ولا فهم سبب لقب الوحش الذي لم يكن أقرب وصف له أبداً، لا شك أن الأوضاع التي أحاطت بالكاتب كانت تفرض عليه الغوص في جذور المشكلات التي يعرض لها، للكشف عن أسباب الفوضى والقهر والارتباك التي تسود المجتمع، كما تفتح أمامه مجال رسم طريق الخلاص حسب رؤيته، من خلال رسم العلامات التي توحى بالعالم الجديد.

تظهر رموز الاغتراب والتشرد والجوع جلية في رواية همنغواي، خير مثال على ذلك هو مشهد ينقله الراوي بكل واقعية، حين يضطر "هنري" إلى نقل بعض الطعام لزملائه في خندق للاختباء ويتحتم عليه الرجوع بطبق معكرونة بارد وقطعة جبن وسط القصف، ويصف البطل ذلك بقوله: "عند منتصف الساحة دوت فوق رأسنا قذيفة ما لبثت أن انفجرت... ووسط الوميض والدوي سمعنا أزيز الشظايا... فتبعته راكضاً وقطعة الجبن في يدي، قد بدل غبار القرميد المتطاير لونها..."² فباعتبار أن الإنسان

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص15.

2 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص70. 71.

سيواجه الموت فلا يوجد ما يمنعه من الاستمتاع قدر الإمكان بملذات الحياة مهما كانت بسيطة، ورجل همنغواي لابد أن يشرب ويستمتع بالطعام، ويبحث عن الحب ويتلذذ بكل شهية حسية، فعندما جلس "هنري" وسائقو سيارات الإسعاف في وسط ساحة المعركة، يكرسون أنفسهم تماماً للاستمتاع وتذوق كل نكهة من المعكرونة والجبنة وزجاجة من النبيذ السيء، "انهمكوا في الأكل، ذقونهم فوق الطبق، ورؤوسهم تستلقي إلى الوراء... ليحكموا التهام خيوط المعكرونة..."¹

وأثناء ذلك؛ يأتي شبح الموت المنتظر في لحظة يختلط فيها البحث عن الطعام بالبحث عن مسلك للنجاة والتمسك بالحياة، هذا الحادث الذي تعرض له "هنري" اختلط فيه الطعام بدم المصابين وجثث القتلى في مكان واحد، إثر القنبلة التي مزقت أجسادهم، وهنا صاح باسيني Passini رفيق البطل مذعوراً متألماً "أماه، آه يا أمي... إنه باسيني، وعندما لمستته بيدي ارتفع عويله، كانت ساقاه مهشمتين قد انقذفتا بعيداً..."² لعل أكبر مصائب هذا الحادث اجتمعت هنا في زمن واحد، فقد أصيب هو وأعز أصدقائه معاً، ومنعته قواه الضعيفة من تقديم المساعدة اللازمة له، لأن إصابته كانت عظيمة استنزفت حياته فمات وترك "هنري" وحيداً يصارع الآلام الجسدية والنفسية.

تدخلنا هذه التفاصيل بعد أن انقلبت الأمور فجأة إلى دمار وأشلاء جثث ودماء؛ في عالم الكاتب الكثيف بالوقائع الأليمة التي عايشها الإنسان زمن الحرب والدمار؛ إذ أنتجت فوضى اجتماعية أثرت على وعي هؤلاء المنخرطين فيها، فطريقتهم في التعامل مع أكلهم وتقبلهم للوضع الذي أصبحوا فيه؛ ومحاولة البطل إتمام ما بيده رغم القصف يشير ولو بشكل ضئيل أن الحرب أصبحت تمثل حدسهم الحقيقي يتبعون خطاها

1 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص72.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص73.

بشكل طبيعي، وبهذا غالباً لا يفصلون بين أسبابها وما إذا كانت سياسية أو اجتماعية أو قدراً محتوماً.

يصور الكاتب بدقة في موقف آخر الحالة التي وصل إليها بطله؛ في سبيل النجاة بحياته وسط فوضى الهزيمة والانسحاب والقتل العشوائي، ووسط هذا الموقف نجده يصارع الجوع والألم والبرد، ما جعله يفكر بشكل مشّتت وهو يتذكر كاترين فيقول: "لا يمكن أن تشعر بالعاطفة نحو زملائك، نحو هياكل المدافع... ولكنك ستشعر بحنين دافق قوي إلى الإنسان الذي تحبه، والذي تعلم أنه لا يمكنك هنا تخيله... وأنت ترى نفسك الآن، بارداً، وجائعاً... وقد رافقت جيشاً كبيراً مهزوماً يتراجع... وفقدت رجالك، كما يفقد رب البيت كل ممتلكاته في النار.. ولكنك الآن لست مسؤولاً..¹ يعتبر هذا أصدق تعبير عن ألمه لفقدانه كل ما كان يملك، كما أن تخلصه من المسؤوليات التي كانت تثقل كاهله زادت من رغبته في أن تتاح له فرصة الأكل والنوم والجلوس المريح والابتعاد عن كل تفكير بالحرب.

من جهة أخرى؛ كان من اللزوم في ضوء هذا كله البحث عن الصلات التي قد تجمع بطل حنا مينة ببطل همنغواي رغم أنهما يختلفان من حيث البيئة والنشأة والظروف الاجتماعية والسياسية، لكن عنصر الكفاح هو ما قد يجمع بينهما، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الكاتبين اهتمتا بموضوع الحرب من جوانب مختلفة، وهذا راجع لانتماء كل منهما إلى زمن كثرت فيه الحروب وضاع فيه الفرد البسيط بين أهدافها وأطماع قياداتها السياسية، وبين إرادته في تحقيق ذاته من خلال البحث عن السلام وإنهاء الحرب، لكننا نلاحظ أن اهتمام حنا مينة بالظروف الاجتماعية كان أكبر؛ إذ ركز في روايته على أثر الاستعمار والحروب في دمار المجتمع السوري، وهو بذلك

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 262.

يتحدث من منظور مختلف عما ورد في رواية همنغواي التي ركز فيها على وصف تحركات الجيوش والدمار والموت.

نجد بطل حنا مينة قد عاش ظروفًا أكثر قسوة وتعقيداً؛ تختلف عن الظروف التي عاشها بطل همنغواي منذ الصبا إلى حين مشاركته في الحرب، فبعد طرد "مفيد" من المدرسة حرمه والده من دخول بيته أو رؤية أمه وكتب عليه التشرد مجبراً، وهنا يصف معاناته "أنام في مغارة عند طرف الجبل، أو في زريبة ماشية، أو طرف حق، أو كرم تين أو زيتون، وأتغذى من لحم دجاجة أقتنصها، أو خروف صغير أسرقه..."¹ هكذا تشرد في أنحاء القرية لمدة على أمل أن يسامحه والده أو يبحث عنه، لكن ذلك لم يحدث وقرر أن يهاجر ويكفي الناس شره.

رضخ البطل لواقعه بتقبل اسم "الوحش" وأشاعه على نفسه، فكان اسماً على مسمى ويقول: "من كثرة ما عانيت، ومن كثرة ما ناداني والدي والمختار والمعلم وأهل القرية بالوحش، صرت وحشاً حقيقياً"² لهذا استجمع كل ما في طاقته من قوة وقرر أن ينتقم من الدنيا بوحشية، وهنا عبر حنا مينة عن واقع الفرد في ظل الحرب بتصور ناتج عن خبرات واقعية عاشها بنفسه.

تتغير نفسية البطل وانفعالاته أمام تغير الأحداث، بسبب ظروف العمل السيئة واضطراره للسرقة، لكن الأوضاع تبدأ بالتحسن شيئاً فشيئاً حين حظي بمعرفة قريب والدته "إبراهيم الشنكل" الذي أرشده ووجهه قدر الإمكان وأمن له المبيت عنده، وهو أحد الذين آنس إليهم خلال مرحلة تشرده الطويل؛ إذ كان يحمل أفكاراً مفيدة ويمتاز بالطيبة رغم عسر الحياة، كما يعطف على الفقراء بما أنه منهم؛ لأنه كان يمثل شقاوة "مفيد" لكن الفرق الوحيد أنه لم يهرب؛ إذ يقول: "كلنا فقراء... ولكن لا ذنب لنا في فقرنا،

1 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص41.

2 - المصدر نفسه، ص41.

هناك الأغوات والملاكون والدرك، وكل سلطة الحكومة التي تترصدنا... أتعرف لماذا؟... لأننا نوقظ الناس... نحركهم للمطالبة بخروج فرنسا... فإذا كانت لديك قوة، فدافع بهذه القوة على حقلك، عن حقوق الناس، ولا تهدرها في الشقاوة¹ كان كلامه هذا ناتجاً عن أمله في أن يغير "مفيد" سلوكه ويبدأ مرحلة أخرى بعمل شريف يساعد والديه به، هكذا اقتنع إلى حد ما وذهب إلى اللاذقية للبحث عن عمل جديد، فرغم أن "مفيد" لم يكن يستوعب كل الكلام لكنه تأكد أن الحياة معركة؛ لا بد أن يخوضها الإنسان لسبب ما، أما بالنسبة إليه فتلك المعركة كانت تنحصر في تدبير مأوى وطعام.

بسبب سوء الظروف التي وقع فيها لم يتمكن من إيجاد عمل شريف، فيقول: "لأنني جائع فقد سرقت، وسجننت، وبعد خروجي تعرفت على أشقياء مثلي... ولما بلغت... عدت إلى بانياس، على أمل البحث عن عمل شريف، وترك الشقاوات والتوبة عن السرقة"² لكنه بقي على حال التشرد والبحث عن عمل فترة طويلة، حاول أن يعمل في البحر أو يخترع مشروعاً أو يضع خططا لكن خياله كان قاصراً، وبقي على هذه الحال حتى حصل على عمل مع صديقه في فرن للخبز، لكنه سرعان ما انخرط معه في معارك للدفاع عن أبناء المنطقة، أدخل السجن على إثرها وخرج ليعود إلى حياة التشرد من جديد، وهكذا أصبحت طاقته مكرسة للهدر طوال عمره.

في جزئية أخرى؛ يحاول الكاتبان إيضاح أسلوب بطليهما في رفع معنوياتهما؛ للتغلب على الألم والخوف وشد عزمهما بأساليب مضرّة حتمتها عليهما الظروف المحيطة بهما، ويظهر هذا عند همنغواي بتكراره الحديث عن الخمر وإسراف البطل ورفاقه في شرب الكحوليات، ليبين مدى رغبتهم في التخلص من التعب النفسي جراء مشاهد القتل والدمار التي يشاهدونها يومياً، والتقليل من حدة الألم وتشتيت أذهانهم

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص45.

2 - المصدر نفسه، ص46.

بالغرق في الملذات الزائفة، كل هذا بسبب ما يعيشونه في ساحات الحرب وأطرافها، يقول في حديثه مع كاترين: "أنا شخصياً أشعر بشجاعة أكثر بعد احتساء كأسين أو ثلاثة... لقد شربت كثيراً.. سمعت أن البراندي تقدم للأبطال"¹.

وردت العديد من الحوارات عن الخمر ومدى تعلق البطل به، فنجدته يقول "لكاترين" "الخمر مادة عظيمة تجعلك تتسكين كل السيئات... ولكنه سبب داء النقرس لوالدي"² أما كاترين فكانت محافظة لا تحب الخمر لأنه سبب الضرر لوالدها، وفي موقف آخر حين كان الوضع محتتماً والخطر يحيط بهم من كل طرف في القتال، خلال مسيرة الانسحاب هو ورفاقه في محاولة للنجاة من الجيش الألماني، يقول أحد رفاقه: "ما رأيكم في احتساء بعض الخمر؟... حتى إذا وقعنا في الأسر، نكون قد نعمنا بالشراب..."³ وهنا يعتبر الخمر ملاذاً للهرب من الواقع والتوصل من مصائبه بحجة أنه يزيد من شجاعة الإنسان وإقدامه على المصاعب.

فيما يخص تحول شخصية "مفيد"؛ فكان بسبب لقائه بأحد أصدقائه ساعده على توفير اللقمة؛ كما أدخله عالم الخمر، هذا لا يعني أنه لم يذقه من قبل أو أنه يخاف السكر، لكنه كان ضعيفاً وجائعاً حين لقاؤهما، وجديداً في المدينة يحرص فقط على إيجاد سبيل لتوفير عيش كريم، لكن حسن السلوك هذا غيره صديقه في لمح البصر "ملاً لي الكأس، وشربنا نخب لقائنا، ثم نخب قريتنا... ثم شربنا بغير أنخاب، حتى أتينا على بطحتين كاملتين"⁴.

1- أرست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص165.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص182.

3- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص241.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص60.

كان "مفيد" مجرد فتى يريد أن يبدو رجلاً، أما رفيقه "عبدوش الداشر" فيرى في شرب الخمر نوعاً من النضج والقوة ووسيلة للنسيان والتخلي عن الماضي، وكان صديقه يدعوّه إلى ذلك لظنه أنه سيصنع منه رجلاً، فيقول: "تقليد عبدوش في ارتياد المقاهي والخمارات، قد حولني من فتى إلى رجل ناضج... وصرت أعيش على كفي، لا أحد يتدخل في أموري، ولا أحد يحاسبني على ما أفعل"¹، فعل السكر ارتبط هنا بالتحدي والقوة لذلك تكثر بعد شربه المعارك والمشاجرات، حتى اعتاد عليها إلى أن أحبها، وصار حين يفقدها يتحرقش بالآخرين كي يثبت وجوده.

يتضح أن شرب الخمر فعل مرتبط بتحدي الخوف والتصل من أوجاع الواقع، الذي كان يعاني منه كل من "هنري" الذي أصيب باليرقان بسببه و"مفيد" الذي أسرف لدرجة تهديد سلامته وأمان الآخرين، كما أن له علاقة بالحياة التي يقابلها الموت والخطر في كل لحظة تمر عليهما، فكل ما يرهبه الإنسان هو نهايته بالموت، وهكذا تتحد طبيعته البشرية بأسرها لشحن إرادة الحياة في كفاحه ضد علامات الموت، فحسب ظنهما تحتاج الإرادة إلى دفعة جانبية لتقويتها حتى لو كانت مرتبطة بالفساد ودمار النفس، وهذه هي من أسوء مظاهر الفساد الاجتماعي.

بالانتقال إلى قضية اجتماعية أخرى ذات أهمية كبيرة في بناء الفرد، نجد أن روايتي "وداعاً أيها السلاح" و"نهاية رجل شجاع" تعبران عن موضوع صعوبة إتمام الزواج وسهولة العلاقات العابرة؛ خاصة مع انتشار بيوت الهوى بشكل كبير في زمن الحرب، وهنا نجد شخصيات الأعمال التي بين أيدينا منخرطة في الحياة وتعيش بينتها وظروفها، تقدم على مغامرة الحب وسط لهيب الحرب التي كانت تفرق الأحبة بقدر ما تجمعهم وإن كان لقاءهم يأتي بعد صعوبة ومشاكل كثيرة؛ فهو على كل حال يقترن

1 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 67.

فيها بالزواج والارتباط وتكوين أسرة، قد يتعذر بوجود الحرب أو يتم بعد صراع مرير مع الظروف الاجتماعية المتدهورة التي أنتجتها الحرب.

يعبر همنغواي عن رغبة بطله الشديدة في إتمام زواجه من كاترين، فقد كانت أحلى أيامه خلال فصل الصيف الذي أمضاه بصحبة "كاترين"، حين اشتدت قواه بعد تعافيه من إصابته "وهكذا مضت أيام الصيف، سعيدة حافلة... كنا نعتبر نفسيينا زوجين حقيقيين..."¹ طالما رغب "فريدريك" في إتمام زواجه لكن تهديد القائمين على الحرب بإبعادها عنه في حال زواجهما كان هاجساً يمنعهما، حيث تقول كاترين في حوارها معه "لكنهم يا عزيزي سيبعدونني... سيعيدونني إلى إنكلترا!... لن نستطيع القدوم إلى إسكتلندا والعودة... على أن الأهم من ذلك كله أنني لا أرضى فراقك أبداً، وأي فائدة نجنيها من الزواج الآن؟ نحن في الحقيقة متزوجين! هل يمكن أن يتيح لنا الزواج أكثر من ذلك؟"² كبح البطل رغبته في الزواج وحنينه الزائد ليرزق بطفل، أما "كاترين" فكانت عكسه تماماً لم تصر على الزواج مثل باقي الفتيات؛ إذ نلاحظ أنها أكثر الشخصيات نضجاً حين يلتقيان، وكان لابد أن يناضل للوصول إلى مستوى نضجها.

لم تسمح ظروفهما بتكوين أسرة وإتمام حياتهما الاجتماعية في بيت ثابت ومستقر، وهذا ما قد يجعل أي علاقة في ظل الحرب التي دمرت معظم الروابط الاجتماعية؛ أمراً مستحيلاً لا يتحقق في هذه الرواية، يبين الكاتب ذلك من خلال حوار البطل مع إحدى الممرضات "هل ستحضرين حفلة زواجنا يا فاركي... أنتما لن تتزوجا... ستختلفان قبل زواجكما... سيموت حبكما، إما أن تختلفا أو يموت حبكما،

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص141.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص142.

هذا ما سيحدث دائماً، دون أن يتم الزواج¹، وهذا ما يلخص النظرة التشاؤمية التي صاحبت فترة الدمار الاجتماعي.

تعيش المرأة في هذه الرواية داخل عالم مشئت؛ فلا نجدها في بيتها وإن كان في أعماقها شوق إليه، كما وجعلتها حياتها الاجتماعية أثناء الحرب رمزاً للمكان الجميل بالنسبة إلى البطل وأينما تكون يقوم البيت والملجأ، حتى أنها قررت أن تضحى بالطفل وتجهضه ولا تسبب له أي متاعب فتقول: "سوف أضع طفلاً، إنه يبلغ من العمر ثلاثة شهور... حاولت جاهدة إنزاله، وتناولت أنواعاً من العقاقير، ولكنها لم تفد... ولكن أنت يجب ألا تتكرر.. وأعدك أنني لن أجلب لك المتاعب"²، لم تكن متاعب بالنسبة له بل سعادة قادمة إليه.

قد يكون عالم همنغواي عالماً رجالياً يقوم على الصلابة؛ لكن دور المرأة فيه يتمثل في إتمام التكامل مع الرجل فتمنحه الاستقرار الذي ينقصه، تقول كاترين "ولكنك تعرف أنني لم أرزق طفلاً أبداً. وأنا لن أفكر بحب أحدهم يوماً.. وأنا لن جربت طيلة هذه المدة أن أسير في الطريق الذي ترضيك وأن أنفذ مشيئتك..³ صار البطل يحس بالألفة والتكامل معها؛ إذ زال عنهما الإحساس بالفردية والوحدة في علاقتهما، وأصبحا يخططان لسكنهما بعد الحرب، حيث قررت كاترين أن تسكن في بيت عتيق وتنتظر نمو ابنها ليصبح مثل والده.

في المقابل؛ نجد "مفيد الوحش" قد التقى بحبيبته حين كان يعيش متخفياً بعد معركته مع الجنود الفرنسيين مدة ثلاثة أشهر، وساعدته هذه الظروف في الالتقاء "بليبية" المرأة التي وضعها القدر في طريقه حتى تقطع معه الطريق كله وتتحمل في

1 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص134.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص163.

3 - المصدر نفسه، ص163.

سبيله كل المصاعب والآلام، جذبتها نحوه شجاعته ولم تهتم لفكرة أنه سيسجن في أي لحظة، فقد كان ناتج لقائهما كما وصفه "حباً صامتاً، حقيقياً، بين امرأة غير صالحة، ورجل غير تقي"¹ وتحول بذلك من الوحش إلى مفيد فقط، لأنه كان يكره الوحوش وطالما رغب أن يكون نافعاً، لولا أن الظروف تعاكسه وتضعه دائماً في طريق الشر.

كانت رغبته في بناء أسرة وأن تكون لبينة زوجته وسيدة بيته قوية جداً، لكنه وقع في قبضة الفرنسيين قبل تحقيق ذلك وسبق إلى سجن اللاذقية، وبعدما لحقت به "لبينة" وعاشت باستقامة هناك، قرر أن يتخلى عن كل ما يربطه بماضيه السيء ويبدأ من جديد، فعلاقتهم صنعت منهما شخصين جديدين؛ إذ يقول "كأن حبنا صنع منها امرأة جديدة، شريفة، متقانية في سبيلي، وتحرص على أن تعبر لي عن ذلك في كل الزيارات"²، كما أصبحت تضحي بحليها وأموالها لتقدم له اللباس والطعام وبعض المال، في محاولة منها لدعمه خلال محنته.

بعد إتمام فترة السجن راح يبحث عن عمل وقرر عدم البحث عن "لبينة" لأن حالته لم تكن لتسرهما، وهنا يتضح أن ظروفه عادت لتعيق طموحاته في تكوين أسرة وإتمام خطط الزواج، وعاد إلى حياة الشقاء التي لم تفارقه مطلقاً، ورغم تشرده حاول جاهداً عدم العودة إلى عالم السرقة والفساد وبدأ العمل في أحد المراكب، لكن فرحته لم تدم طويلاً وعاد إلى التشرد والبحث عن اللقمة.

كان ينتظر كسب بعض المال ليعود إليها ويؤسس عائلته معها، لأن توفير عيش كريم كان أكبر همه، يقول: "إذا كنت قد فارقتها فهذا بسبب الظروف. الآن ظروفني تغيرت، وستتغير مع الأيام، وأصبح عندي بعض المال، وسأزورها وأعطيها

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص71.

2 - المصدر نفسه، ص75.

شيئاً منه... سأفتش عنها وأفتح لها بيتاً لائقاً¹، لكن هذا قد لا يعني إخلاصه التام إلى غاية لقاءها، فبحكم البيئة التي كان فيها ومحيط الخمر والسرقة وأوكار العصابات، كثرت علاقاته مع بائعات الهوى وتقل بين الكثير منهن.

نجد هنا اختلافه عن "هنري" الذي تجنب الارتباط بأي امرأة أخرى خلال مرحلة ابتعاده عن "كاترين"، أما "مفيد" فقد غرق في الخمر والملذات الزائفة طوال مرحلة افتراقه عن "ليبية"، يعود هذا إلى طبيعة علاقتهما التي توقفت بافتراقهما، رغم ذلك نجده يكافح ليبقي على وعده بأن يحميها ويتخذها زوجة شرعية، لأن الظروف كانت عائقاً كبيراً لارتباطهما، بحكم حاجته لتوفير المال والمكانة في الميناء.

أما "هنري" فنجدته يعود إلى المرأة في رغبة شديدة للعيش معها، فحين أصيب كانت هي ملجأه وحين أصبحت الحرب تلاحقه وبات مطلوباً لهروبه منها؛ ودع كل شيء للبقاء مع "كاترين" رمز النضج والسلام والطمأنينة في حياته، فكانا يتنقلان بين الأماكن بحثاً عن الأمان ويقول: "نعمنا ببشائر السرور تشع في عيوننا... وتحولت الغرفة كأنها عشنا الزوجي المؤمل، لقد كانت غرفتي في المستشفى بيتاً زوجياً هائناً... وها هي الغرفة الثانية في ميلان، تغدو كذلك مأوى... ننهل منه الدفء والسعادة والاطمئنان"²، هيئاً ل نفسيهما رغم الظروف السيئة أماكن جانبية لتعوض إحساس البيت الحقيقي، الذي يصبح فيه ذهن البطل صافياً وتطمئن نفسه.

استمر الوضع هكذا حتى حان وقت عودته إلى الجبهة وهنا وعدته رفيقته في درب الحرب أن تهئ له منزلاً رائعاً عندما تعود، ويمكننا القول إنها تمثل هنا البيت الآمن والهادئ بالنسبة إليه، لأنه لم يحس يوماً أن له مكاناً يلجأ إليه يسمى البيت، ويظهر اغترابه الشديد في قوله "سرت متهادياً، أبحث عن الدار التي كنت أسكنها دون

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص121.

2 - ينظر: أرست همغواي، وداعاً أيها السلاح، ص181.

أن يخالجنى شيء ولو كان ضئيلاً جداً، من شعور العائد إلى منزله. وأخيراً، ظهرت أمام عيني وجميع نوافذها مغلقة، كأنها في شبه هجران¹ هذه العودة إلى موقع عمله كانت بداية أخرى بدون كاترين.

نلاحظ اغترابه عن محيطه وحتى موقعه القديم؛ وما أنس وحدته هنا هو هاجس حبيبته التي لم تقارق مخيلته أبداً، فتفكيره كان مشغولاً بأمر ابنه المنتظر لأنها كانت تمنحه الاستقرار الذي يطلبه "لو لم تكن الحرب لكنت في سريري... في بيتي سرير دافئ وطعام، وهي الآن في سريرها، كاترين بين غطاءين دافئين... أرجو أن تنامي نوماً مريحاً... إنني آسف لأنني سببت لك كل هذه الآلام..."² وهذا وصف بسيط لصور الحب المندمجة مع الحياة والحرب والموت.

حين لم يكن أمامه سوى الهرب إلى سويسرا مع "كاترين"؛ في محاولة لإيجاد ملاذ آمن، اصطدم في أول لقاء بها بنقاش حاد مع رفيقتها "فيركوسن Ferguson" التي وصفته بالمخادع لأنه أوصل كاترين إلى الدمار حسب رأيها فقد كرهته كثيراً، لكنها بعد ثورتها سرعان ما تتراجع وتتمنى لهما السعادة، وهذا النقاش يوضح التناقض الذي وقع فيه البطل جراء محبته لكاترين، لكن نمو شخصيته ووعيه كان قد اكتمل تقريباً فكان تجاوبه مع هذه الحادثة شبه منعدم إذ لم يحب الممرضة وانصرف مع كاترين، استرجع بعد كل التعب والنقاش غير المجدي الشعور بالسعادة فيقول: "السرور والمرح يملآن الغرفة... وشعور العائد إلى بيته يغطي على قلبينا، بعيداً عن الوحدة بعيداً عن التشرد في ظلام الليل... في تلك الليلة... وكل أحاسيس الحياة السعيدة

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 189.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 228.

تتفعل في نفسنا¹ فهنري الذي انطلق في البداية غير مهتم قد وجد شيئاً يؤمن به وهو وجود شخص يحبه.

هدأت حياته بعدها واستقر في سويسرا؛ في بيت خشبي صغير على سفح الجبل الذي تقع فيه بلدة "مونتكس"، وهناك عاشا فترة من الحياة العادية الهنيئة في انتظار مولوده الأول، "أمسيات هادئة جميلة، تنبض بالحياة والعافية وأيام حلوة رائعة، قضيناها على شاطئ البحيرة في سويسرا"²، حيث رحب بهم أهل البلدة بحفاوة، وعاشا بينهم في أمان يخططان للزواج بعد إنجاب كاترين الطفل رغم أن هنري كان يرغب بذلك لحظة استقرارهما "لننزوج الآن... الآن، ليس عندنا متسع من الوقت... بعد أن ألد، حيث نقيم حفلة عرس رائعة"³ وهناك حقاً لمدة قصيرة حياة من النقاء والسلام على حد سواء وعلامات الرضا تظهر بشكل إيجابي.

أما "مفيد" فلا يعود إلى حبيبته، بل يلتقي بها صدفة في أقسى لحظات الوحدة والفراغ التي مر بها، كان لقاءه بلبية مفاجأة بالنسبة إليه، فقد بحث كل منهما عن الآخر ولم يلتقيا إلا بعد فترة طويلة، كانت تنتظره كما أقسمت وقرر هو فوراً الوفاء بوعده والزواج بها، كان قد مل حياة الوحدة "شملتني فرحة أنا أنظر إليها، فرحة الإنسان الذي أضاع شيئاً عزيزاً، ثم فجأة وجده. لقد وجدتتها. كانت ضائعة فوجدتها"⁴ لكنها لم توافقه على كثرة معاركه ودخوله السجن بسببها ولم تقتنع لبية بالحياة التي كان يرى أنها كفاح مستمر؛ لأنها كانت سبباً في العراك وشرب الخمر وتدمير النفس،

1 - أرست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص281.

2 - المصدر نفسه، ص315.

3 - المصدر نفسه، ص317.

4 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص298.

سبب ذلك أنها عاشت فترة فراقهما تكافح هرباً من الذئاب البشرية هي الأخرى، وحاولت جاهدة تكوين نفسها من أجل مفيد.

انتهى عذابهما بعد هذا اللقاء وتزوجها في اليوم التالي؛ لينعم بالاستقرار لأول مرة في حياته، إذ يقول "مفيد": "شعرت لأول مرة في حياتي بالاستقرار، شعرت أن الدنيا كافأتني على صبري، فغمرتني سعادة لم أعرفها من قبل... ثم فجأة وضع رأسه على وسادة مريحة، عاش من جديد، كأنه ولد من جديد"¹، ينقل الكاتب البطل من الوحدة والبؤس إلى الاستقرار، مثلما تبين لنا من خلال تتبع مراحل انتقال بطل همنغواي من الاغتراب والتشرد والوحدة إلى الاستقرار في سويسرا، حظي كلاهما بلحظات من الاستقرار لكن مدة ذلك الأمان كانت قصيرة بالنسبة إلى البطلين.

تتضح من جانب آخر استراتيجية همنغواي المحكمة فيما يخص اقتراب نهاية الرواية، فما تبع تلك المشاهد الهادئة في سويسرا أكثر فظاعة وألماً على النقيض تماماً من ذلك الجزء الشعري من حياة البطل، ويحقق المشهد الأخير من الرواية تأثيره المأساوي والقوي الذي يظهر في كفاحهما الطويل أثناء فترة صراع كاترين مع آلام الولادة المستعصية، لكننا نجدتها تحتفظ بشجاعتها وقناعتها حتى النهاية، شجاعة تحولت إلى تأثير مرعب فحسب وجهة نظرها نهاية الشجاعة كانت الموت لهذا حاولت كثيراً إبعاد فكرة الموت والتحلي بالأمل أنها لن تفارقه، ورغم محاولاتها إلا أن حالة البطل أصبحت مضطربة جداً "لا، لا يمكن أن تموت، لن يحدث ذلك... كل ما في الأمر أن طفلاً سيولد، سيطل على الحياة، وسيجلب معه الفرحة والسرور"².

تحمل هنري الكثير من المعاناة في ظل الحرب؛ وكافح آلام الموت في هذه المرحلة العصبية، لكنه لم يستطع رؤية العملية القيصرية ولم يعد يشعر بالفرح لقدم

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص303.

2- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص333.

ابنه؛ فيقول: "لم أشعر بالعطف نحوه كأنه غريب عني... لقد كاد يؤدي بحياة أمه... حمداً لله لأنني لم أرهم يقصون لحم كاترين. لقد كان ذلك أمراً لا أستطيع احتمال رؤيته حتى من بعيد"¹.

تحول كل شيء بعدها إلى ظلام جراء وفاة الطفل؛ بعدما كان كل شيء مميزاً في نظر البطل تحول كل شيء إلى أشباح ليل رهيبة، ورغم رجائه الكبير وكفاحه ضد نفسه وكل ما حوله للإبقاء على حياتها، يفقدها في مشهد مأساوي ويفقد كل ما كافح من أجله بعدها، فيقول: "ظللت إلى جانب كاترين وهي غائبة عن كل ما حولها، إلى أن لفظت روحها، روحها النقية الطاهرة... أغلقت الباب... لم أستطع البقاء. كان عملي تحية وداعية إلى تمثال من اللحم. فخرجت من الغرفة مغادراً المستشفى والمطر ينسكب فوق مدراراً"² لم تكن نهاية علاقتهم أسطورية بل جعلها الكاتب واقعية بوصفها أمراً دائماً الحدوث في زمن الحرب؛ إذ جاءت تعبيراً عن الضياع الذي يعيشه جيل الحرب بسبب عدم قدرته على التوفيق بين الواقع الذي تمثله الحرب وحاجات المقاتل الإنسانية من الحب والزواج.

نجد نفس الاستراتيجية عند حنا مينة مع اقتراب نهاية بطله الشجاع انقلب الاستقرار في لمح البصر؛ فزوجته كانت تعلم أن مشاكله مع العجوز لن تنتهي وأنه في خطر كبير وتيقنت أنهما سيفترقان، لكن الحديث العائلي بينهما كان يسعده ويعطيه إحساس الألفة ويحبه دون طمع أو أنانية، وحديث صريح بشعور مريح يؤكد له أنه ليس وحيداً وأن هناك من يشاركه حياته ويقاسمه حلوها ومرها، وهذا ما يظهر في حوارهما حين تقول لبيبة "سعيدة جداً. أنت إلى جانبي، إذن الدنيا إلى جانبي. أنا

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 336. 337.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص 343.

مثلك، كنت وحيدة، ضائعة، تعيسة، فلما اجتمعنا، وتزوجنا، وضمنا بيت واحد، لم أعد وحيدة، ولا ضائعة، ولا تعيسة... أنا مثلك تماماً، وكأنك تتكلمين بلساني.¹

تحققت مخاوفها فيما بعد وأصيب في معركة مع رجال "البطحيش" وأدخل السجن على إثرها، لكنها أظهرت خلال تلك الفترة وفاء نادراً "يليق بامرأة نادرة، امرأة رجل شجاع، امرأة عامل في الميناء، امرأة بحار وإن لم يبحر"² مرت سنوات حتى فاجأه مرض السكر ورغم تحذيرات الطبيب وزوجته، إلا أنه لم يأخذ الاحتياطات اللازمة ولم يكثر بالموت كعاداته واستمر على حاله حتى خرج من السجن.

حاول أن يبدأ معها حياة جديدة بعد السجن، لكن المرض كان متقدماً وقرر الطبيب قطع إصبع رجله ما جعله يحس أنها بداية نهايته "الماضي الذي كان فارغاً، دخاناً طيشاً، كان لا شيء، وحين أردت أن أجعله شيئاً، أن أجعل حياتي مستقيمة، شريفة، سخر القدر مني، رماني بالمرض، لتكون نهايتي، مثل بدايتي، سوداء"³ في هذا تعبير واضح عن قرب النهاية حيث ولى عهد الشجاعة والمعارك والسجون.

رغم يقينه أن لا فائدة من العلاج؛ حاول أن يسير في الطريق الصحيح بمساعدة زوجته التي ساندته طويلاً، لكن توقعاته بعدم شفائه كانت حقيقية وقطعت رجله من فوق الركبة وليس الإصبع فقط "لم أجد من المعزين سوى لبيبة، فماذا تفعل لبيبة؟ ماذا تفعل امرأة لزوجها المريض؟ تعزیه؟ تعزي نفسها؟ تتركه يدفن نشوة ماضيه في حفرة مع ساقه المقطوع؟... من أين أستمد الإيمان بالشفاء؟"⁴ وبحاله تلك ورغم آلامه قرر العمل لأجل زوجته لكنه لم يوفق وقطعت رجله الثانية، وهكذا أصبح حسب وصفه

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص338.

2 - المصدر نفسه، ص356.

3 - المصدر نفسه، ص369.

4 - المصدر نفسه، ص373.

كتلة لحم لا هو حي ولا ميت، وصار الباب المطل على الشارع العام كل صلته بالعالم المتحرك من حوله.

جاءت نهايته كما كان يتوقع دائماً، فمفيد الوحش المراهق الشقي الذي لم يلق المعاملة التي يستحقها طوال حياته، هو في الحقيقة شخص طيب ورقيق القلب وكريم وشجاع لكن المجتمع الذي عاش في وسطه ابتداء من الأب القاسي في البيت إلى المعلم الجاهل والمغرور في المدرسة إلى المختار الذي عاقبه من أجل قطع ذيل حمار عبود... كل هؤلاء وغيرهم كانوا سبباً في ضياع مفيد ونهايته المبكرة.

بعد هذا العرض لمراحل حياة البطلين وظهور فكرة الحب والزواج في الروايتين، تتضح لنا ملامح قد تجمع بينهما؛ إذ يتفق تناول الروايتين لقضايا اجتماعية مهمة من حيث البيئة الحاضنة وهي بيئة الحرب، أما أوجه الاختلاف فتتضح في تركيز همنغواي على بيئة الحرب باعتبارها دافعاً كبيراً لتخلي الشخصيات المنخرطة فيها عن أحلامهم وطموحاتهم ثم التخلي عن الحرب نفسها في الأخير، هذا ما يبيده معنى عنوان الرواية "وداعاً أيها السلاح"، أما حنا مينة فأحاط بكافة جوانب حياة بطله منذ الصبا وحتى وفاته، وركز على مرحلة ما قبل الحرب وما بعدها، إذ يرصد حنا مينة في روايته هذه جذور الواقع ويتتبع حركة تطوره، في محاولة لإيجاد طريقة يعيد بها للإنسان إنسانيته التي تتحقق بالكفاح.

ب- تأثير الحرب في وعي البطل ونموه:

اهتم كل من أرنست همنغواي وحنا مينة بوصف الحرب من عدة جوانب، فكان وصفهما مبنياً على أسس واضحة؛ إذ اعتنى همنغواي بذكر تفاصيل طبيعة المكان والزمان من خلال فصول السنة وأثرها على سير المعارك، وكذلك الأثر النفسي للحرب على البطل وباقي الشخصيات المشاركة في أطراف الصراع، ويعود اهتمام همنغواي

بهذه التفاصيل لمشاركته في أحداث الحرب، وكذلك لاهتمامه الكبير بالفرد وتمرده على الأنظمة الاستعمارية لهذا بذل الكثير لوصف معاناته خلال الحرب، أما حنا مينة فصور أثر الحروب والاستعمار على المجتمعات والأفراد، لأن اهتماماته تنصب في تقصي معاناة الشعب وألمه، انطلاقاً من ألمه الخاص وصولاً إلى تحديد صورة أوضح عن آثار الاستعمار على الأفراد والجماعات.

في ضوء هذه المعطيات؛ وجب البحث عن تلك الصلات التي جمعت بين الكاتبين مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف معالجهما هذا الموضوع، فهمنغواي عانى الكثير أثناء فترة الحروب وبعدها يقول: "إن الإنسان يحتاج في الحرب إلى الطاعة، إلى قبول النظام، وإلى الشجاعة، وإلى التصميم. ولكنه يحتاج وقت السلم إلى الاختلاف، والاحتجاج، وأحياناً إلى الرفض والثورة، في عثوره على الطريقة المثلى لحياته على هذه الأرض"¹ وهذا ما لاحظناه على بطل روايته "وداعاً أيها السلاح".

أما حنا مينة فقد واجه السجن والمنفى، فالمسألة بالنسبة له ليست في السجن أو في المنفى بل في ما يكون عليه المرء بعدها، وهنا يقول: "سجنت مرات عديدة، في نضالي ضد الاحتلال الفرنسي، وعرفت المنافي... وتابعت، بعد الاستقلال، كفاحي لتحقيق ما أمكن من مطالب الشعب الضرورية... وقد دفعت الثمن... ولم يكن لدينا ما نخاف عليه، لأننا، أصلاً، مخلوقات العالم السفلي"² حيث شهد كل منهما أهوال الحرب من مكان وبيئة مختلفة، ومعتقدات مغايرة، لكنهما ينتميان إلى زمن كثرت فيه النزاعات والحروب، ضاع فيه الإنسان البسيط بين أهداف قيادات الحرب السياسية، وبين بحثه الدائم لتحقيق ذاته من خلال الرغبة في إنهاء الحرب.

1- رؤوف سلامة موسى وآخرون، همغواي حياته وجيله المفقود، ص 109.

2- حنا مينة، أشياء من ذكريات طفولتي (ذكريات في رواية)، ص 119.

تمثل رواية "وداعاً أيها السلاح" أعظم نجاح لهنغواي؛ هي بالتأكيد إحدى أروع الروايات في القرن العشرين فقد عبر فيها عن جيل الحرب وأثرها عليه؛ إذ أن الموقف الأساسي الذي تدور حوله كتابات المؤلف هو "الإنسان في مواجهة الموت، إنه الجندي في معركة لا تنتهي، وليس هذا هو الوضع الإنساني السائد، بل هو الخيار الذي يجعل الحياة تستحق أن تعاش، خارج هذا الموقف لا يوجد سوى الضياع والعنانة"¹ فالمواقف الخطيرة دائماً ما تبرز معدن الشخصيات، ويمكن أن تكون هذه العبارة هي أصدق وصف لما يطمح له الكاتب من خلال روايته ويقول: "لو أن كل واحد يرفض بدء القتال لانتهدت الحرب."²

أما بالنسبة لبطل هنغواي فهو يرفض الظروف الاجتماعية والسياسية التي حتمت عليه الحرب أن يخوض غمارها، حيث تعتبر الحرب نفسها أولى الظروف التي كافح البطل خلالها، وهذا ما تخلفه الحروب مهما كان هدفها؛ إذ دائماً ما تعتبر حداً فاصلاً بين فترات مختلفة سواء كان ذلك نحو التطور أو الانحطاط، باعتبارها محصلة لجميع عوامل التغير التي شهدتها شعوب العالم، ولا تزال تعيش مع صور الحرب القائمة إلى يومنا هذا.

يخوض الملازم "فريدريك هنري" حربه في سبيل الحرية والكرامة، وهذه الرواية هي قصة حرب؛ إذ تروى فيها الحقيقة القاسية عنها بدلا من تمجيدها، ففي نقاشه مع زملائه المسعفين يقول أحدهم "إنني أؤمن بضرورة إنهاء الحرب، ولكنني أعتقد أنها لن تنتهي بمجرد توقف أحد الجانبين عن القتال..."³ وهنا يظهر اتفاقهم على رفض الآثار الأليمة للحرب رغم مشاركتهم فيها، ويقول "باسيني" أحد زملائه: "ليس هناك أسوأ من

1- غالب هلسا، أدباء علموني... أدباء عرفتهم، ص32.

2- أرنست هنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص66.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص67.

الحرب، ونحن داخل سيارات الإسعاف، لا نستطيع... لمس مساوئها، ولكن الذي يحدث، أن الناس عندما يواجهون فظائعها، يكونون قد فقدوا القدرة على إيقافها... وبعضهم لا يتاح له المجال للوثوق من بلاياها، بينما البعض الآخر، يقومون إليها بدافع الخوف من ضباطهم، وبأمثال هؤلاء تستمر الحرب"¹.

قد تكون الرسالة الرئيسية التي تحملها هذه الرواية هي الرفض التام للحرب، فنجد البطل في صراع دائم مع قضية التوفيق بين الحياة العسكرية التي تعني الدماء والخوف والموت، وبين حياته الخاصة ومتطلباته الذاتية التي تعني السلام والزواج والاستقرار النفسي، ورغم أن الحدث الدرامي الرئيسي في هذه الرواية يدور حول علاقة "هنري" بالمرمضة "كاترين"، إلا أن علاقته الوثيقة بها لم تنته الحرب وويلاتها، فنجد دائماً التساؤل عما جرى للإنسانية بسبب ما يراه من بشاعتها يومياً خلال عمله، فظل هذا السؤال يلاحقه حتى أصبح على يقين بأنها حرب وحشية لا مكان للإنسانية فيها على الإطلاق.

ترسخ هذا اليقين حين شهد وفاة أفراد فرقته للإسعاف حين قتلتهم الحرب واحداً تلو الآخر، لكن موت رفاقه على يد العدو كان أهون من موتهم بنيران فرقة مشوشة من جيش الإيطاليين المنتمين إليه، إن مثل هذه الأخطاء قاتلة ومحبطة لمعنويات الجنود إذا وقع بعضهم فريسة النيران الرقيقة، فمثل هذا الخطأ أودى بحياة رفيقه.

هذا لا يلخص المأساة التي ألمت بفرقة الجيش الإيطالي فحسب؛ بل هي خلاصة مأساة جيش خاسر أصبح يمثل فوضى تفزع أفراد الجيش الذي وجه سلاحه إلى كل ما يحيط به، دون تأكد من كون الهدف عدواً أم صديقاً، ويظهر هذا من خلال التهديد الذي يشكله الإيطاليون على كل من حولهم، "الذين أطلقوا النار إيطاليون،

1 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص 67-68.

ليسوا ألمانين... إننا مهددون من الإيطاليين أكثر مما نحن مهددون من الألمان"¹ هذا ما قاله هنري بعدما فقد أحد أصدقائه الذي تركه ممددا في مكانه تظهر عليه علامات الطمأنينة حسب وصف "هنري"، واكتفى بالتعبير عن مدى محبته له والإشارة إلى أنه سيكتب إلى عائلته بعد أخذ أوراقه.

أما بطل حنا مينة "مفيد"؛ فقد كان هو الآخر ساذجا لا يفقه في أمور الحرب، إلى أن التقى أثناء تنقله للبحث عن عمل شريف بأحد أصدقائه "عبدوش الداشر" الذي أعطاه أول درس نظري في الحياة والحرب وهو أن يأخذ حقه بالقوة ويجعل الناس يرهبونه، كان يريد أن يعلمه أن "يخط الحق بالباطل، ويأمرهما متساويين، لا يُنالان إلا بالقوة والبلطجة"² هو أول من علمه الثورة على الحرب وكل من يعتدي على أعمال الفقراء أمثال جنود الجيش الفرنسي، فمنهم من كان يعتدي على الناس ويرفض دفع ثمن الخبز، ومنهم من يتعاركون ويتحشرون بالمارة خاصة النساء وغيرها من أعمال التخريب.

اضطر "مفيد" في بادئ الأمر أن يفعل ما يمليه عليه "عبدوش"، وهنا يقول: "لم يكن لي خيار، أنا فتى وأريد أن أبدو رجلاً، صحيح أنني رجل بلا تجارب، لكن لي قوة حصان، فمم أخاف؟ ثم إن الفرنسيين أعداء ومقاومتهم ضرورية"³ قاده صديقه إلى الفرن لاختيار سلاحه للمقاومة، ولأنه يعتمد على قوته العضلية اختار خيزرانة مزينة برأس من فضة واقتحم عالم الموت دون خوف؛ إذ قال في نفسه "عبدوش يخاف. متحفه الحربي لتشجيع قلبه، لكن قلبه ليس بقوة قلبي، أنا لا أفكر بالموت مثله، لأنني

1 - أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص 244.

2 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 59.

3 - المصدر نفسه، ص 62.

لا أخاف مثله¹ فقد كان "مفيد" منذوراً للمعارك لا يهاب الجيش الفرنسي ولا يهاب أي شيء تقريباً.

قبل أن يتوج بطلاً كان لابد له أن يمر بمجموعة من الاختبارات وأن ينجح في تجاوز عدد من العراقيل؛ فكان الاختبار الأول متمثلاً في معركة مع العدو الفرنسي، حيث وقع حادث مع بعض الضباط والجنود الفرنسيين، كانوا من فئة الشرطة العسكرية وقد شربوا حتى السكر وصاروا يتحرشون ويضربون الناس، فما كان من البطل سوى التصدي لذلك رغم أنهم كانوا أكثر عدداً وقوةً فهم مدربون على القتل، لكن "مفيد" وصديقه فكرا في سمعة المدينة وسمعتهم المهددة لهذا تحتمت المغامرة تحت شعار "الموت على أية حال نهاية الإنسان"².

حاول الصديقان تهدئة الوضع لكن الجنود اعتدوا عليهما بالضرب؛ تلقى "عبدوش" لكمة قوية فأسرع "مفيد" للتدخل "ضربت بخيزرانتى ضربات قوية... وهكذا بدأت المعركة، بدأت معركة دامية دوى فيها الرصاص وجرى الدم فبلل الثياب، وأصبح التراجع مستحيلاً، فأقدمنا، دون مبالاة"³ كانت هذه المعركة عنيفة بشكل لم يتصوره، فأن يقاوم أحد أبناء سوريا جندياً فرنسياً يعني هذا الموت لا محالة، وهذا ما حاول أحد الجنود فعله فأطلق عليه رصاصة لامست كتفه، لكنه رد الضربة بخيزرانتته، وهذا الوصف وحده كاف ليثبت مدى قوة البطل وكيف اهتم الكاتب بإظهار ذلك.

اقتنع "مفيد" بعدما كان لا يهتم بحرب أو مقاومة أو مجتمع، وتحول من بطل فردي يجري وراء اللقمة وهمه الوحيد نفسه، إلى مقاوم للاستعمار وصاحب قوة وجبروت في منطقته، ويقول: "أبناء البلد في معركة مع الفرنسيين: كل شيء إذن

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 66.

2 - المصدر نفسه، ص 69.

3 - المصدر نفسه، ص 69.

واضح... حتى لو كان الخلاف على شيء تافه... الفرنسي محتل، هو عدو إذن، ومقاومة العدو واجب...¹ تحول البطل إلى إنسان مقاوم رغم أنه دون وعي أو توجه سياسي.

جاء التحول في شخصية هنري بطل همنغواي بعد الإصابة بجروح أشرف على الهلاك بسببها، "إذا لقد أصبت، مددت يدي إلى أسفل نحو ساقي، فلم أجد الركبة،... فأحسست بالركبة عند قصبة رجلي، أرجعت يدي وقد ملئت بالسائل الدافئ... ورحت أدفع برأسي عالياً من جديد أريد أن أشاهد ساقي، وساورني خوف شديد"² نلمح هنا بشكل كبير نقطة التحول الرئيسية في الرواية، حيث أن جرحه سوف يمنعه من الحركة، وهنا قد يتضح اعتقاد همنغواي بأن الحرب لا فائدة منها، ونلاحظ أن هنري أصيب بجروح وقتل "باسيني" صديقه لم يكن أثناء أداء الأعمال البطولية الجريئة، ولكن أثناء تناول المعكرونة الباردة، ونجد أن محاولة "هنري" إنقاذ رفيقه وهو مصاب عمل بطولي بكل تأكيد، وهنا يتعرض بشكل مباشر لواقع الحرب، نتيجة لآلامه الشديدة والصدمة الناتجة عن رؤيته وفاة رفيقه.

هكذا لن يكون البطل قادراً على إنكار حياته أو مشاركته في الحرب أو تجاهل مدى تأثيرها عليه، فالسذاجة التي عرضها الكاتب في وقت سابق تتبخر في هذا الحادث، ليبدأ في الاقتراب من فهم القليل عن الحياة والموت، لكن الضعف لازمه فقد أصيب "بجراح سطحية، متشابكة، في الساقين.. وفي الركبة اليمنى.. والقدم اليسرى.. جرح عميق في الركبة اليسرى. انسلاخ في جلدة الرأس..."³ رغم كل هذا كان الشك يساور الطبيب بأنه تعمد إصابة رأسه لتجنب العودة إلى الخدمة العسكرية، وهذا ما

1 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص70.

2 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص74.

3 - أرنست المصدر نفسه، ص78.

فطر قلب البطل وزاد من ألمه؛ فرغم أنه ضد الحرب إلا أنه لا يستطيع الإقدام على فعل جبان كهذا.

يتجلى موقف البطل من تلك الحرب داخل عدد من الأحداث التي ينقلها الراوي من أرض المعركة، أبرزها موضوع تهرب المقاتلين الشباب من العودة للمشاركة في الحرب، ومن هذا ما جاء في حديث إحدى الممرضات المسؤولة عن حالة البطل الصحية عند إصابته بمرض اليرقان* إثر إسرافه في شرب الخمر، فتقول: "لأنك تحاول التخلص من العودة إلى الجبهة... أعرف كثيراً من الرجال كانوا يهربون من الذهاب إلى القتال بإيقاع أنفسهم بمختلف الإصابات الجارحة"¹.

كان موقفه من هذا واضحاً منذ البداية، يظهر في رده عليها حين يقول: "هل لاحظت كيف ينعم المصابون بمرضهم هذا؟... فأنا أيضاً رأيت رجالاً جرحوا أنفسهم تعمداً، إنما أريد أن أعرف فيما إذا كنت شاهدت إنساناً يقذف بنفسه في المراحيض، ليجنبها الذهاب إلى الحرب، فهذا أقرب الأمور التي توقع المرء نفسه بداء اليرقان"² وفي هذا توضيح آخر، يقدمه البطل ليبين معنى الحرب عند بعض الرجال الذين تهربوا من الانضمام إليها، واختلقوا الجراح والإصابات لتكون أعذاراً تمنعهم من المشاركة الجبرية في الحرب.

في نقطة تحول أخرى؛ يتم نقل البطل إلى مستشفى آخر؛ تم إرسال "كاترين" إليه كذلك، لكن أول ما يذكرنا به همنغواي هو فظاعة الوضع العام هناك، حين يصف "هنري" موت المرضى بأعداد كبيرة ودفنهم خارج المشفى في الحديقة، وهنا يتكرر

* - داء اليرقان: أحد ظواهر أمراض الكبد، يؤدي إلى تشكيل ألياف وحوصلات تؤثر سلباً في أداء الكبد، ويعد

شرب الخمر والتهاب الكبد من مسببات هذا المرض. (الدكتور: أحمد مصطفى)

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 170.

2 - المصدر نفسه، ص 169، 170.

موضوع اغتراب البطل بسبب الحرب، ويبين أن الأمر أصبح صعباً حين وجد أنه المريض الوحيد في المستشفى الأمريكي بميلان، حيث عانى من جراحه كثيراً "كان الألم قد بلغ الذروة، حتى إنني لم أعد أحس بساقي، وشعرت بأن أسنانا حادة تخترق عظامي"¹ بقي على هذا الحال حتى تلقى العلاج لكن الألم والاغتراب والوحدة مستمر إلى أن اجتمع بحبيبه مرة ثانية.

تتجسد التجربة الثانية لبطل حنا مينة "مفيد الوحش" في اختبار السجن وهو اختبار أساسي لا بد أن يمر منه بطل حنا مينة، خلفت هذه المعركة جروحاً لدى البطل واعتقل صديقه وتمكن هو من الفرار، لكنها أظهرت وعي "مفيد" ونضجه الذاتي؛ إذ تحول من فتى طائش إلى رجل يهتم لأوضاع بلده ويكافح ضد الانتهاكات التي أنزلها المحتل بهم، وأفلت "مفيد" من قبضة الجنود بمساعدة بعض النساء وفي اليوم التالي أضربت المدينة في سبيل المعتقلين، وبقي هو متخفياً قيد الملاحقة.

خلال تنقله من بيت إلى بيت أيقن معنى كلام قريبه "إبراهيم" عن مقاومة المحتلين "الروح الوطنية، الحماسة، الاندفاع، التضامن، الحقد في العيون والأفواه والأيدي، الحقد على كل ما هو فرنسي، وكل متعاون مع الفرنسيين مع الملاكين والأغوات، ومن الزلم، ضعاف النفوس والوجدان"² أما من خاضوا المعركة وأفلتوا من الاعتقال فقد كرمتهم المدينة وكرمت البطل معهم، فبعد أن كان ضائعاً مشرداً؛ وجد نفسه قد صار وطنياً رغم أنه يفتقد معنى الوطنية كما يفهمها الثوريون؛ من الذين أنعم عليهم الله بالوعي والشجاعة كما يصفهم، لكننا نلمس نمواً ملحوظاً في وعيه بالإضافة إلى شجاعته وقدرته على التحمل، وطيشه الذي تحول إلى إصرار وكفاح ومجابهة.

1 - أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص 106.

2 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 70.

مشاركته في هذه المعارك الناتجة عن تحرشات جنود الاستعمار كانت في بدايتها بحثاً عن عمل وقوت يومه، ثم تحولت إلى مهمة إنسانية تهدف إلى الكفاح ضد كل ظالم، حيث كان الهدف الأسمى فيها هو الدفاع عن حقوق الناس ولو بالقوة وضرب السلاح، وهذا ما قد يذكرنا ببطل همنغواي الذي انظم إلى الحرب بغرض إنقاذ الجرحى لتصبح مهمته إنسانية.

أثناء التحقيق معه أظهر البطل جرأة كبيرة واعترف بمشاركته في المعركة، فقد حقق ضباط الجيش الفرنسي في ماضيه كاملاً منذ شقاوة القرية إلى التعرف "بإبراهيم الشنكل" والعمل في الفرن، يقول: "في البدء اشتبهوا بميولي السياسية، لكن التحقيق الإضافي أثبت أنني لا أفقه في السياسة شيئاً، وأنني مجرد قبضاي وزميل عبدوش... وهذا ما جعلهم يقللون من الخطر الذي أشكله، ويحصرّون التهمة الموجهة إلى الاعتداء على "البريفوته"، وخلع كتف أحدهم بضربة خيزرانة"¹ يظهر بطل حنا مينة بدون توجه سياسي؛ فهو إنسان بسيط فقير يعيش حياته لنفسه، قوي وشجاع مكافح في كل الأوقات، يندمج مع مجتمعه ليكتسب وعياً ونضجاً أكبر، فالسجن لم يكن غريباً عليه لكنه دخله هذه المرة واثقاً مرفوع الرأس، واقتنع أن أيام الولادة والمشاغبات قد انتهت.

قرر "مفيد" قطع اتصاله بماضيه بعد المعركة والسجن، ثم تم نقله بعد ذلك إلى حلب هو وشريكه في المعركة وحكم عليه بعقوبة مدتها سنتان، كانت مرحلة عصيبة أمضى أولها في الثورة إثر قرار إبعادهم عن اللاذقية، لكنه سرعان ما اعتاد على الوضع وأحب حفاوة الترحيب والفخر الذي لقيه هناك، فقد عاملوه كسجين سياسي ويظهر هذا في قوله: "حلو أنت سجين سياسي يا مفيد. سجنوك لأجل السياسة وأنت لا تعرف عنها شيء... مصادفات...! وكم أدت الدفة في اتجاه، ودفعنتني الأمواج في

1 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص74.

اتجاه آخر...¹ تحت وطأة الفخر والذهول بأوصاف السجناء السياسيين تمرد مفيد على صديقه الذي ساعده، لأنه لم يكن يريد أن يرضخ لأحد ولا أن يتذكر الماضي.

قامت معركة أخرى داخل السجن وجدها البطل فرصة لينال إعجاب بعض السجناء حتى يفهموا من هو "مفيد الوحش"، حيث يقول "هذا الحادث أسعدني. لن أقول ما فعلت خلاله، ولكن سأذكر أن عبد الجليل نفسه قبلني، فقد كنت ظهيره، وتوحشت في المعركة"² تجسد هذه المعركة انتصاراً آخر بالنسبة له، وسبب توحشه هذه المرة لأجل التخلص من الظلم والإهمال داخل السجن وهكذا انتصرت الجماعة حين اتحد أبناء البلد على مدير السجن الفرنسي وأتباعه، وحقق "مفيد" غايته وصار أقرب إلى "عبد الجليل" أحد القادة الثوريين الذي بادلته المودة بعد أن اكتشف شجاعته وطيبته.

جلبت تلك المعركة للبطل الاهتمام والاحترام من قبل جماعة المقاومين؛ خاصة "عبد الجليل والأستاذ ماهر" الذي قرأ عن معركته في الجرائد الوطنية، أما مفيد فلم يكن يعلم ما يكتبون في الجرائد لأن كل ما يجري جديد بالنسبة إليه، لكنه أصبح يتعلم منهما ومن نصائحه وإرشاداتهما، وقال له عبد الجليل: "كن شريفاً فهِمياً... لا تقسّد حياتك، لا تهدر قواك، اذكر دائماً أن الحياة كفاح، وأن الإنسان مكافح، وأنه يملك العقل الذي يهديه. وهذا ما يميز الإنسان عن الحيوان"³.

فبعد أن كان يؤمن أنه وحش وقريب من الحيوان أصبح شاباً أكثر وعياً، هدفه التخلي عن العادات السيئة "بلى سأعتمد على زندي، سأخذ حقي بالقوة، أنا قوي وسأعتمد على قوتي، ولن أسمح لأي إنسان أن يدوس على رجلي، أن يمنع عني

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص76.

2 - المصدر نفسه، ص80.

3 - المصدر نفسه، ص89.

اللقة، ألم يقل الأستاذ ماهر إن رأس المسألة هو اللقة؟¹ قضى "مفيد" بقية محكوميته في الاجتهاد والاستماع جيداً واكتشاف كل جديد حتى يوم الإفراج عنه.

يتجلى وعي هنري بنتائج الحرب حين مكث في المستشفى فترة طويلة بعد إجراء العملية، إلى أن جاء قرار عودته إلى الجبهة رغم أنه كان من الجريمة أن يعيده إلى الجبهة، لكن ما إن بدأت علامات التحسن تظهر عليه حتى أعيد إلى مركز عمله، وحسب رأي رفيقه "رينالدي" فالركبة جسد قائم بذاته، أما الحرب فقد أنهكت الجميع، وهذا ما يتضح من حديث رفيقه "أي حياة هذه... لا يستطيع الواحد منا أن يتطلع إلى غده، أو أن يحقق رغباته الإنسانية... ألا يسمح لي بممارسة ما أشتهيه؟... أنا لا أستعمل عقلي أبداً، لا أجهد تفكيري... فقط أندفع للعمل"² فالجبهة مخيفة وتافهة بالنسبة إليهم، كما هي بالنسبة إلى أي إنسان فقد كل ما يملك خلالها.

بعد عودة "هنري" إلى الجبهة يرصد الأحداث بكل تفاصيلها، فحدث دخول النمساويين ثم الألمان وبداية القصف على الإيطاليين؛ كان نقطة تحول السرد، وبدأ سقوط الجرحى واكتظ مركز الإسعاف بأجساد المصابين، وكانت الأنباء تقول إن الذين قاموا بالهجوم كانوا من الألمان، فكلمة ألمان بالنسبة إليهم كانت مخيفة "كانت هذه الكلمة تثير الرعب، فالكل يتحاشى الاصطدام بالألمان ويخشى القتال ضدهم"³ كانت الأوامر تقضي بالمقاومة وعلى "هنري" نقل الجرحى، لكن الأمر قضى وبدأ التراجع العام؛ إذ كان تراجعاً مقيتاً ينذر بالشؤم وكان الكل في هلع وذعر شديدين يصفها البطل بالبشاعة لأنه لم يشهد أسوأ منها، تم الانسحاب من كابوريتو؛ وركز الكاتب خلاله على وصف ماكينات الحرب وأدواتها العديدة، ووصف الطرقات والأماكن

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 90.

2 - أرست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 193. 194.

3 - المصدر نفسه، ص 217.

المدمرة؛ مع التركيز على تصوير تساقط الأمطار منذ بداية الانسحاب، ليدل به على المعاناة والمشاكل التي يأتي معها المطر ويستمر الخطر باستمراره.

ولتقادي طابور المشاة والشاحنات يقرر البطل الانحراف بسياراته الثلاثة خوفاً من وصول النمساويين وقصف تلك القافلة في أي لحظة، بعد توقف عرباتهم بسبب الأرض الموحلة اضطروا إلى الترحل من عرباتهم وإكمال الطريق سيراً على الأقدام، خلال هذه الحادثة أطلق البطل الرصاص لأول مرة في الحرب، وكان ذلك حين رفض فردان من الجيش الانصياع لأوامره ومساعدتهم في تحريك العربة الغارقة في الوحل؛ إذ يقول: "عندئذ أخرجت مسدسي وصوبته على أحدهما... بدأ يركض مذعوراً فعاجلته بطلقات متتابعة فخر أرضاً، بينما قفز زميله إلى خندق... وتابعت القذف آملاً أن تصيبه إحدى الطلقات الضالة... واستمرت في إطلاق النار ولكن دون جدوى"¹ ومع ذلك فهو لم يطلق على العدو بل على أعضاء من جيشه.

على غرار التحولات التي طرأت على حياة بطل همنغواي جراء الحرب، نجد "مفيد" بطل حنا مينة قد تحول من فتى طائش يحاول أن ينضج بسرعة، إلى سجين سياسي نال الاحترام بين السجناء وأفراد المقاومة، واكتسب وعيه الاجتماعي والسياسي منهم ونما شخصه بين جماعة المقاومة والثورة على الاستعمار خلال الحرب العالمية الثانية، لكن بعد إنهاء فترة حكمه وجد نفسه بدون مأوى أو عمل، فقد كانت أيام الحرب أكثر صعوبة، بسببها لم يتمكن إلا من توفير كوخ كان يشبه الوكر أحس فيه وكأنه هارب من العدالة حسب قوله "لطيت في هذا الكوخ كأني هارب من وجه العدالة. قلت في نفسي: الحال مستورة يا مفيد، هذا أفضل من العودة إلى الماضي. هذا الباب الضيق الذي وراءه الطريق المستقيم"².

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 234.

2- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 93.

يمكن القول إن حنا مينة اهتم بوصف حياة البسطاء بدقة وتصوير صراعاتهم المتواصلة مع الظلم والقهر وتقلبات القدر، امتازت شخصياته بالقوة والتمرد على استبداد السلطة وظلمها لهذا يخضع "مفيد" لاختبار أخير يتوجّه بطلاً، فنزعت المتمرده وحاجته إلى العمل أعادته إلى طريق الخطر رغم أنه حاول كثيراً تجنب ذلك، ويتجلى لنا هذا من خلال كلامه "قلت لك لا نسرق. الحرب في عامها الرابع. الشغل عاد إلى الميناء. الحركة فيها كبيرة. مراكب، سفن، تحميل. تفريغ، سفر في البحر، كل ما تريد."¹

وجد البطل نفسه طرفاً في الصراع الدموي القائم بين رجلين من رجال العجوز المحتكر للعمل في الميناء (المعلم رضا والبطحيش) وهناك حدثت مواقف كثيرة وواجه تحديات ومغامرات عديدة هددت حياته كل مرة، ليتحول إثر ذلك من نكرة إلى وحش يحسب له ألف حساب؛ أول خطوة قام بها ليتحول إلى أحد رجال الميناء أنه أقدم على تحدي العجوز محتكر عمليات النقل في الميناء؛ وقرر مع صديقيه في الجرم "عبدوش وحليش" سرقة أحد مراكبه رغم أنه كان أمراً خطيراً "إذا اعتدينا على ماعون فكأننا اعتدينا على العجوز، ومصير من يعتدي عليه الموت"²، لأن البقاء في كوخ قدر والدنيا تزداد ظلاماً مع الوقت أوصله بالضرورة إلى ذلك.

عاش مستقيماً لمدة ثلاث سنوات فقط ورغم رفضه العودة إلى السرقة إلا أن "الريح دفعت مركبه في الاتجاه المعاكس. هو يريد معاكسة الريح... وإذا كان قد وافق على العمل الآن، فهو يريد أن يصور لنفسه أن الاغتصاب غير السرقة. هذا أخذ للحق بالقوة"³ وكأنه بذلك قرر أخذ حقه من عجوز الميناء ومن فرنسا ومن المجهول،

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص95.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص97.

3- المصدر نفسه، ص99.

ليثبت لنفسه ولغيره أنه ليس مجرد لص غبي، ومن هنا جاء حرصه على أن يبدو إنساناً مختلفاً قوياً وشجاعاً.

وصل بطل همنغواي كذلك إلى نقطة اللاعودة خلال انسحاب كابوريتو الكبير، الذي كان بمثابة ذروة الأحداث في حياته البائسة، أولها مقتل أحد أعز رفاقه برصاص جيشهم الإيطالي بالخطأ وذلك بسبب الخوف وعدم الكفاءة، فهم في ذعرهم الشديد أصبحوا يطلقون النار عشوائياً في كل الاتجاهات، "سيما أن إشاعة تناقلتها الألسن تقول: جنود الألمان يرتدون الملابس الإيطالية... الأمر الذي زاد الهلع والذعر وأوقع الرعب في القلوب"¹ وهذا ما روجه أعداؤهم ليثيروا الرعب فيهم، فضخامة ذلك الجيش المتقهقر وضيق الطرقات وكل عوامل الطبيعة القاسية والانسحاب المفاجئ؛ كان كافياً لخلق هذا الدمار والتشتت، فصار الجنود يعملون بدل الجيش الألماني وقتلوا أحد زملائه.

خيمت الحيرة على البطل وتدمرت مخططاته بإنقاذ فرقته لإيصالهم إلى بر الأمان، فقد سلم أحدهم نفسه من الخوف وبقي "بياني Piani"؛ لأنه لم يرد أن يترك الضابط "هنري" وحيداً؛ إذ يقول: "أنت تعرف أيها الليوتتان أننا لا نؤمن بهذه الحرب في أي حال من الأحوال"² مشهد آخر يصور بدقة مساوئ الحرب دون أن يقدم لها أي تبجيل، فقد كانت عملية الانسحاب ضخمة لم يكتشف البطل ضخامتها إلا حين التقى بعدد كبير من القوافل المتقهقرة، واكتشف أنهم قتلوا العديد من الضباط مثله، كما نلاحظ هنا إعلان الجنود الإيطاليين في تلك القوافل نهاية الحرب المزعومة "صاح أحد الجنود... يعيش السلام... صاح جندي آخر: لتسقط الحرب"³ لكن تلك الحرب

1 - ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص246.

2 - المصدر نفسه، ص247.

3 - المصدر نفسه، ص249. 250.

الهوجاء لم تسقط برمي الجنود سلاحهم أو ترديدهم لتلك العبارات، وهذا الذي آمن به البطل رغم أنه كان يأمل نهايتها حقاً.

تم القبض على "هنري" مع العديد من الضباط على يد بعض البوليس الحربي، الذين ساقوهم كأسرى إلى الحقل لقتلهم في محاكمة غير عادلة تظهر مدى بشاعة الظروف التي حتمتها الحرب، وبهذا أعدموا كل من ترك جنوده وشارك في التراجع بحجة أن إيطاليا يجب ألا تتراجع أبداً، فقد تملكت البطل الحيرة من مشاهد الإعدام الفوري غير المبرر ودون تمييز بين عدو أو صديق، علم البطل هنا أن دوره قادم وسيعاقب على أنه ألماني في لباس إيطالي، وهذا ما حضرنا له همنغواي في الفصول الأولى عندما تساءلت كاترين وزميلتها عن سبب انضمامه إلى الجيش الإيطالي مع أنه أمريكي، فعزويته في هذا الجيش لن تؤخذ بشكل جدي في هذه المرحلة وسيتهم بأنه جاسوس أو دخیل، فكان من الضروري النجاة بنفسه والهرب من تلك المجزرة الصامتة.

أدى شعور الخيبة من وحشية الحرب بهنري إلى إلقاء نفسه في النهر لينجو منهم، "فأحنيت رأسي واندفعت كالسهم بين الرجلين، قاصداً النهر، وقذفت نفسي فيه فور بلوغه"¹ لم يكن ولاؤه لذلك الجيش مطلقاً أبداً، بل كان ولاؤه مرتبطاً بأولئك الأشخاص الذين عاش وعمل معهم، وبعد أن تفككت فرقة الإسعاف لم يعد هناك ما يربطه بالجيش ولم يعد ملزماً بالاستمرار فيما كان يفعله.

يصور الكاتب هنا تفاصيل دقيقة من معاناته داخل النهر وجهوده اليائسة للنجاة، حيث برز أمامه بعد جهد طويل ضوء الصباح باعثاً أمل النجاة في قلبه فيقول: "وأعاد ذاك الأمل في العودة إلى الحياة سالماً، عزماً جديداً في نفسي، وقوى رجائي، فاندفعت... مستغيثاً بكل قطرة من دمي وباعثاً الرمق الأخير في كفاحي ضد

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص256.

خطر الموت غرقاً.. ولكن ألماً حاداً ممزقاً دبّ في ساقي وفي أحشائي، وأحسست بمعدتي تطحن الفارغ، وبقلبي يخفق خفقاناً مربعاً¹ بقي على حاله يكافح معلقاً بين اليأس والرجاء حتى استطاع الزحف على بطنه إلى البر.

نزع زيه والنجوم التي زينته كخطوة للاختباء والتحرر منه أخيراً واستمر في سبيله حتى تعلق بأحد القطارات واختبأ في قاطرة للسلاح، ظل مستلقياً مبللاً وجائعاً ومنهك القوى؛ لكنه ورغم إصابته لم تخنه ركبته طوال رحلته، كما كان مفعول مياه النهر مفيداً "لقد أزلت مياه النهر كل الغضب من قلبي وذهبت بكل شعور بالمسؤولية... لقد نزعت النجوم عن معطفي، ولكن ذلك فقط من جراء الظروف القاهرة... تلك النجوم لم يبق لها أي علاقة بي"² هذه صورة عن بطل همنغواي النموذجي الذي يتميز بعدم حمل الضغائن في قلبه، وتقدم لنا هذه الأحداث أفكار "فريديريك هنري" بأسلوب بسيط حين تحرر أخيراً من مسؤوليات الحرب وهذا بالطبع هو الحلقة التي تحقق عنوان الرواية، لكن الأمر هنا يثير الاهتمام بعض الشيء؛ بالأخذ بعين الاعتبار أنه ينقل مشهداً على متن قطار يحمل الكثير من الأسلحة، وجاء قراره لترك السلاح نهائياً وتوديع الحياة العسكرية، ليعود إلى الحياة المدنية التي اشتاق إليها حتى يعيش بجانب "كاترين"؛ إذ يعتقد الكثيرون أن الناس في ظل الحرب يفقدون الكثير من مشاعرهم بسبب عيشهم وسط الموت والدمار، لكن البطل يثبت أنه لم يفقد مشاعره بل يتوجه نحوها كل مرة، وحقق في هذه الرحلة سلاماً روحياً خاصاً به.

أما نقطة اللاعودة بالنسبة إلى "مفيد"؛ فتمثلت في صراعه مع محتكري الميناء، حين اقتنع أنه مقبل على أيام مجهولة تنطوي داخلها كل المخاطر التي كان يتجنبها، ليجد نفسه في وضعية القاتل أو المقتول فيقول "إنني أغامر. أعود إلى المغامرة. ولن

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص258.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص262.

أعيش حراً، مطمئناً، ولن أنظر إلى النجوم، نظرة الذي يستمتع بها... وسيكون على أن أكره أي فجوة تلوح بين الغيوم... لأن الليل سيكون بطانة جسمي، ألتف وأحاذر الأعداء والشرطة... وكل أولئك الأوغاد الذين يكرهون أن يروا منافساً لهم، ولو كان يريد عملاً شريفاً.¹

قرر بسبب كبريائه وغروره المتزايد أن يصبح رئيساً لعملية السرقة؛ وهذا ما فرضه عليهم جبراً، وكان لا بد من أن يدخل المعركة ويخرج منها منتصراً، حيث تقدم من مركب العجوز غير مبال، ما من شيء أمامه قادر أن يبث الرعب في قلبه "أنا صياد حيوانات بشرية، إنني لا أسرق، بل أغتصب، وأعلم أنني أغتصب ما هو حقي هذا الذي حرمني المجتمع منه... سأفرض، بقوة شجاعتي، هييتي... حتى لو دفعت ثمناً لذلك حياتي"²؛ إذ يعود فضل نجاحه في ذلك إلى ثقته الكبيرة بقوته واعتداده بنفسه، حيث اكتسب مفيد مع الوقت ثقته بنفسه وزاد غروره بقوته وأصبح يملك نرجسية عالية.

لكن نجاحه لا يعني نهاية المشاكل، فصاحب المركب "حليش" كان هو صاحب فكرة السطو على المراكب الصغيرة وهو من باع البضاعة المسروقة لهذا كان يحاول جاهداً أن يقود هذه الفرقة ويرأس "مفيد" الذي تحول إلى زعيم وصاحب قرار رغماً عنهما "مضى زمن الفرن في بانياس، وزمن الولدات والأشياء الصغيرة. إننا الآن، لا نلعب، لا نسرق، نحن نغتصب، نضع يدنا في فم الذئب، نسطو على المواعين، وسنحاسب على أفعالنا"³ فقد أصر أن يوضح لمحتكري الميناء أي وحش دخل المياه،

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص103.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص110.

3- المصدر نفسه، ص118.

ويجعل من حوله يتأكدون من قوته، في صورة تتجلى فيها روح التحدي والإقدام على الخطر دون تراجع، وهذا ما تعلمه من تجارب الحياة والسجن.

تحول البطل من متشرد خامل إلى إنسان يبطش بكل من يعارضه، كلمته هي الأولى ولا ترد، لأنه اقتنع أن الإنسان حتى يكون خطيراً لابد أن يصبح مبهماً ويكتسب الهيبة في قلوبهم، وهذا التغير لم يأت بين ليلة وضحاها بل جاء من تجارب الحياة والمشاركة في مقاومة العدو والسجن؛ إذ استطاع بفضل الحفاظ على هدوئه ليرتقي سلم العصابات ويصل إلى حيث يريد.

لإنجاز ذلك سار متخفياً بحلة متشرد ضعيف كي لا يجذب الانتباه إليه ويكسب قوته تدريجياً ويرتقي حتى يصل إلى رأس السلم، وهنا يتضح لنا تطور شخصية الفتى الطائش وتحوله إلى شاب متمرد طموحه تسلق جبال الجريمة والتربع على قمته، رغم أن طموحاته الدفينة كانت البحث عن حياة شريفة.

أصبح يجمع تجاربه من أصحاب المكان الأكثر خبرة منه؛ يفتش عن سبيل لإيجاد عمل شريف يغطي به عمليات السرقة ويخفي حقيقته، ثم تقرب من أفراد العصابات والبحارة وغيرهم ليجمع أكبر قدر من المعلومات عن سير الأعمال هناك، وما استطاع ملاحظته أن الظروف جعلت من معظمهم وحوشاً مفترسه فأصبح القوي يأكل الضعيف وساد الفساد بينهم، ولم يكن يسعى إلى الغنى أو رئاسة مركب، فكل ما أراده أن يثبت وجوده في الميناء والبحر وفي المدينة كذلك، حيث يتطلب هذا الموت أو دفع ثمن الرجولة، وليصل إلى ذلك كان عليه أن يتخفى حتى يصير بالقوة التي تمكنه من مواجهة المحتكرين في المنطقة، واستمر على حاله فترة حتى تمكن عن طريق بعض العمال من لقاء "المعلم رضا" الذي وافق على أن يضمه إلى فرقته من العمال، وهكذا نجح مفيد في خطته وأقنعهم بحاجتهم إليه.

دخل البطل عالماً غريباً ومجهولاً بالنسبة إليه؛ وأصبح يواجه النهاية لأنه اختار العمل مهما كان نوعه، رغم أنه قاوم طويلاً إلا أنه استسلم لظروفه، كان يرغب لو يبقى على طبيعته حراً، ففي بحثه المستمر عن الحرية كان يكافح لإيجاد الحياة التي تضمن ذلك، لأن الحياة كانت مدرسته الخاصة التي أخذ منها الخبرة ويوضح نظريته هذه بقوله: "الناس يعلمون الناس. خرجت من المدرسة حماراً كما دخلتها... الحياة هي التي تولت تعليمي، وبقدر ما كنت في المدرسة غيباً شقياً، حيواناً، بقدر ما صرت في مدرسة الحياة، نبيهاً، ذكياً، فالحا، أفيد من كل تجربة أمر بها، وأحفظ كل درس أتلقاه."¹

فجّرت أخبار عملية السرقة ثورة العجوز وبذل كل جهده لكشف الفاعل، لكن أحداً لم ينجح في كشف حيلة البطل، وهكذا أصبح يسير نحو نهايته معتداً بشجاعته، فكلما تعمق في أعمال الميناء أكتشف قسوة العجوز وتكتلات العمال حول أمثال المعلم رضا، كما اكتشف أن الأفكار التي زرعها أمثال "إبراهيم الشنكل والأستاذ ماهر" في رأسه، بدأت تنتشر بين العمال الذين أصبحوا يطالبون بنقابات تسهر على مصالحهم وتحميهم من الظلم، وهذا ما زاد من وعيه إذ يقول: "يبدو أن علي أن أكون واحداً منهم. حقوقهم حقوقي، مصالحهم مصلحتي... بهذه الطريقة أمشي في سكة إبراهيم الشنكل... سيفرح بي، ستبلغ أفكارني عبد الجليل والأستاذ ماهر، وعندئذ يعرفون أن عود الشيخ قد أصبح نافعا"²، وهكذا أصبح حيث كان يجب أن يكون، في الموضع الصح والمكان المناسب الذي أوصلته إليه قوته الجهنمية حسب رأيه.

بنتبع حركة البطل وتطور أفكاره داخل محيطه الجديد، يمكننا ملاحظة أن الكاتب صور في المقام الأول بشراً عاديين مشغولين بمعاشهم، لكن ظروفهم القاهرة

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص184.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص193.

التي حتمها الاستعمار حركت فيهم الغريزة العدوانية وأصبح القوي منهم يحتكر الضعيف، ولا يقدم لنا الكاتب شخصيات أو أحداثاً خارقة، لأنه مدرك تماماً ما كانت عليه الحال وقتها بحكم تجاربه وملاحظته أهم تحولات المجتمع الذي عاش فيه.

ورغم شجاعة البطل إلا أنه ارتبك حين قتل أمامه من اشتبه به في سرقة العجوز، ليكتشف بذلك مدى هول ما أوقع فيه نفسه فيقول: "حسبوا أن الذي قام بعملية الماعون لقي جزاه. مات الذين ماتوا... وأنا المسؤول عن كل ما حدث، ما زلت حياً، غير أن نفسي حزينة، منقبضة... إنه عالم الميناء، عالم الذئاب على اليابسة، والقروش في الماء، والعنف الذي هو قانون حياة في الموانئ كلها"¹ حيث لا قانون يحكم سوى قانون تصفية الحسابات بالقتل.

كانت الظروف الصعبة هي السبب الأول والأخير في كل مصائبه؛ أولاً السجن ثم ما جاء بعد الخروج منه، ما أرغمه على البحث عن خلاصه الشخصي بنفسه، وهكذا أصبح يحاول أن يسير في طريق آخر بعد كل ما شهدته في الميناء وبعد تعرفه على المعلم رضا، ثم قرر بهذا ضمان مكانته في الميناء وافترق على إثر ذلك عن شريكه "حليش وعبدوش" ليبقى وحيداً من جديد، بعدها تغيرت حاله إلى الأحسن بعد أن بدأ العمل كحمال في الميناء، وخلال احتكاكه بالعمال يوماً بعد يوم وجد أن طريق المغامرة لا تقضي إلا إلى الهلاك بصورة مجانية، وليضمن عدم هلاكه شارك في معركة بين المعلم "بطحيش" ورئيسه "رضا" في منافستهما على المكانة عند العجوز، وفي المعركة يصف بالتفصيل تحركاته "حين أهتاج... أضرب بما تطاله بدي... وحسبوا أنهم تمكنوا مني، فتدافعوا، واستقتلوا، وصرت في موقف القاتل أو المقتول... انقلبت إلى وحش كاسر."²

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 203.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص 235.

لم تنته هذه المعركة الدامية إلا بتدخل من الشرطة، وحكم عليه بالسجن شهرين ونجا من الموت مرة أخرى، ما يثير اهتمامنا هنا أن معركة العمال بقيت قائمة؛ إلا أن رؤساءهم تصالحوا على يد العجوز، وقوله هذا قد يوضح كم من نفس دفعت لحماية الأقوياء وراح ضحيتها البسطاء "الديكان تصارعاً، وتصالحاً، والعمال تعاركوا، وهذا شيء حسن. يجب أن تدوم المعارك، بذلك تدوم الخلافات، وما يضير العجوز لو مات أحد المعلمين... المهم أن يقتتلوا، فالإقتتال يضعفهم جميعاً"¹، فضعف العمال يعني قوة العجوز، ومن جهة أخرى ضعف الشعب وتقاتله يعني قوة المستعمر والسلطات والحكومة، فمفيد البسيط الذي هرب من القرية ما كان ليخرج بهذه النتيجة، فظروف الاستعمار الأجنبي واحتكار أبناء بلده علمته أكثر مما علمته المواعظ.

كان عليه بعد مرحلة السجن أن يثبت قدمه أمام من يريد الانتقام منه، وبعد هذه الحادثة وصل صيته إلى العجوز كما أراد؛ وصار على كل لسان كما تحول من حمال إلى رئيس مركب، فالحرص على دخول الميناء والرغبة في اكتشاف الحياة فيه، انتفى كل ذلك بين ليلة وضحاها وهنا يقول: "أنا لست خرقة مبللة بالماء. لست كيساً من الملح أفسده المطر...! أنت يا مفيد إنسان! أنت رجل! تذكر عبد الجليل والآخرين. هؤلاء ليسوا عناترة... الشجاعة أن تعرف نفسك... وليست الشجاعة أن تخرج من معركة وتدخل غيرها..."² فموقفه هذا جاء بعد أن عرض العجوز أمامه جثة شريكه كنوع من الترهيب، حيث اكتشف كل ما أخفاه مفيد واتضحت خطته أمامه، فكان عليه أن يصمد ويكافح من أجل البقاء.

بما أن الحرب رمت بمفيد إلى هامش المجتمع؛ واضطر مرغماً إلى التعمق في أسوء بقاع الفساد والانحلال والاحتكار والظلم غير المبرر، نجدها من جهة أخرى

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص237.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص276.

ظلت تلاحق "هنري" بطل همنغواي لأنه اعتبر هارباً من الحرب وهي خيانة عقوبتها الإعدام فبعد "التقهقر راحوا يلقون القبض على كل إنسان"¹ لهذا قرر مغادرة إيطاليا رفقة حبيبته ويستقر في سويسرا في رحلة طويلة محفوفة بالمخاطر، وعند وصولهما تغير إحساسهما بالخطر واختلف كل شيء حتى شعور المطر "أليس المنظر جميلاً. ليس عندهم مطر كهذا في إيطاليا.. مطر منعش.. يبعث السرور في النفس... كل شيء فاخر عظيم"² كان هذا فصلاً انتقالياً في سرد الرواية فبعد أن تم اعتقالهما تم الإفراج عنهما بعد مدة لأن جنسيتهما ليست إيطالية، كان هروبهما ناجحاً حيث تعتبر هذه المرحلة هي قمة السعادة في قصتهما؛ إذ تمثلت فيها الراحة بشكل عام توفر للقارئ فترة راحة بعد الشد العاطفي والدرامي.

وسرعان ما تدهورت الأمور حين دخلت "كاترين" في مخاض عسير، واضطر الطبيب إلى إجراء عملية لإخراج طفلها ميتاً، ثم تصاب بنزيف داخلي خطير يقضي عليها، ورغم كل هذه الكوارث التي واجهته بعد فراره من ميدان الحرب، ظل يقينه ثابتاً بأن كل ذلك أقل وحشية وقسوة من الحرب التي أصبحت تخوضها الحكومات لأسباب عبثية وجشع لا حدود له، دون الأخذ بالاعتبار الدمار والقتل والخراب الذي جاء على المدن التي طالتها تلك الحروب.

أما "مفيد" وبعد كم الأحداث التي تراكمت عند انضمامه إلى عمل الميناء؛ كان من اللازم أن يتذكر دائماً أن الحياة كفاح وأن الإنسان مكافح يملك العقل الذي يهديه، وعلى هذا المنوال يصل البطل المرحلة الأخيرة في رحلة الوعي، وهي مرحلة الالتحام بالعمل النقابي حيث اكتشف أن كل ما فعله سابقاً كان طيشاً بلا هدف؛ فكان لا بد من تغيير تلك الصورة، يقول "لا لتكتسب اعتباراً، ولا لتسترد اعتباراً، بل لكي لا تكون

1 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص294.

2 - المصدر نفسه، ص309.

مسخرة أمام نفسك، إذا كنت لا تريد أن تصبح مسخرة أمام رجال الميناء"¹ وكان "برهوم" الزعيم النقابي في الميناء قناة اتصاله بالعمل المنظم وكعادة البطل عند حنا مينه، يرفض مفيد الوحش التماشي مع النظام؛ إذ يظل بعد تجربة البحث والوعي متمسكاً بنهجه الخاص، في محاولته لكسر كبرياء الذين يسيطرون على الميناء.

وبعد زواجه من "لببية" انتفى قلقه من كل النواحي ونمت أهدافه بنمو وعيه، ويظهر هذا في تغير طريقة تفكيره: "ما بقي هو العمل، العمل لأجل شيء، وليس لأجل لا شيء كما في السابق. أنت يا مفيد تقامر الآن بشكل صح... تقف مع الذين يجب أن تقف معهم، مع العمال، ولأجل نقابة..."² وقد يعود سبب انضمامه للنقابة إلى حادث قطع رجل أحد البحارة في المركب الذي كان مسؤولاً عنه، حيث رميت رجله في البحر بأمر من العجوز وأصبح عاجزاً بلا تقاعد أو تعويض، هكذا تحول من مجرد شاب يجري وراء اللقمة إلى أحد رجال الميناء الذين يعرفون أسرارها "دون أن أجور، أو أخضع، أو أحاول تغيير الأمور فيها، ما دامت أمور الميناء هي، هنا وفي كل أنحاء العالم"³.

لكن الاستقرار الذي لامس حياته سرعان ما اضطرب بسبب ملاحقة ثلاثة قتلة مستأجرين من "البطحيش"، بعد محاصرته هاجموه بالعصي والسكاكين ولم يكن سهلاً عليه مواجهتهم، كانت هذه أول مرة يصعب عليه القتال مع أحدهم، لكنه سرعان ما يشحن قوته ويفرض وجوده وهيبته في المنطقة كلها، وهذا ما يبينه قوله: "كانت فرصة

1- حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص294.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص303.

3- المصدر نفسه، ص304.

وجودي، وهويتي، في الميناء كلها، قد حانت، فتصدت لهم... وبكل ما في ساعدي من قوة، وقلبي من قسوة، ورأسي من حقد، انهلت عليه ضرباً...¹

تيقن أخيراً أنه دخل في عداوة مع أكبر رؤساء الميناء، وبذلك هو في مواجهة العجوز المحتكر ولو بصورة غير مباشرة؛ لأنه يمثل الشرطة، وقائد الشرطة، والمحافظ، والوزراء... هو الدولة كلها، وهو كفرد لا يستطيع مقاومة الدولة كاملة، إذن فصدامه مع العجوز ورجاله هو حرب مع دولة بكاملها، وصفها الكاتب في الميناء ورجاله.

كانت لعبة الميناء أكبر من تصوراته مثلما كانت الحرب أكبر من تصور هنري، فكلاهما أكتشف ذلك متأخراً وقرر المواجهة وحتى الهرب إذا تطلب الأمر؛ إذ يقول "مفيد": "أنا في الميناء، وسأقاتل لأبقى في الميناء. أقاتل وحدي عند اللزوم"² قرر أن يدافع عن العمال ولا يخونهم أو يقف ضدهم، مثلما فعل "هنري" بمحاولة إنقاذ فرقة الإسعاف وكل من كان معهم، وهنا تظهر روح التضحية لديهما والإقدام نحو الخطر بكل شجاعة وثبات، حيث أن النقابة التي قرر مفيد عدم الوقوف ضدها تعني "وعي العمال، وحدتهم، ومطالبتهم بحقوقهم، منافستهم له في سلطة الميناء... النقابة حين تتألف، وتعترف بها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ستصبح هيئة معترفاً بها"³

زادت خيبة مفيد حين انقلبت التهمة عليه وأصبح "البطحيش" هو الضحية، وأصبح هو الجاني و"المعلم يوسف" هو المجني عليه وتحتم عليه طلب العفو منهم، كانت هذه مهزلة بالنسبة إليه جعلته يحترق لأن العجوز قلب عليه الأمور، وهكذا أكمل العمل وهو ساخط على نفسه أولاً وعلى الدنيا والميناء ثانياً، حيث اضطر إلى تحمل

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص304..

2- المصدر نفسه، ص311.

3- المصدر نفسه، ص330.

غدر هذه الحرب؛ مثلما تحملها "هنري" بطل همنغواي عندما شهد موت رفيقه برصاص جيشهم، أما "مفيد" فقد خاض معركة مكشوفة أساسها الرصاص والعصي والسكاكين أما الثانية فكانت مستورة سلاحها الكلمات والحوار المبطن والمعلن في نفس الوقت.

وليوضح الكاتب ما وصلت إليه حال الدولة بعد جلاء فرنسا؛ نجده يرمز إليها بالعجوز المحتكر الذي كان يبحث عن الشجعان ليضعهم تحت رحمته لقتل من يعارضه؛ إذ يوضح ذلك من موقف شخصياته "فإذا نجحت تكون قد حققت ما يريد، وإذا فشلت، أو انكشفت، أو قبض عليك، تدفع الثمن وحدك، حتى لو كان الثمن رأسك... يدافع إذا ظل هو بعيدا... أما إذا وجد أحد رجاله يغرق، فإنه يدير ظهره ويدعه يغرق"¹ وهذه حال أي دولة يحكمها المحتكرون.

لم يكن هدف مفيد أن يقف ضد أحد؛ بل كان همه الوحيد أن يظهر شجاعته ويكون رجل ميناء وأشجع شجاعانه، ويرفض العمل الجماعي ويفضل العمل المنفرد ويبرر نزعة الفردانية ورفضه للعمل الجماعي المنظم؛ إذ يبدو البطل عجولا لا يؤمن بالمسيرة الجماعية، رغم تحذيرات أفراد النقابة من العمل المنفرد لكنه لم يعدل عن رأيه فيقول: "إذا تظاهرت سرت معكم، إذا قامت معركة وقفت إلى جانبكم. ما عدا ذلك دعوني وحدي. سأنتقم من المعلم البطحيش وحدي، وربما من العجوز... أما الاجتماعات والتنظيمات فأنا خارجها"² كان يرغب في تأديب "البطحيش" ليصبح عبرة لأمثاله، وهكذا يخلص العمال من شرهم ويصبح نافعاً لجماعة المناضلين.

تغيرت حاله مرة أخرى وأصبح يحسب حسابه في المنطقة، ما كان يريده صار ولم يبق له سوى موضوع الثأر، لكنه وقع في معركة دامية أخرى مع عدوه ورجاله

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص327.

2- المصدر نفسه، ص349.

أصيب خلالها بإصابات بالغة، وهكذا وقع ضحية ظلم واتهم بأنه المعتدي وهنا نجد استتجاده دون جدوى "هذا ظلم... أنا مظلوم يا عمال الميناء. لكن عمال الميناء تركوني لمصيري، كما تركتهم لمصيرهم... ظروفهم، كمناضلين نقابيين، لم تسمح لهم بالتدخل"¹ رغم أنه أثبت شجاعته ودافع عن نفسه وحيدا، إلا أن قضيته تحولت إلى جريمة بعد أن أصاب أحدهم إصابة مميتة، وحكم عليه بالسجن مرة أخرى لمدة خمس سنوات.

أدرك خطأه متأخراً وتيقن أن ما كان ينقصه لينجح في هدفه هو العمل مع الجماعة، لكنه ساعدهم من حيث لا يدري حين استفادوا من قضيته لتوعية غيره وضمهم إليهم، حتى يشعر ببعض من الحرية والانتصار معهم، وهكذا أمضى فترة حكمه دون أن يضعف أو يسمح لزوجته أن تبكي، وشأن البطل في معظم روايات حنا مينه؛ يجد "مفيد الوحش" نفسه في النهاية وحيدا، بعد خروجه من السجن تغيرت المدينة والميناء وتفرق كل من كان فيه، وأصبح يحارب مرض السكر؛ إذ سرعان ما استسلم للمرض وتيقن أنها نهايته، وأصبح يطلب الموت "ماذا أفعل لأستعجل الموت؟... يا موت! لماذا لا تأتي؟... أنقذني... خذ حياتي، أوصلني إلى الراحة"².

بقي على هذه الحال مدة طويلة رغم محاولات زوجته أن تحسن من معيشته وحاله؛ لكن رغبته في الموت كانت تزيد كل يوم، إلى أن زاره في أحد الأيام قريبه "إبراهيم الشنكل"، الذي ساعده على الخروج من حالة اليأس إلى حب الحياة "شعرت أنني أعود مرة أخرى إلى الحياة، وإلى الميناء والبحر، وإلى عالمي الذي فقدته"³ ساعده

1- ينظر: حنا مينه، نهاية رجل شجاع، ص352.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص381.

3- المصدر نفسه، ص390.

في تدبير عمل في بيع السجائر، ثم البضائع الممنوعة من السفن وأصبح يحلم بامتلاك ساقين صناعيتين ويتخيل المشي في الشوارع والنزول إلى البحر.

لكنه وقع ضحية مشاكله القديمة في الميناء، حيث ظهر له عدوه "بطحيش" من حيث لا يحتسب ووجه أنظار الشرطة إليه، وبعد أن حاول الرقيب دخول بيته ينقل لنا الكاتب نهايته على لسان زوجته "جرب الرقيب زريق، مد قدمه داخل العتبة... فجأة سحب مفيد مسدساً من تحت الغطاء الموضوع على رجليه المقطوعتين، وسدد على صدر الرقيب... تهاوى الرقيب... صحت: مفيد... لم يجب مفيد، لكنه سدد فم المسدس إلى صدغه وأطلق".¹

عندما ينتهي حلم "هنري" بموت كاترين وطفلها ويقع في وحدته، فإن نهاية "مفيد" كانت بموته هو، حيث حكمت عليه الظروف أن يواجه العديد من الصعوبات، وكانت معركته مع الحياة أولاً ثم مع العدو المحتل، وآخرها مع الدولة المتمثلة في أبناء وطنه المحتكرين.

نخلص في الأخير إلى أن النهاية في كلتا الروايتين كانت مؤلمة وحزينة تشد عاطفة القارئ وإحساسه، فعاطفة الأسى والتحسر تجعله يتألم لفقدان البطل أو هزيمته واستسلامه، فموت كاترين وطفلها المفاجئ كان نهاية مروعة وجد حزينة، في المقابل لم يكن موت "مفيد الوحش" مفاجئاً؛ إنما كان قرار استسلام اتخذته بنفسه قبل أن ينتحر، فكانت نهايته حزينة وراحة في نفس الوقت من ويلات المرض والمجتمع وكل ما يحيط به.

حملت رواية "وداعاً أيها السلاح" وصفا لا ينسى للحرب العالمية الأولى نتج عن تجربة همنغواي الخاصة، تحدث فيها كذلك عن الحب وصعوبة إتمام تلك العلاقة

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 406. 407.

بالزواج في زمن تهدمت فيه كل العلاقات الإنسانية، فهنري هو نموذج الإنسان الغربي المؤمن بهدف الحرب المعلن؛ وهو تخليص الشعوب من الدكتاتورية والاحتكار، أما هدفها الدفين فهو سلب ونهب الثروات وتدمير المدن والمجتمعات، فقد سعى الكاتب إلى إظهارها من خلال تحركات وانفعالات بطله وأمله في وداع السلاح نهائياً، وقد تكون هذه الرواية ذات معنى مزدوج تعكس أولاً وداع "هنري" للسلاح والحرب، والثاني كان وداع ابنه المنتظر وحبيبته كاترين.

أما رواية "نهاية رجل شجاع"؛ فتصف نهاية الرجال في عصر الاحتلال والظلم والاحتكار، وزمن الفقر وتفتشي الفساد، فأثر الحرب كان مهولاً على البلاد العربية، ونتيجة لذلك توفر للكاتب تراكمات نابغة من واقع مأساوي واضطهادي طيلة الوجود الاستعماري؛ خلصت في النهاية إلى قمة النضج والوعي، وهكذا تشكلت اللوحة العظيمة الشاملة التي أبدعها حنا مينة من الجوع؛ ومظاهر الفقر؛ والاستعمار، ليخرج منها قيمتها الإنسانية الواقعية الممكنة نموذج الإنسان المكافح، فانبرى حنا مينة بوعيه وممارسته على وصف بطله بشكل يعتبر أكبر مثال على ما حل بالشعب العربي أثناءها وبعدها وحتى زمننا هذا لا زلنا نعاني من تبعاتها.

نلاحظ من خلال هذا؛ أن كل كاتب كان حريصاً على تأكيد مدى واقعية أعماله بإلحاح وتكرار، وحين تعلق الأمر بأحداث الحرب العالمية الأولى فيما يخص رواية همغواي، والحرب العالمية الثانية بالنسبة إلى حنا مينة، والتي نقلنا أحداثها بأمانة؛ لهولها الذي يبدو ضرباً من الخيال بينما هو من صميم الواقع، أصبح حديثهما يستند على الفرد في علاقته بالمنظومة الاجتماعية بكافة أطرافها، سواء كانت علاقة بسيطة أم عميقة، حتى صارت بالضرورة علاقة كفاح ونضال اكتسبها منها مشاعرا وأفكاراً أوصلتهما إلى حد اكتشاف قيمة الإنسان والحياة.

بعد هذا العرض يمكننا أن نستخلص في نهاية الفصل، أن روح همنغواي الرحبة وإنسانيته العميقة تتجلى في إيمانه بالإنسان، فالشيخ "سانتياغو" في "الشيخ والبحر" مثلاً رغم خيبته وإخفاقه بقي على استعداد كامل للعودة إلى الصيد، فالكاتب دائماً ما يشيد بالإنسان المحب للبطولة، ذلك الذي لم يخلق للهزيمة وعلى حد قوله فالإنسان قد يدمر لكنه لا يستسلم، وهذه النزعة الإنسانية لدى الكاتب قد أعطت معظم أعماله قيمتها وأدرجتها ضمن روائع الآثار العالمية، وهكذا نرى أبطال همنغواي يتخطون حياتهم المحدودة العاجزة بالكفاح المشرف على حدود الموت ويدخلون بالإرادة إلى عالم الحرية والكرامة.

كما لمسنا صوراً واقعية في رواية "وداعاً أيها السلاح"، كتبها همنغواي من خبراته في الحرب العالمية الأولى، ومن خلالها يعطينا إحساساً بالواقعية الفوتوغرافية الدقيقة للعنف والدمار وتمازجه مع جمال الطبيعة ومع إحساسه الدائم بقصر الحياة وتفاهتها، وذلك ما يظهر باستمرار في سير أحداث فصول الرواية، فنجد البطل يتجول برزانة في الحياة ويبحث عن بعض التقدم الطبيعي بالسماح للظروف أن تقوده إلى المرحلة التالية.

أبدع حنا مينه في تصوير الروح الإنسانية واقتربت أعماله التي خصصنا لها هذا الفصل بثنائية الصراع مع الطبيعة والصراع الاجتماعي / السياسي، أما البحر فيظهر كفضاء واسع لتمثيل الحياة بكل وجوها، فكان بحر حنا مينه الخاص الذي أوجد فيه شخصيات بحرية نموذجية أمثال الطروسي في "الشرع والعاصفة" وغيرها من الشخصيات التي ارتبطت بالرجولة والكفاح.

ونجد تطوراً في مواقف البطل "مفيد الوحش" في مواجهة الأزمات الاجتماعية تظهر من خلال تلاحمه بقضايا المجتمع، وفي قدرته على تحمل قسوة الحياة، حتى

يحقق مبادئه التي يؤمن بها أو يخسر ويعلن هزيمته بطريقته الخاصة، فقد استقر في ذهنه أن الإنسان لا بد أن يدفع ضريبة باهظة الثمن، سواء على الصعيد المادي أم المعنوي، أو يسقط مع المنهزمين الذين يسقطون بسبب الصراع الاجتماعي والسياسي، ويظهر للقارئ أن هذا البطل قد لا يحقق كل طموحاته، إلا أن كفاحه يعبر عن أهمية التعرف على الواقع وتحسس آلامه بشكل مباشر أو غير مباشر.

يصور كلا الكاتبين تحولات الأوضاع من منظوره الخاص وطريقته المختلفة، التي تحكم فيها البيئة والمحيط والظروف الاجتماعية والسياسية التي نشأ عليها، فجاءت شخصية البطل عند كل كاتب ومن حوله من تلك البيئة، فيعاني من القهر الاجتماعي والقمع السياسي، لكنه رغم ذلك يتصف بالطيبة والشهامة، فداخل ذلك الصراع كان من الضروري أن تكون الإرادة الإنسانية هي الفاصل لتحقيق الآمال والكفاح لحل المشكلات؛ إذ غالبا ما تستلزم الإرادة الإنسانية الكثير من العزم والإصرار والوعي، حيث تظهر الشخصيات نابضة بالحس الإنساني الحار وبالرؤية الحضارية داخل بيئتها ومجتمعها، فعالم حنا مينه كعالم همنغواي عظيم في بساطته؛ معقد في سهولته، وهذا ما يوضح أن الأدبيين من أهل الكفاح الإنساني، فحين يكافح الأديب يصبح قوة خطرة في الحياة الاجتماعية لأنه يحلق دائما في الأجواء العالية ولا يرضى بالقليل.

الفصل الثالث

أبعاد شخصية البطل وتمجيد الفعل الإنساني

1- أبعاد شخصية البطل.

أ- البعد الجسمي.

ب- البعد الاجتماعي.

ج- البعد النفسي.

2- تمجيد الفعل الإنساني عند الكاتبين.

أ- علاقة المرشد بتطور وعي البطل.

ب- شخصية المرأة.

تمهيد:

يحاول أغلبية الكتاب الإحاطة بجميع عناصر تجربتهم معظم الأحيان، التي تمثل انعكاساً للواقع الذي تعبر عنه وتحاكي انكساراته وانتصاراته، فيأتي إبداع الكاتب بعيداً عن السخط والاحتجاج ويسمو إلى درجة مناصرة القيم الإيجابية؛ والأفراد والجماعات التي تكافح من أجل تغيير حاضرها ومستقبلها، فالموقف الذي يتبناه الكاتب من خلال هذا كله هو أهم ما يميز أعماله؛ التي يحاكي بها نشاطاً إنسانياً يخلقه الإنسان ليزيد من إيمانه وثقته بدوره في الحياة.

هذا ما أثار اهتمام كل من ارنست همنغواي وحنا مينة في تصويرهما لشخصيات أبطالهما، لأن شخصية البطل تجسد رهان التجربة الفنية على اختلاف أساليبها واتجاهاتها؛ إذ يفضي الحديث عن الشخصية الروائية حتماً إلى الحديث عن البطل، باعتباره الشخصية المعبرة عن سلوك كثير من الناس لهذا حشد الكاتبان جهودهما لإبراز صفاته وملامحه، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لا وجود لصورة جاهزة تُرسم على ضوءها ملامح تلك الشخصية، كما لا توجد ثوابت نظرية فنية تتحكم في بنائها، وإذا كان من الطبيعي أن يستفيد الكاتب من تجاربه المتعددة، فإن ذلك لا يعني وجود دليل ثابت لرسم شخصية محددة؛ لكن تجاربه تفرض مساراً معيناً لطبيعة رسمها، فهي تنشأ داخل النص وتكسب معناها وملامحها منه وبهذا يتمرد بناؤها على كل معيار نمطي.

استوحى الكاتبان شخصياتهما من الواقع فكلها ثمرة تجربة واختبار وتعايش، لأنها تعرض الأحداث في مناطق مختلفة وظفت خلالها شخصيات متنوعة تمثل شرائح عديدة من المجتمع، فكان البطل إنساناً بسيطاً أو بحاراً شجاعاً، أو جندياً ناقماً، أو فتى متهوراً وثائراً...

1- أبعاد شخصية البطل:

جاء اهتمامنا بشخصية البطل منذ بداية هذه الدراسة؛ لأنه الحامل الأساسي لرسالة الكاتب والمجسد لرؤيته في الحياة، وقد عبر أبطال همنغواي وحنا مينة عن اتجاه إيجابي يؤكد عليه كل كاتب لجعل بطله ينتصر على ما يعترض طريقه من خلال قدرات جسمية ونفسية ووعي اجتماعي نلاحظ أنه في نمو مستمر.

لدراسة شخصية البطل وإبراز مواقع تجلي الكفاح؛ وجب تحديد "البعد" الذي جاءت فيه باعتباره "مفهوم رياضي يعني الامتداد الذي يمكن قياسه، ويشير مصطلح البعد أصلاً إلى الطول والعرض أو العمق... لكن اتسع معناه الآن ليشمل أبعاداً سيكولوجية... وكثيراً من سمات الشخصية توصف بمركزها على بعد ثنائي كالسيطرة والخضوع..."¹ وعلى هذا الأساس حاولنا تحديد أبعاد شخصية البطل من خلال ثلاثة أبعاد أساسية هي: البعد الجسمي؛ البعد النفسي؛ والبعد الاجتماعي.

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار؛ أنه لا يمكن استخراج أبعاد متشابهة تماماً بين أبطال الكاتبين بالنظر إلى اختلاف البيئة والمرجعية الخاصة بكل كاتب، وكذلك اختلاف اللغة والبلد والثقافة... لكن هذا لا ينفي وجودها؛ إذ يمكن إيجاد بعض السمات المتشابهة، فإذا كانت هذه الأبعاد "راسية أو مستقرة بعمق في الطبيعة البشرية فمن الطبيعي وجودها لدى (المصريين أو الهنود أو الصينيين أو الأفريقيين أو غيرهم)، مثل وجودها لدى الشعوب ذات الأصل القوقازي في أوروبا أو في أمريكا الشمالية..."² تتكون الشخصية من خلال الفطرة والوراثة إضافة إلى المحيط الطبيعي والاجتماعي والثقافي، بما أن الأفكار هي التي تربط بين البشر حين تبرز حاجاتهم

1- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1987، ص201.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص20.

داخل الحدث الذي يصور أبعاد الشخصيات باختلافها؛ من جانب آخر لا يمكننا بأي شكل من الأشكال أن نطلق على "العمل الأدبي اسم رواية إذا لم يكن يحتوي على شخصيات ترتبط بها الأحداث، فالرواية معرض صور متحركة لشخصيات تتحرك وتحيا حياة حقيقية، وتولد بنفسها الحوادث وتحدد المواقف"¹ من هذا المنطلق نحاول فهم طبيعة الصراع الذي تدور حوله روايات الكاتبين، أهو صراع داخلي (في نفس الشخصية)؛ أم خارجي: أي بين البطل والمجتمع أم الأفراد أم الدين.

أ- البعد الجسمي:

يمكننا التعرف على هذا البعد من خلال النصوص نفسها؛ إذ تحتوي على نقاط واضحة لوصف الشخصية وقدراتها الجسمية، فبطل همغواي "سانتياغو" على سبيل المثال؛ هو شيخ متعب شاحب اللون تنتشر في مؤخرة عنقه تجاعيد عميقة تدل على سنه، وتعلو وجهه الحروق السمراء وفي يديه ندوب عميقة خلفتها حبال الصيد، وفي عينيه ما يلفت النظر ويظهر فيهما الحب والثقة والشغف والكفاح؛ إذ يقول عنها الكاتب: "كان كل شيء فيه عجوزاً ما عدا عينيه فقد كانتا بنفس لون البحر ومرحيتين وغير مهزومتين."²

ثمة علاقة عميقة بين عينيه ولون البحر وعمقه وقوته، على ما في وصفه للعيون من إحياء بالرهبة والخوف والإصرار؛ إذ رسم الكاتب عيني الشيخ بصورة تدل على نزعتة الكبيرة للحياة، وذلك لاقتزان مظهر العيون بمعالم الجمال والحياة، فمن خلالهما يرتسم الوجود الخارجي، وهذا راجع إلى نتائج الفن الرمزية التي يلقي عليها همغواي الضوء؛ والتي تتمثل في "استعماله الأداء الجسماني ليجهز تفسيراً لطبيعة

1- ثائر سمير حسن الشمري، أبحاث نقدية، دار الرضوان، عمان، ط1، 2014، ص129.

2- ارنست همغواي، الشيخ والبحر، ص20.

الوجود الإنساني داخل عالم من الخيبات، أين يعيش أبطاله في كفاح دائم... حيث يحاول الفرد أن يفرض وجوده بكرامة في عالم من الألم والفشل...¹

ولكي يبين الكاتب بوضوح مدى قوة بطله الجسدية، يعود بنا إلى الماضي حين أراد الشيخ أن يعزز ثقته بنفسه؛ فتذكر لعبه ذات مرة في إحدى حانات (Casablanca) لعبة قوة اليد مع رجل عظيم، وأمضيا نهراً وليلة ومرفقاهما مرتكزان على الخط الفاصل ويصور الكاتب ببراعة قوة الشيخ الذي لم يكن شيخاً حينها وإنما سانتياغو البطل، فحين طالب الجمهور بالتعادل بعد أن انقضت ليلة على ذلك؛ وقتها "أطلق جهده من عقاله وأجبر يد الزنجي أن تهبط إلى أسفل وأسفل حتى استقرت على الخشب"² لُقّب بالبطل بعد هذا النزال ما زاده ثقة وقوة وفاز بالعديد من المباريات بعدها؛ إذ كانت هذه الذكرى كفيلة برفع معنوياته.

أما "فريدريك هنري"؛ فنجد الكاتب ركز على أفعاله والأحداث التي يمر بها بدلاً من الصفات والملامح الخارجية، لأن همنغواي فضل في هذه الرواية وصف واقع الحرب الفعلي، أما قوته الجسدية فتظهر من خلال طبيعة عمله في الإسعاف، فهو مضطر دائماً إلى حمل الجرحى والجثث؛ والتنقل داخل ساحات القتال تحت وقع الرصاص وهذا كله يحتاج طاقة جسدية شابة وصحية ومفعمة بالنشاط، وقد يعود سبب تجنب همنغواي تحديد الصفات الجسدية لبطله "هنري" إلى تخلص الروائي من طابع تمجيد المظهر الخارجي والهيئة والاسم العائلي، لأن الرواية أصبحت وقتها "لا تعير

1 - Argetina Velea, war symbolism in Hemingway's works, P 1-2.

2 - أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص70.

الجانب الخارجي أو الجسمي أي اهتمام إلا بقدر ما يخدم القصة. فلم تعد تهتم بملابس البطل أو لون بشرته أو رباط عنقه أو اسم عائلته...¹

الطابع البارز في رواية "وداعا أيها السلاح" هو وصف الشخصية من الداخل؛ فتجسد بذلك طموح الكاتب للبحث عما هو أبعد من المظاهر الخارجية، وهنا يقول أحد النقاد "أما اليوم فعالمنا أقل ثقة بنفسه، وربما أكثر تواضعاً... لكنه أكثر طموحاً ما دام يبحث عما بعد ذلك. إن العبادة المفرطة "للإنساني" قد تخلت عن مكانها لحالة شعور وإدراك شاملة وأقل تمركزاً في الذات"² وبما أن الكاتب كان واقعياً في تصوير شخصياته لم يظهر "هنري" كبطل مثالي بقدرات جسمية أسطورية في تخطيه للصعاب التي واجهها، فالروائي أقام روايته حول بطل يحمل الفكرة والمضمون الذي يريد نقله؛ أو الرؤية التي يهدف إلى طرحها عبر عمله الروائي.

أما الطابع المميز لأعمال "حنا مينة" عن أعمال همنغواي يتمثل في تركيز الكاتب على البعد الجسدي لأبطاله؛ فنجد "الطروسي" وقد أظهرت سمات وجهه البيضوي وملامح جسده الأسمر سمات توحى بأنه رجل عنيد لم تتل السنون من شموخه وصلابته، إذ يصفه الكاتب بقوله: "حركاته التي لم تذهب برشاقتها الأعوام، الجسم الأسمر الضامر بغير هزال، والوجه البيضوي، بذقنه المستدير، ونظرته الجارحة... وهذا الجرح الذي يشطر الخد الأيمن... وهاتان الكتفان المجمعتان، المتحفظتان أبداً لمواجهة خطر مجهول"³ كل هذا جعل لهذا البحار سمات رجل صلب مشدود الملامح، متقلب الطباع لم تتل منه الأيام إلا ما ينال الموج من صخرة الشاطئ

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر العربي، عمان، ط4، 2008، ص133.
134.

2- آلان روب جريبه، نحو رواية جديدة، ت: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1998، ص36.

3- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 169.

كما يصفه الكاتب، قد تخدشه مصاعب الحياة لكنها عاجزة كعجز البحر أن ينال من شموخه وصلابته؛ إذ كان في وقفته يشبه "فارساً يضع قدميه في الركاب، ويرتفع بجذعه إلى أعلى، ويمسك بناصية الجواد ويطارد بعناد واستقلال. الكتفان مجتمعتان، منحنيتان إلى الأمام"¹ كل هذه الصفات توحى بقوته البدنية، لأنه بحار يعتمد معظم الوقت على صلابة عضلاته وقوة جسمه.

أما بطله "مفيد" فيقدمه الكاتب على أنه صبي في سن الفتوة اليافعة؛ سيء الحظ منذ البداية، امتاز برأس كبير مكسو بالشعر الخشن لا يمر من خلاله الكلام دلالة على العناد، "رأسي الكبير، المكسو بشعر خشن كشعر القنفذ، لا ينفذ إليه هذا الكلام، وجسمي العملاق خلق للعراك ولم يخلق لنشر الأفكار، حتى لو فهمتها وآمنت بها"² كما أن بطل هذه الرواية يحكي ماضي حياته باسترجاع الأحداث الماضية وصولاً إلى حاضره؛ إذ بدأ من طفولته المعذبة المشردة التي حفرت في ذاكرته، ويذكر أنه ورث جسمه العملاق عن والده "ضخامة القامة وقوة الساعد، وما عدا ذلك فأنا أفترق عنه في كل شيء، في كبر الرأس..."³

نلاحظ أن الراوي يحدد الملامح الدقيقة لهذه الشخصية كي نتعرف عليها أكثر في مختلف فترات نموها؛ إذ امتاز "مفيد" بقامة طويلة حين أصبح شاباً؛ وكتفين عريضين ورقبة خشنة تحمل رأساً كبيراً بشعر مجعد؛ وعينين واسعتين بلون عسلي، وعضلات قوية مفتولة يستطيع بها لوي الحديد... فمن خلال هذه الصفات التي توحى بالقوة يكتسب البطل ثقة عالية بنفسه لهذا يؤمن البطل بقدرته على تحدي كل ما يواجهه في حياته؛ إذ نجد إشارات تدل على سماته الخارجية حين يقول: "أنا واثق من

1 - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص241.

2 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص45.

3 - المصدر نفسه، ص17.

نفسى. واثق من زندي. لي زند قوي، وقلب قوي، ورأس ضخ كراس الثور، بل هو أشد صلابة، أعرف هذا الرأس، وأعرف أنني إذا ضربت به، أو نطحت حيطاً، فتحت فيه فجوة. هذا الرأس خلق للنطاح¹ كثيراً ما يشبه نفسه بالحيوان في قوته وصلابة جسمه وضخامة بنيته.

يختلف بناء شخصية "مفيد" عن باقي الشخصيات التي عنيها بدراستها؛ لأن الكاتب ركز على تتبع البطل منذ كان صبياً حتى أصبح رجلاً راشداً، أما بالنسبة إلى الشخصيات الأخرى التي قدمها الكاتبان؛ فلم تذكر أي تفاصيل عن فترة طفولتهم أو طريقة نموهم وتربيتهم، "فسانتياغو" هو شيخ كبير يمتاز بالحكمة والرزانة في اتخاذ القرارات وما يميزه أنه قوي البنية، و"الطروسي" كذلك كهل ترك وراءه طيش الشباب وامتاز بالحكمة والقوة الجسدية، أما "هنري" فهو شاب في مقتبل العمر لكن الكاتب لا يوضح صفاته الجسدية أو مدى قوة قدراته، وبدون شك هناك ارتباط بين البنية الجسدية وبناء الشخصية.

يظهر هنا أن الكاتبين لم يركزا في تصوير هذه الشخصيات الثلاثة (سانتياغو، الطروسي، هنري) على فترة طفولتهم أو طريقة تربيتهم أو تتبع نمو قوتهم الجسدية، لكن ما يمكن تأكيده أن كل الشخصيات تمتاز بقدرات بدنية عالية؛ تظهر عند تأزم الأوضاع وهذا هو عنصر الاشتراك بينهم، وما نلاحظه أن أبطال الروايات التي درسناها تصف أربعة رجال في مراحل مختلفة من العمر (فتى، شاب، كهل، شيخ عجوز)، وهنا يظهر الاختلاف واضحاً بين هذه الشخصيات، فباختلاف المرحلة العمرية تختلف القدرات الجسدية التي يظهرها كل بطل؛ إذ يمثل كل منهم صفات معينة يحملها أغلبية الناس، وكل بطل يصف أوضاعه ويحمل آلامه وطموحاته،

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص104.

وبذلك يلخص كل بطل شخصية جيل كامل لأن "بطل الرواية هو "شخص
"Personne" في الحدود نفسها التي يكون فيها علامة على رؤية ما للشخص.¹

بالعودة إلى وصف القدرات البدنية لأبطال "همنغواي" نجد الشيخ "سانتياغو" يظهر مهارة عالية في الصيد خلال رحلته الطويلة بفضل قوته الجسدية وخبرته ذكائه المميز في استعمال تلك القدرات، من أمثلة ذلك حين التقطت سمكة الطعم من إحدى الصنارات، فركز توتر السمكة كاملاً على كتفه الأيسر وفي نفس الوقت عمل بكل قوته وببد واحدة على الطعم الآخر؛ وحاول أن يتم ذلك بمهارة عالية، فيصفه الكاتب بقوله: "... لكن بعد أربع ساعات ظلت السمكة تسبح بثبات خارجة إلى عرض البحر، جارة الزورق، والرجل العجوز لا يزال ثابتاً بقوة والخيط على ظهره"² وهذا الثبات في إمساك الخيط دليل على قوته الجسمية وقدرته على التحمل رغم كبره في السن.

اتصف "سانتياغو" بالقوة منذ شبابه حتى شيخوخته ولديه مقدرة هائلة على تحمل الألم؛ فحين شعر بشدة ضغط الخيط المستمر على يده حتى تشنجت، نظر إليها باشمئزاز وكأنه لا يبالي وقال: "أي نوع من الأيدي هذه، تشنجي إن أنت أردت. حولي نفسك إلى مقلب... إنها ليست غلطة اليد وقد بقيت أنت ساعات كثيرة مع السمكة"³ وكأنه بهذا يطمئن نفسه ويديه المصابتين ويعتني بنفسه من أجلهما؛ من أجل تحقيق نصره بقليل من الصبر والمثابرة، فهو يمقت التشنج لأنه يمثل في نظره خيانة الجسد لصاحبه وإذلال يصيب الإنسان ليهينه ويزعزع قوته.

1- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص50.

2- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 50.

3- المصدر نفسه، ص60.

في المقابل يُظهر "الطروسي" قدراته الجسدية عند انتصاره في قتاله مع خصمه "صالح برو"، لأن الطروسي بطل جبار وقوي عرف عنه الانتصار في العراك بقوته وخفة حركاته؛ إذ باغت خصمه "بضرب الخيزرانة الرصاصي المحكم فتراجع وقفز ثم وثب وطعن الكتف... وطالما عارك وتعارك ودافع وقا تل كي يشق طريقه ويعيش، ولطالما فرضت عليه معارك كهذه فخاضها غير هباب"¹ بفضل صراعه هذا أضاف إلى بطولته في البحر بطولة أكبر في البر كمقاتل صلب قوي البنية، مثلما أثبت الشيخ "سانتياغو" قوة ساعده بمنافسة الرجل الأسمر قوي البنية في كازابلانكا.

تتضح شدة بنيته وسعة معلوماته عن البحر والإبحار والصيد مثل الشيخ "سانتياغو"؛ من خلال مواجهة العاصفة وأمواج البحر الجبارة لإنقاذ مركب "الرحموني"؛ إذ لا يدل ذلك على الصراع بين الإنسان والطبيعة فقط، وإنما له دلالات أخرى منها التعبير عن انتصار البطل على بعض عناصر البحر، وإثبات جدارته وقوته البدنية التي لم تخف منذ البداية، فرغم إصابته بحد هيكل القارب الخشبي وإحساسه بأن سكيناً قطعت كتفه، إلا أنه لم يشعر إلا بالألم خفيف في الظهر "وظلت إرادته قوية، لم يعد يفكر بشيء، في البحر ولد فأية غرابة أن يموت فيه"².

لم يعد الطروسي شاباً كما كان وقد أنهكه التعب، مثلما أنهك المرض جسم "مفيد" وأفقه كل قوته الأسطورية التي كان يفخر بها، لأنه استنزف معظم قوته في فترة شبابه، نلاحظ أن أبطال حنا مينة أقوياء جسدياً ويمتازون بالقدرة على التحمل، وهذا يشبه إلى حد ما وصف همنغواي لبطله "سانتياغو" بقوة البنية فهو رجل مقدم يتحدى قدراته البدنية التي غيرها الزمن دون تردد أو خوف من أن تخونه قوته، أما "هنري" فرغم أن الكاتب لم يصف شكله الخارجي؛ إلا أن تحركاته وعمله وحمله للجرحى توضح قوته

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص19. 20.

2- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص262.

البدنية، من جانب آخر نلاحظ أن حنا مينة تعمد وصف أبطاله بضخامة الأجسام؛ خصوصاً من اضطر منهم خوض معارك مباشرة وصراعات عنيفة مع قوى المجتمع وقوى الطبيعة، "مفيد" مثلاً يصف قدراته الجسدية الكبيرة أثناء تواجده في السجن بقوله: "حين تحداني سجين كان يعتد بقوته، طلبت من سجينين معافيين، أن يتعلقا برأسي وأنا مقرص، ونهضت بهما دون أن تنتثي رقبتني، أو يميل رأسي عن استقامته"¹.

في الأخير يتضح لنا أن كلا من همنغواي وحنا مينة اهتم بجعل بطله يتصف بملامح جبارة، فكيف للشيخ "سانتياغو" مثلاً أن يصارع البحر والسمة العملاقة وأسماك القرش؛ رغم أنه كبير في السن ولم يعد يملك من القوة ما يخوله لفعل ذلك كله في وقت واحد، "وهنري" كذلك حين اضطر إلى تحدي برودة الجو والقفز في النهر والسباحة لمدة طويلة رغم إصابة ركبته، و"الطروسي" من جهة أخرى استطاع إنقاذ مركب على وشك الغرق وهي مهمة قد يتطلب إتقانها فريقاً كاملاً من البحارة، والأمر نفسه بالنسبة "لمفيد" الذي كان يصارع العديد من الرجال وحده معتمداً على قوة ذراعه فقط، من خلال هذه الصفات يمكننا ملاحظة أن الكاتبين يحاولان تمجيد الفعل البطولي الإنساني المتعلق بالكفاح؛ بما انهما يدفعان الإنسان إلى تحمل الألم والعذاب، ورغم أنهم لم يرضخ أي منهم أو يستسلم لأي هزيمة أو معاناة؛ إذ يستمد كل بطل قوته من الضعف ويتعلق بالحياة ويصارع بكل قوته من أجل البقاء وتحقيق وجوده.

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص74.

ب- البعد الاجتماعي:

يبني معظم الكتاب أفكارهم وقضاياهم المهمة في اتصال وثيق بالمحيط والأحداث المميزة؛ إذ لا يمكن تصور أحداث تقع دون مشاركة الشخصية في سيرها، فتتصف شخصية البطل إثر ذلك بمجموعة صفات قد نجدها عند الإنسان العادي، وهذه الصفات والقيم التي تتحرك داخلها الشخصية لا بد لها من محيط للعيش فيه والتفاعل مع كل ما يوجد فيه كما هو الحال في الحياة العادية، فالبعد الاجتماعي يتمثل في "انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية. وفي نوع العمل الذي يقوم به المجتمع، وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه وجنسيته وهواياته..."¹

لا يخفى تأثير المحيط الاجتماعي على أبطال الكاتبين وكل ما يتلقونه من مجتمعاتهم في تكوين شخصياتهم؛ لأن الكاتب هو خالق عالمه الروائي وهو الذي يبدع الأحداث ويخترع صفات الشخصيات، ويشكل حركة الحياة ومشاهد الصراع؛ باعتباره إنساناً محكوماً بظروف مجتمعه لا يمكنه "تصوير شخصيات لا تخضع حركتها لمنطق الواقع الذي تنتمي إليه، وتستمد وجودها... من انعكاس مسيرته النضالية في مرحلة زمانية مكانية محددة"² فالأبطال الذين اهتمنا بدراساتهم قد يبدون طباعاً اجتماعية بوعي ذاتي يظهر أمامنا نتيجة صراع معين مع الظروف التي تتطلب روحاً مكافحة للصمود أثناءها.

يتضح لنا أن كل بطل اختاره الكاتبان (أرنست همنغواي وحنا مينة)؛ يأخذ حاجاته وصفاته وأخلاقه من الواقع الاجتماعي الذي اختاره كل كاتب، وقد يعود هذا

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص133.

2- طه عمران وادي، الرواية السياسية، ص56.

إلى أن "العالم بلا محدوديته هو الموضوع الواسع للإبداع، ولأن الذات بمجهولاتها تكون على السواء مؤلدة وموضوعاً للإبداع، فإن سحر الموضوع ينشأ في تلك النقطة الهلامية التي يتلامس فيها الذاتي والموضوعي والظاهر والملتبس"¹ فتصبح الرواية إثر ذلك منصة تقدم من خلالها قضايا مجتمع ما، وهنا يمثل البعد الاجتماعي مجموعة القيم التي يتلقاها الفرد، حيث تجري خلال ذلك تعديلات على سلوكه حتى يتمكن من التعايش مع بيئته التي تشمل الطبقة الاجتماعية التي تميز الشخصية واهتماماتها وعلاقاتها، والروايات التي بين أيدينا تحفل بالقضايا الاجتماعية المختلفة في ظل الظروف السائدة في مجتمع كل كاتب.

كرس همنغواي قلمه لتوضيح ألم بطليه (سانتياغو، هنري) وكفاحهما لتحقيق مجدهما الإنساني داخل المجتمع؛ لكن الشيخ "سانتياغو" امتاز بوحده وفرديته واختلافه عن باقي الشخصيات التي اهتمنا بدراستها؛ فنتاج علاقاته الاجتماعية كان محصوراً في الصبي الذي أحبه بصدق، أما باقي الصيادين فمنهم من احترمه ومنهم من أهمل حديثه معه، خاصة أنهم أصبحوا يتفاخرون بقدراتهم الشابة أمامه، فخلفية قصة الشيخ جاءت من تجارب الكاتب خلال فترة إقامته في كوبا، حين "نشبت الحرب العالمية الثانية، كان همنغواي يقيم في كوبا، وقد قدم قاربه البخاري كمركب دورية مساعد، وتابع القيام بدوريات ضد الغواصات في بحر الكاريبي..."² فمثلما أثرت الحروب وتغير الظروف الاجتماعية على همنغواي؛ كان أثرها واضحاً في أعماله ولو بشكل غير مباشر مثلما لاحظنا في رواية "الشيخ والبحر".

1- حميد لحميداني، سحر الموضوع (عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر)، أنفو. برانت، المغرب، ط2،

2014، ص3.

2- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص9.

ركز الكاتب منذ البداية على تصوير حالة الشيخ المعيشية التي تستدعي الشفقة، فهو عجوز فقد مهارته ورافقه سوء الحظ وكان يعيش وحيداً، وبهذا الأسلوب يحاول الكاتب إظهار معاناته وبؤسه الذي يرتسم على وجهه الشاحب ويظهر من مركبه المهترئ "كان الشراع مرقعاً بأكياس دقيق، وقد بدا، وهو ملفوف، مثل علم الهزيمة الدائمة"¹ هذه أولى علامات الفقر والظروف السيئة التي عاشها هذا الشيخ، فقسته بسيطة تحكي مرحلة من حياة صياد سمك يبدو صراعه وجراته وتحمله تلخيصاً لحياة الإنسان؛ إذ حاول الكاتب أن يتجاوز قصة الصياد وسمك المارلين والقرش، ليقدم "رجلاً عجوزاً حقيقياً، وولداً حقيقياً، وبعراً حقيقياً وسمكة حقيقية وسمك قرش حقيقي... كلها جيدة وحقيقية تماماً حتى تعني أموراً كثيرة"² فهذه الرواية تحكي قصة صراع الإنسان مع محيطه خلال رحلته في الحياة.

تظهر أقصى دلالات محنته وفقره في وصف الكاتب كوخه الرث الذي كان يعيش فيه، "كان الكوخ مصنوعاً من سعف نخل ملكي خشن يدعى جوانو/guano فيه سرير وطاولة وكروسي واحد ومكان على الأرضية القذرة للمطبخ... الحيطان البنية المصنوعة من الأوراق المنبسطة... علقت صورة بالألوان للقلب المقدس ليسوع وصورة أخرى لعذراء بلدة كوبر، كانت هاتان الصورتان من آثار زوجته"³ ومن خلال وصف بيته يمكننا التعرف على مستواه الاجتماعي وظروفه المعيشية، فالمكان هو الصورة التي يوضح بها كل كاتب الحالة التي تعيشها شخصياته، "فالمكان الجميل يوحي بأن البطل سعيد والمنظر الكئيب يوحي بالحزن. وتغير المكان وانتقال البطل من مكان

1 - أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص19.

2 - المصدر نفسه، ص11.

3 - المصدر نفسه، ص 25.

لآخر يوحى أو يهيئ القارئ لأحداث جديدة¹ والمكان الذي ينشأ فيه البطل هو طرف آخر لصراع الإنسان.

بنتبعنا لحياة باقي الأبطال لاحظنا أن حالهم من حال "سانتياغو"، فبالنسبة "لهنري" بطل "همنغواي" بينا سابقاً أنه تشرد بسبب الحرب ولم يكن له مكان ثابت يستقر فيه، جراء انتقاله ووصفه للمناطق التي حل بها نلاحظ المناظر الكئيبة التي توحى بالحزن، وهو الأمر نفسه الذي يوضحه "مفيد الوحش" خلال انتقاله من قريته ثم التشرد في أرجاء المدينة بدون مأوى ثم إلى كوخ رث مثل كوخ الشيخ "سانتياغو"، وخلال ذلك يعكس ظلال نفسيته وينكشف الارتباط العاطفي والوجداني سواء كان سلبياً أم إيجابياً ومهما اختلف الزمان والمكان.

أما "الطروسي" فقد كافح كثيراً لإنشاء المقهى مصدر رزقه الوحيد؛ الذي لو لم يساعده أحد أصحابه من ذوي النخوة والرجولة لما استطاع فتحه، وهكذا قام المقهى في الأصل كخيمة كل ما فيها كان بسيطاً متواضعاً، كانت "تبدو جرداء مقفرة في الشتاء... وكان المقهى، من الداخل، عارياً إلا من بعض إعلانات أفلام ما قبل الحرب... وعلى استطالة الدكة المجوفة التي تتحول في الليل إلى سرير ينام عليه الطروسي أحياناً"² في هذا دلالة واضحة على وضع البطل المعيشي، وفئة من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه.

يوضح لنا همنغواي سوء حالة بطله الشيخ "سانتياغو" وعدم تمكنه من توفير الطعام أو اللباس؛ إذ لم يتوفر لديه حتى القليل من الأكل رغم ادعائه عكس ذلك أمام الصبي، حين أكد أن لديه "قدر من رز أصفر مع سمك... لم يكن هناك قدر من رز

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص138.

2- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص55. 56.

أصفر وسمك وكان الولد يعرف هذا أيضاً¹ قد يكون سبب ادعائه هذا تقادياً لإحساس الشفقة الذي قد يهز كرامة الإنسان المكافح، وكما كان يتخيل أن هناك أكلاً في كوخه كان يتخيل شبكة الصيد الصغيرة التي اضطر لبيعها من شدة فقره، والصبي نسج معه هذا الخيال رغم معرفته بعدم وجود شبكة الصيد، مثل علمه بعدم وجود أكل أو ملابس جيدة أو أي من ضروريات الحياة.

ما يوحي أكثر بحالة الشيخ البائسة هو مظهره الخارجي، ويظهر ذلك حين عاد الصبي "مانولين" ذات يوم ومعه بعض الأكل وجد العجوز نائماً في كرسي، لم يجد له غطاءً سوى بطانية الخيش العتيقة التي فردّها فوق كتفيه، وهنا يصف الكاتب مظهره بقوله: "كانتا كتفين غريبتين، لا تزالان قويتين مع أنهما عجوزين جداً... كان قميصه قد رقع مرات كثيرة جداً حتى أنه كان مثل الشراع وبهتت الرقع متحولة إلى ظلال ألوان مختلفة من الشمس... وفيما كانت عيناه مغمضتين لم تكن في وجهه حياة..."² يلخص هذا الوصف الحالة التي كان يعيشها البطل، لكننا نجده رغم ذلك مفعماً بالأمل والإصرار والصبر.

من جهة أخرى نجد بطل رواية "وداعاً أيها السلاح" يعاني أوضاعاً مزرية، فهذه الرواية قائمة هي الأخرى على تجارب همنغواي الحربية في إيطاليا، وقد استعمل فيها حسب رأي سمير عزت النصار - في تقديمه لرواية الشيخ والبحر - تيار الوعي في شكل أفكار تحملها الشخصيات الرئيسية لتقدم للقارئ فكرة أعمق عنها، كما "تتضمن هذه الرواية البطل الأمريكي وقد جرح، ووقع في حب ممرضة... ويتبع هذا هزيمة الجيش، الألماني في كابوريتو، فيهرب البطل من الجيش، ثم يعيد ارتباطه بالممرضة،

1- ينظر: ارنت همنغواي، الشيخ والبحر، ص25.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص27.

التي يهرب معها إلى سويسرا، وتنتهي الرواية بموتها أثناء ولادتها لطفل¹ هذا هو مختصر أهم الأحداث التي مر بها بطل الرواية، فقد مر بظروف أليمة من جوع وتشرد واغتراب وسوء الأحوال المادية والمعنوية، التي كان سببها الرئيسي الحرب.

ما يمكن ملاحظته أن رواية "وداعاً أيها السلاح" لا تحتوي على أي معلومات عن حياة "هنري" قبل الحرب، مثلما هو الحال بالنسبة إلى الشيخ "سانتياغو"، وكل ما نعرفه عن "هنري" أن له زوج أم وله جد يظهر حين أرسل رسائل له وهو في المستشفى ينتظر انتهاء مأذونيته الأخيرة للعودة إلى الجبهة "وجدت فوق منضدتي بعض الرسائل... كانت أولها من جدي تتضمن أخبار العائلة، ثم نصائح.. وحوالتين بمئتي دولار² وفي وقت لاحق من الرواية؛ يعيد الكاتب ذكر عائلته بشكل مقتضب في حوار بين هنري وكاترين جاء كالاتي "ألن يحاول أهلك استدعاءك بعد أن علموا بوجودك في سويسرا؟ ... ربما سأكتب لهم قريباً...أحمد الله أنني لست من أهلك، ألا تفكر فيهم؟ ... طبعاً، ولكني على خلاف معهم... دعينا من الحديث عنهم. لئلا يعذبني الحنين..."³ لم يذكر خلافه مع عائلته إلا في هذه المرحلة دون التعمق في أي تفاصيل أخرى، وهنا نلاحظ أن همنغواي اختار أن يسرد قصة أبطاله دون أي ارتباط عائلي معين، فلا يقدم أي تفاصيل دقيقة عن حياتهم العائلية.

أما الارتباط العائلي في رواية الشراع والعاصفة فجاء بشكل مختصر وسطحي، فلم يكن للأسرة دور كبير في حياة الطروسي؛ مثل الشيخ سانتياغو الذي لم يحدد له الكاتب أي علاقة أسرية أو زوجية؛ بل ذكر بشكل مختصر صورة زوجته المتوفية التي لم يحتمل رؤيتها معلقة فأنزلها ووضعها جانباً بعد تغطيتها بقميصه النظيف، وفي هذا

1- ينظر: أرست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص8.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص159.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص324.

تأكيد على وحدته وعزلته، أما الطروسي فيذكر أسرته في شكل ذكريات حين كان طفلاً شقياً فيقول: "سببت للوالدين... متاعب ومخاوف كثيرة، وكانت أختي فاطمة... هي التي تتستر علي، وتقني حين يربطني والدي إلى عمود البيت، بسبب هربي من المدرسة أو شيطنتي وعراكي مع الأولاد وسباحتي في البحر"¹ فأعز أفراد عائلته كانت أخته فاطمة التي كانت تطعمه وتعطيه من مالها (وهذا انعكاس لصورة أخت الكاتب التي كانت له أما ثانية وقدمت له العون والمال والمحبة)، لكن سرعان ما تزوجت في طرابلس وأصبحت غريبة هي الأخرى، لكنها لم تنقطع عنه وبقيت تهتم بأموره وتبحث له عن زوجة، لإحساسها أنه أصبح وحيداً بدونها ويحتاج إلى عائلة وأطفال يرعاهم.

بالنسبة إلى "مفيد" اختار حنا مينة أن يصف حياته العائلية في الصغر فقط، وهنا يقع الاختلاف بينه وبين باقي الأبطال، حيث ولد في عائلة عادية أب قاس وأم حنون وإخوة وأخوات، لكنه لم يعترف يوماً بسلطة الأب؛ إذ يقول: "لم أعترف، يوماً، بسلطة أب، ولا عناني كما يعني الحيوان نفسه، حنان الأم، أما الاخوة والاخوات فلم أشعر بوجودهم، ولم أعترف بهذا الوجود أصلاً... ولم أستشعر، حتى عندما كنت في حضن الأسرة، أنهم من أسرتي"²، فالأسرة في نظره لم تكن ارتباطاً عائلياً، ولا بيتاً دافئاً بل مجرد ملجأ للنوم الأكل فقط.

من جانب آخر؛ نلاحظ تركيز حنا مينة على تصوير الظلم الذي يتعرض له أبطاله؛ في ظل الظروف الاجتماعية السائدة في المجتمع السوري، والتي تداخلت مع واقع الاحتلال الفرنسي لسوريا الذي يمثل محوراً موازياً مهماً في رواية "الشرع والعاصفة" و"نهاية رجل شجاع"، يظهر ذلك من خلال مواقف كل بطل من الأحداث القاسية التي مرت عليه لهذا جاءت الشخصيات مفعمة بالحركة والحياة تنتمي إلى بيئة

1 - ينظر: حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص50.

2 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص16.

فقيرة، تقدم من خلال بيئتها حركتها وفعلها وسلوكها وحوارها، كما نلاحظ حالتهم المادية المزرية متداخلة مع عزة نفس وغنى لا مثيل له؛ وفق علاقاتهم الإنسانية وتلاحمهم وبساطتهم، فقد اعتمد تحليل الواقع ونقده بوضوح في محاولة لفهم الظواهر الاجتماعية، من خلال التأكيد على انهيار معالم المجتمع؛ ونقشي الفقر والفساد بسبب الحرب، كل هذا ليثبت في الأخير ثقته بالنضال الاجتماعي والتضحية الإنسانية وقدرتها على تحقيق مستقبل أفضل، فرواية الشراع والعاصفة مثلاً: "تعد رواية البحارة والبحر بامتياز، هي قصة رجال البحر الذين يعملون لينتصروا على عواصف الطبيعة القاسية، هي قصة العاصفة الاستعمارية التي تكافح البلاد ضدها".¹

اختار الكاتب أبطاله من أبناء الطبقة الكادحة؛ "فالطروسي" اتبع في حياته سنته الخاصة وهي "اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب"² حيث جاهد في أول عمره جهاداً شاقاً حين عمل في الميناء والبحر والصيد، وتمكن بفضل إصراره من شراء قارب صغير؛ ثم باعه واشترى شخورة، وبدلها حتى اشترى "المنصورة"، وهكذا كانت معاناته وشقاؤه من أجل امتلاك عمل ثابت سبباً في قراره لإنقاذ المركب المنكوب، كما دفعه وضعه إلى تذكر الجوع والاضطهاد وسلطة عصابة الشر التي كانت حوله، ومصير كل من يقاومهم "فشعر بوطأة الحياة الجارية في الميناء كأنه يحياها بنفسه. إن وضعاً جديداً قبيحاً يسيطر عليها الآن، أما في زمنه، زمن المنصورة، فلم تكن في المرفأ هذه الحركة التجارية الواسعة... ولا هذا الاحتكار لأعمال الشحن والتفريغ"³.

وصف الكاتب شخصية كل من "الطروسي" و"مفيد" بأوصاف مميزة جعلتهما من أبطال المقاومة الإنسانية، ونموذجاً للنبل والكرامة والشهامة والاعتداد بقدرة الإنسان على

1- مهدي عبيدي، جمالية المكان في ثلاثية حنا مينة، ص17.

2- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص51.

3- المرجع نفسه، ص32.

الانتصار في صراعاته؛ ما دام مصراً على الكفاح والنضال والمقاومة، كما سعى الكاتب إلى خلق علاقة وثيقة بين الشخصيات والحوادث التي تقتعلها، لذلك جاء وصف الشخصيات وتفاعلها الداخلي والخارجي ملائماً لتلك الأحداث.

أما شخصية "مفيد" فهي حية وواقعية حتى يكاد القارئ يتخيل منها نماذج تشبهه في حياته العادية، إلا أنها شخصية نحت منحى تراجيدياً في النهاية على خلاف شخصية الطروسي الذي انتهى بالانتصار وتحقيق رغباته، فالمأساة عند "مفيد" لها طعم خيبة الأمل والاستسلام وخسارة الوطن ونهاية الكفاح، لقد أصدر الحكم على نفسه وقضى عليها بالموت، فشخصيته تؤكد أن الابتعاد عن الإيمان بقيم المجتمع يؤدي إلى حياة من العبث، كما تؤكد على استسلام المرء وتجاهله لعذاب من حوله، وهروبه من فساد مجتمعه وتجاهله لكل ذلك بسبب أزماته النفسية، فيمثل بذلك نموذجاً واقعياً يعكس أثر الأزمات الاجتماعية (من فقر ونقص في الوازع الديني وتقشي الفساد وغيرها) في تدمير حياة البشر.

يمثل "مفيد" نموذجاً للشخصية المقهورة والمحبطة؛ إذ نشأ وفي نفسه بذرة التحدي والرفض لأوضاع الفقر والظلم والاحتكار وغيرها، وترعرع في كنف عائلة فقيرة عاشت المعاناة من مشاق الحياة، كان الفقر رفيقه منذ البداية وحدد موقفه منه دائماً، وهذا ما يكشف عن أفكاره المتضاربة ومشاعره المتأزمة بسبب كل ما مر به.

في نظرة تحليلية لقصة كل من العجوز "سانتياغو" و"الطروسي" يمكننا تحديد البعد الاجتماعي بوضوح في الروايتين؛ إذ نلاحظ وجود العجوز في قلب البحر وحيداً يحيطه الماء من كل جهة، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه كان وحيداً ومنعزلاً عن العالم بل نستطيع القول إنه كان يكافح في قلب المجتمع، لأن المعادلة هنا هي نفسها والتي تنص على قانون "إما أن تقتل أو تُقتل"، وهي نفس العلاقات التي وجدها الطروسي في البر والبحر، فكل منهما كان يكافح بطريقته الخاصة ضد الطبيعة والمجتمع في آن واحد؛ إذ

تقع الأحداث بفعل الشخصيات ولا بد لتلك الأحداث أن تحتوي على بيئة مكانية وزمانية تحصر فيها وجودها، وبذلك يظهر "جو من الواقعية... فالبيئة هي الوسط الطبيعي الذي تجري ضمنه الأحداث وتتحرك فيه الشخص... وقد يخلق المكان صراعاً في نفس البطل"¹.

هذه هي العلاقة الحتمية في البر والبحر؛ التي تمثل صورة المجتمع الذي وجدت فيه الشخصية، فسانتياغو يعبر من خلال كفاحه في البحر عما يجري مع الطروسي في البر، ففي رواية "الشيخ والبحر" يحتل البحر جزءاً مهماً من الرواية؛ إذ يمكننا اعتباره شخصية ثانية تساهم في خلق الكفاح عند البطل، يضطر فيه الشيخ إلى قتال العديد من أسماك القرش، كما نجد الطروسي كذلك اضطر لقتال القرش البشري المتمثل في عصابات الميناء والمحتكرين، حيث كانوا يطمحون إلى قتله وسلبه راحته وعزلته وتحطيم نصره العظيم؛ المتمثل في الهرب من عالمهم المزدهم بالحزن والكراهية والحدق والصراعات إلى عالمه الحر الواسع؛ ففي رحلة المعاناة والبحث والتأمل لاكتساب الوعي، نجد الطروسي يقيم أولاً في البر مكرهاً بعد تحطم مركبه، ثم يعود إلى البحر في النهاية بالانتصار على مجموعة من الصعوبات؛ واجهته في البر وفي أعماق البحر، فعنصر التغلب على تبعات الهزيمة هو نقطة الاشتراك بين هذين البطلين (سانتياغو، الطروسي).

فيما يخص الجانب الديني الذي قد يمثل أحد أساسيات بناء الروابط الذاتية للشخصية أو الترابط الاجتماعي بين الشخصيات، لكن يظهر بوضوح أن كل أبطال الكاتبيين لا يهتمون بهذا الجانب ولا يركزون عليه في حياتهم؛ ولا يتذكرون الصلوات والدعاء سوى وقت الشدة والمصائب، فالشيخ "سانتياغو" بعد أن تمكنت منه آلام المعركة تقبل ألمه وتعبه وتمسك بقوته وإرادته وبدأ يتلو صلاته رغم أنه ليس متديناً،

1 - ينظر: عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 138

لأنه رأى فيها طريقة قد تكون ناجحة لشد عزيمته حتى يظفر بهذه السمكة، ونجد الشيخ يلجأ إلى الصلاة حين يحاصره الشك في قدراته، وصلاته هذه تكشف عن سذاجته وبراءته؛ إذ يقول: " لست متديناً، لكنني سأتلو عشر مرات: أبانا وعشر مرات السلام عليك يا مريم حتى أصطاد هذه السمكة، وأعد أن أقوم بالحج إلى مزار عذراء بلدة كوبر إذا اصطدتها. ذلك نذر علي"¹ فهو هنا يستند إلى الدين لضمان انتصاره عند مواجهته الطبيعة، وهذا للظفر بهدفه الذي صار بين يديه من خلال اللجوء إلى الابتهاال فيقول: "أيتها العذراء المباركة، صلي من أجل موت هذه السمكة، رغم أنها مدهشة"² شعر بتحسن كبير بعد تلاوة صلواته رغم أن ألمه ظل متواصلاً.

سرعان ما يتنازل الشيخ عن صلواته بعد انقضاء حاجته بحجة تعب البدني؛ رغم أنه كان يعزم مصارعة المزيد من أسماك القرش في حال هاجمته، وقال في نفسه: "هناك جميع تلك الصلوات التي وعدت بتلاوتها إذا اصطدت السمكة. لكنني تعبان جداً لأتلوها الآن. يحسن أن أحضر الكيس وأضعه على كتفي"³ فرغم وجود بعض القوة في جسمه إلا أنه قرر التراجع عنها لأنه خسر السمكة التي تلا الصلوات من أجلها.

قد يتضح هنا أن همنغواي ليس بكاتب متدين بالمعنى الحرفي؛ ولكن الدين عنده رمز لتتعرف الإنسانية على نفسها، لذلك يتذكر أبطاله التقرب إلى الرب وقت مصائبهم، وهذا ما يجعلهم يتعرفون على ضعفهم وحاجتهم إلى التشبث بما قد ينقذهم، كما يمكن ملاحظة أن "القصة تدين حقاً بكثير من قوتها للرمزية التي يستعملها همنغواي، الرمزية هنا مسيحية، فسانتياغو هو حرفياً القديس جيمس شبيه بالاسم

1- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 65.

2- المصدر نفسه، ص 66.

3- المصدر نفسه، ص 107.

الإنجيلي جيمس ابن زبيدي، صياد سمك. إنه رجل عجوز تقي يلتجئ إلى الرب، إلى المسيح والعذراء مريم وهو يصلي رسمياً أيضاً... إن صورة الصلب ظاهرة في الإشارة إلى يدي سانتياغو الجريحتين¹ رغم هذه الإشارات إلا أننا نلاحظ أن الشيخ "سانتياغو" ليس متديناً تقياً، إنما يظهر تزعزع وازعه الديني بعدم حفاظه على وعوده وصلواته.

ينطبق الأمر كذلك على "هنري"؛ الذي لا يؤمن بالدين ورجاله هو وكثير من رفاقه، رغم محاولة "القس" (رفيقه في الفرقة) إقناعهم بغير ذلك لكنه دائماً ما يصطدم بسخريتهم واستهزائهم من تعففه، وفي أحد النقاشات يقول أحد قادة فرقة البطل "إن قداسة البابا يميل إلى أن يربح النمساويون الحرب.. لأنه يحب الإمبراطور فرنسوا جوزيف.. وهذا بالضبط سر النقود الكثيرة بين أيديهم. أنا رجل صريح.. ولا أعرف بالدين ولا برجاله"².

تتكرر فكرة رفض تصرفات رجال الدين بشكل ملحوظ في هذه الرواية، فهنري لم يشارك في النقاش ولا يظهر رأيه في هذا الموضوع بادئ الأمر، لكن بعد إصابته يظهر رأيه بوضوح في نقاشه مع القس، حيث استمر الكاهن يدعو لمحبة الرب في حوارهما: "ولكنك لا تحب الرب... في بعض الليالي فقط أخافه خوفاً... ينبغي أن تحبه... عندما تحب تندفع إلى الأمام، وإلى التضحية، وإلى الخدمة والطاعة... وعندها ستكون سعيداً... لقد كنت دائماً سعيداً... ولكنها سعادة من نوع آخر... حسناً، إذا نلتها يوماً سأخبرك عن طعمها وظهر أنه تضايق فهز رأسه"³ حيث تظهر بعض علامات الاستهزاء واللامبالاة بأمور الدين، لأن البطل يعتبر الدين والحياة أموراً غير منطقية، وهنا نلمح رفض القس لهذه الفكرة، لذلك يطمح لإقناعهم بأفكاره يوماً ما، على

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص15.

2- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص14.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص93.

أمل منه أن يحقق هنري سعادته وراحته بذلك، فقد عانى هذا القس الشاب في أيامه معهم من إحراج شديد ومضايقات كثيرة، أما البطل فكان يعطف عليه ويحترمه.

بالنسبة إلى رفيقته "كاترين" فهي مثله لم تكن مؤمنة، ويؤكد هذا قولها "لو أن في نفسي أي شيء من الايمان بالدين، لاختلف الأمر، لكن لا أثر من الدين في نفسي"¹ ورغم أنها ليست مؤمنة كانت كثيراً ما تتصحه بترديد الصلاة أو تعطيه الصليب لحمايته، ويظهر هذا على سبيل المثال من موقفها أثناء تحضيره للعملية حين نصحته بقولها "إذن ردد الصلاة، فقد يكون لها تأثير طيب... أنت تعرف أنك لست في حاجة إلى الغرور فقط ابدأ بترديد الصلاة..."² وهو في هذا الموقف كان يظهر بعض الغرور ولا يرغب في طلب المغفرة أو الرحمة.

في نهاية الرواية يضطر لكسر غروره؛ حين ألمت به مصيبة فقدان كل ما كان يحيا لأجله، ورغم اعترافه أن لا دين له نجده يتضرع بدعاء يائس لإنقاذ كاترين من الموت فيقول: "رحت أصلي من أجلها كالمحموم، لا تدعها تموت، يا إلهي، لا تدعها تموت. إني أعدك أن أفعل كل شيء من أجلك.. إذا لم تدعها تموت... لقد أخذت الطفل المسكين، دون أن تراه حتى ميتاً. فاحفظها هي من الموت، يا إلهي العزيز..."³ لقد كان تضرعاً ورجاء دون أمل حيث لم تجد دعواته في اللحظة الأخيرة أي نفع، ونلاحظ أن الشيخ "سانتياغو" قد وعد نفس الوعود بأنه سيفعل أي شيء إذا ما وفق في صيده، وهذا ما يتضح هنا تماماً حيث يحاول "هنري" المساومة أثناء يأسه من موت كاترين الوشيك، فبطل همنغواي كأى إنسان غير مؤمن يطلب العون وقت الشدة وقد ينسى وعوده بسرعة بعد ذلك.

1- أرست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص141.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص130.

3 - المصدر نفسه، ص340.

هذا مماثل لما يصفه حنا مينة عن موقف أبطاله مع الدين في وقت الشدة، يظهر هذا في رواية "الشرع والعاصفة" من خلال حوار "الرحموني" مع بحارته؛ حول تحول البحارة للابتهاال إلى الله عند وقوعهم في عاصفة هوجاء، ورأيه من رأي "الطروسي" الذي اقتنع أنها عادة البحارة وأخلاقهم التي لا تتغير فيقول: "صلاة وقت الشدة، وكفر في وقت الرخاء. في البحر يسجدون لله ويمزقون قمصانهم وينذرون النذور، وعلى البر يحرقون الدين كما يحرقون ورق السيكرات. ما في الكون مثل البحار، مؤمن أكثر من ناسك في وقت، وكافر أكثر من ملحد في وقت"¹.

يحدد الفعل هنا وجودهم كما للفلاح أرضه وللعامل مشغله، فحياة البحارة متعبة لكنها تجذبهم ولا يستطيع أي منهم الابتعاد عن البحر لأنه قطعة من وجودهم وحياتهم، ويوضح هذا وصف البطل لنفسه قائلاً: "في رأسي أفكار لا أعرف كيف أشرحها، أنا عنيد، كافر، مؤمن، أربح وأنفق، أشرب وأحب وأخذ حظي من الحياة، وأخالف الدين طمعا في المغفرة... إذا لم يتعلم الإنسان من البحر فلا أمل له بالتعلم أبداً..."² يعطي الأعداء لنفسه كأني إنسان محاصر بالذنوب، لكنه يطمع في المغفرة ويحاول تغيير أفعاله والتعلم من أخطائه وتصحيحها.

يصف "مفيد" كذلك الموقف نفسه حين اضطرت الظروف القاسية إلى ركوب البحر مع ريس أحد المراكب، في قلب الجحيم المتمثل في البحر المظلم والمخيف يقول: "كنا ننذر أنفسنا للتوبة. من العاصفة تعلمت التوبة والصلاة والاستغفار وطلب الرحمة، العاصفة تعرف كذبي، تعرف كذبنا جميعاً، تعرف أننا لن نتوب..."³ فما من أمر سيمنعهم من المغامرة وركوب البحر؛ ومع ذلك عليهم أن يخافوا دون بكاء فالبكاء

1 - حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص195.

2 - ينظر: المصدر نفسه، 47.

3 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص105.

ضعف بالنسبة إلى البطل، لذلك يتوجب عليهم في نظره تلقي بلاء العاصفة بصمت مع تسليم الأمر لله في انتظار النجاة أو الموت.

يلقي الكاتبان باستمرار علامات تدل على مستوى متباين من التشكيك في الدين، ويظهر ذلك جلياً من خلال تفاعلات الأبطال وتوجهاتهم ومعتقداتهم؛ إذ نلاحظ عدم وجود إيمان واضح عند جميع الأبطال، لكن كل بطل منهم يخشى الموت ويتشبث بالحياة حين تشتد الصعاب فيلجأ إلى الدعاء على أمل النجاة، وهذا يتم مع مراعاة حقيقة أن لكل شخص سماته التي تميزه، لأن "كل سمة من سمات الشخصية تتضمن فروقاً بين الأفراد، ويعني كل فرق من هذه الفروق اتجاهاً..."¹ هذا التفرد والاختلاف واضح من حيث الصراع ضد ظروف المجتمع القاسية من فقر وتشرد وظلم واحتكار، ونقص الوازع الديني.

من جانب آخر؛ فالمتحدي الأكبر للإنسان والمعيق لصيرورته، هو المجتمع بأفراده الانتهازيين والاقطاعيين من سياسيين يدفعون البلدان نحو الحروب؛ ومحتكرين يسيطرون بالقوة على المناطق ليبثوا فيها الفقر والفساد، وأساس هذا أنه "لم يوجد أي نظام... لم يتضمن في صورة ما استغلال بعض الأفراد الإنسانيين لمصلحة أفراد آخرين، وهذه الصفة، كما يقال، لا يمكن مهاجمتها لأنها تتبع من الصفات الثابتة الفطرية للطبيعة البشرية"²، إن هذا النوع من المجتمعات يشكل تحدياً للذات الواعية الطامحة إلى الحرية والعدالة.

حطمت الحروب أبطال همغواي ودمرت آمالهم وأحلامهم ودفعتهم نحو الفقر والتشرد، ومن جهة أخرى دفعت الحرب والاستعمار أبطال حنا مينة إلى حالة

1 - أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، ص202.

2 - جون ديوى، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ت: محمد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة - نيويورك، ط2، 1963، ص138.

اجتماعية أكثر تدهوراً، فقد كان هم الكاتبين تجسيد آثارها السلبية؛ رغبة منهما لتبيين تأثير الفقر على الحياة الاجتماعية، فبتفحص حياة الأبطال يمكننا تقييم تصرفاتهم وأعمالهم وأقوالهم، بالتوقف عند مشكلة الفقر التي تعتبر من أهم الظواهر الاجتماعية، ذات الارتباط الواضح بالبطالة والاستغلال والحرمان والتمزق الأسري والحرمان العاطفي.

لكن ما يميز أبطالهما في ظل هذه الظروف القاهرة هو الكفاح المستميت للبقاء، الذي يظهر من خلال رحلة يكشف فيها كل بطل عقم المجتمع الذي يوجد فيه الظلم والاحتكار إضافة إلى الانتهازية والاستغلال، وما نضال الفرد وكفاحه ضد ذلك إلا صورة رمزية لرفض الواقع ومحاولة لتحقيق انتصار القيم الإنسانية على الظلم بأنواعه، كما أن روايات الكاتبين تقدم صورة إنسان يبحث عن القيم في عالم مضطرب تحيط به السلبيات من كل جانب، وما يدور فيها يصف الحالة الإنسانية المزرية وسوء التعايش مع الواقع، فكل الروايات المعنية بالدراسة كانت رصداً صادقاً لنبض المجتمع الذي خلقت فيه الشخصيات.

ج- البعد النفسي:

يتداخل البعد النفسي مع الاجتماعي ويؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، فرغم أن الطباع الإنسانية فطرية إلى حد ما؛ نجد منها ما هو مكتسب من خلال التأثير بالتربية والبيئة والمجتمع، كما يؤثر الجانب العقلي ومكتسبات الثقافة في ترسيخ طباع الفرد؛ إذ يتوقف تفسيرنا للسلوك الإنساني على "فهمنا للطبيعة الإنسانية وللعوامل الاجتماعية المختلفة التي تشترك معها في تكوين هذا السلوك الإنساني وتوجيهه"¹ فالبيئة الاجتماعية والطبيعية تؤثر بطبيعة الحال في طباع الفرد وسلوكه.

1- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص1.

يرتبط البعد النفسي كذلك بالجانب العقلي والانفعالي والوجداني، وهو نتيجة للبعدين السابقين من خلال "الاستعداد والسلوك، من رغبات وآمال وعزيمة وفكر، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها. ويشمل أيضاً، مزاج الشخصية من انفعال وهذوء، وانطواء أو انبساط..¹ يمكن تحديد جانبين للشخصية أحدهما ذاتي يعبر عنه الفرد بنفسه ليشير إلى حياته العقلية والعاطفية وحتى الجسمية، وذلك ليفرق بين جسده ونفسه ليصبح ذاتا مستقلة الهوية، أما الجانب الآخر فهو الجانب الموضوعي الذي تكونه ردود الأفعال النفسية التي يواجه بها الفرد واقعه.

يجمع هذا البعد بطبيعة الحال بين الطبع والصفات والأحاسيس والأفكار والسلوك الذي يختلف من شخص إلى آخر، نجد ذلك التنوع الواسع بين شخصيات الأبطال من حيث الصفات، لأن الكتابة الروائية هي رؤية تكشف كثافة الانفعالات الكامنة وراءها حسب رأي أحد النقاد الذي يرى أنها "مجموعة من المعلومات المحايدة نستطيع أن نتبين خلفها التكوين الروحي للإنسان، أو التوتر الكامن في الموقف"² مع العلم أن الجانب الانفعالي والوجداني يعتبر أكثر جانب معقد وغامض في الشخصية التي تحمل العديد من العواطف.

يقودنا وصف همنغواي وحنا مينة لشخصيات أبطالهما إلى الحياة الداخلية النفسية لكل منهم، فعلى حد علمنا لكل شخص نوازع معينة بداخله تدفعه للتحرك سواء كانت فكرة أم عملاً معيناً أو عقيدة وهذا ينطبق على الشخصيات الروائية، التي قد يكون انفعالها خلال ذلك "هادئاً أو متوسطاً أو جامحاً... والغضب انفعال جامح والحض على الثورة والقتال انفعال جامح..."³

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 133.

2- غالب هلسا، أدباء علموني... أدباء عرفتهم، ص 27.

3- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص 26.

بالنسبة إلى همنغواي فهو لا يقدم في معظم الأحيان شخصيات بحالة نفسية معينة؛ بحيث يكون إحساسهم بما يحيط بهم إحساساً خاصاً، بل يكون مشابهاً لما يشعر به كل البشر في عالم طبيعي وواقعي، لكن الكاتب تمكن خلق جو رمزي يعتبر من علامات تميزه، كما سعى لإظهار الحالة التي يمر بها "سانتياغو" خلال صراعه الملحني مع السمكة، بتصوير العديد من لحظات الماضي الذي جعل منه صياداً ماهراً، جاء ذلك في شكل ذكريات بعيدة حين كان يحلم بنفسه وهو يطوف البحار في صباه، حين رأى عجائب الجزر والشواطئ الذهبية الطويلة التي كانت الأسود تمشي على أطرافها، "لم يعد يحلم بالعواصف... ولا بالأحداث العظيمة... حلم فقط بأماكن... وبأسود على الشاطئ، لغبت الأسود مثل قطط صغيرة السن في الغسق وأحبها"¹ إن الأسود التي يحلم بها أثناء مقاومته للقوى الهائلة التي تحتم عليه مواجهتها وحده؛ تشير إلى حنينه العميق نحو صباه، فقد شحنت القصة بتيار يمضي ويعود بذكرياته وأحلامه، يقول: "ليتها تنام فأتمكن أنا من النوم وأحلم بالأسود. لماذا الأسود هي الشيء الرئيسي الذي يبقى؟ قال لنفسه: لا تفكر يا عجوز..."² إذ كلما حاصرتة المعاناة والألم يبحث عن مهرب ليعود لأحلامه التي تبث الثقة والقوة في نفسه.

من جهة أخرى كان يعرف بطول النظر إلى البحر، وكأنه يكتسب قوة بصيرة عند تأمله للبحر وما يحيط به، حيث صار قادراً على المغامرة أكثر من غيره، وتعلم ما كان يجهله عن أعماق المحيط بفضل السمكة التي سحبتة عن اليابسة، فهو رغم الهزيمة "كان أبسط من أن يستغرب متى يبلغ التواضع. لكنه عرف أنه بلغ هذا التواضع وعرف أن هذا ليس مخزياً ولا يحمل أي خسارة في كبريائه الحقيقي"³.

1- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص33.

2- المصدر نفسه، ص69.

3- المصدر نفسه، ص23.

ما يمكن ملاحظته على شخصية "سانتياغو" أنه مفعم بالأمل، وتميز كذلك بنفس كريمة فرغم أن معركته مع السمكة دمرته إلا أنه لا يظهر أي قنوط، ذلك أنه يتحرك بقاعدة في نفسه أساسها أن الإنسان يمكن أن يدمر لكنه لا يهزم؛ إذ لم تهزم نفسه رغم أن عزمته تعرضت للكارثة، بل نجده يبث الصبر في نفسه كلما أحس بالضعف، فالبطولة الإنسانية تتطلب القدرة على الكفاح وتحمل المشقات والسيطرة على الآلام لهذا يقول الشيخ: "ليتني أريها أي نوع من الرجال أنا. لكنها ستري حينذاك يدي المتشنجة، لتفكر أنني أرجل مما أنا وسأكون كذلك. فكر: ليتني كنت السمكة مع كل ما لديها مقابل إرادتي وذكائي فقط"¹.

كان من الطبيعي أن يحس أبطال همنغواي بالوحدة والضياغ خاصة في زمن الحرب، نجد "هنري" يعبر عن ذلك حين لم يستطع مقابلة "كاترين" بقوله: "في الحال تملكني شعور غريب، شعور بالوحدة والفراغ... لم يكن بي حافز قوي لرؤيتها.. ولم أكن أشعر بالقلق الزائد لقدمي هنا، ولكني الآن عندما لم أرها... أشعر كأن شيئاً عزيزاً افتقدته، وخسرته..."² رغم أنه كان يستمتع سابقاً بوحده وعدم ارتباطه بعلاقة وثيقة مع أي أحد، نجده في هذا الموقف يتحسر على فراق حبيبته ويشعر بالوحدة والفراغ.

فبعد افتراقهما وعودة البطل إلى عمليات الإنقاذ؛ اعترض طريقه موقف مؤلم ترك في نفسه أثراً بالغاً، حين صادف أحد الجرحى من الجنود؛ كان يحاول جاهداً الاستفادة من إصابته للخروج من تلك الحرب القذرة، ويتحدث هلعاً ومشاعره الإنسانية كلها تشارك في تضرعه إلى "هنري" الذي يقول: "كل جراحة منه كانت تجار طالبة

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 65.

2- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 57.

الخلاص وتلعن الحرب. رحت أفكر في المسألة من جميع وجوها...¹ كان 'هنري' يرفض فكرة الحرب والبقاء في الجبهة، حاول إنقاذ المصاب من الحرب لكن ذلك لم يجد نفعا وأعيد الجريح إلى فريقه؛ ترك ذلك صورة مؤلمة تعبر عن المعاناة النفسية التي يمر بها الجنود بسبب الحرب والقائمين عليها لهذا كان أمل البطل بنهاية الحرب يعتمد على إيقاف القتال من كافة الأطراف المشاركة فيه، ويقول "لقد آلمت نفسي الآن، وعذبتها، وهذا ما يجعلني أتجنب الخوض في هذه الأمور. إنني لا أحاول التفكير بها مطلقاً... لقد أملت بالنصر زمناً طويلاً... والآن لا أعرف بماذا أوّل نفسي... لست آمل بالنصر بعد الآن... ولكني لا أعتقد بالهزيمة أيضاً رغم أنها يمكن أن تكون أفضل"².

بعد أن خسر كل شيء وقرر الهرب إلى سويسرا، كان كل ما يؤدي به إلى التفكير بالحرب يقلقه ويتعبه ويعتبر أي تفكير فيها نضال نفسي، فكفاحه ضد نفسه وأفكاره يظهر جلياً بعد أن فر من الحرب وعاد إلى حبيبته التي تمثل الراحة النفسية بالنسبة إليه، لكن سرعان ما تغيرت تلك الراحة إلى التششت وخيبة الأمل؛ بعد وفاة ابنه الذي يبكيه قائلاً: "أيها الحمل البريء لو أنني أختق مثلك... إن كاترين ستموت الآن، وهذا ما سببته أنت... لقد قضيت دون أن تعرف السبب الذي من أجله لم تر النور... الحياة الجميلة الحلوة يا ولدي، إنني جالس تركتنا يا بني وحيدين كما سنبقى..."³ اضطرب وشعر بالوحدة من جديد رغم أنه حاول تشتيت تفكيره إلا أنه عاد إليها ليجدها تحتضر، وكانت هذه الحادثة أعظم مأساة مرت على حياته كاملة "تسمرت أنا في

1- أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص52.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص208.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص339.

الأرض لا أدري عملاً.. شاعراً أن كل جارحة في كياني تضطرم ناراً. وشل تفكيري، وتأكدت أنها ميتة لا محالة¹ ولم يستمر الوضع طويلاً حتى فقدتها كذلك.

بعد هروب "هنري" من الحرب أصبح خائفاً حائراً؛ يحلم بتمرد جماعي ينقذه أو عصيان ووداع جماعي للحرب بكل أسلحتها، لكنه ودع معها كل ما كان يريجه ويجلب الطمأنينة إلى نفسه وعاد يصارع الحياة وحيداً، ومن خلال هذه الأوصاف استطاع همنغواي أن ينفذ إلى عمق التكوين الروحي للبطل، فأسلوبه ورؤيته في الكتابة يتيح للقارئ أن يكشف الأبعاد النفسية لشخصياته.

حين نقرأ روايات الكاتبين ندرك أن كلا منهما كان يسعى بأسلوبه المميز والخاص؛ إلى وضع القارئ في صلب الشخصيات التي بعث فيها الحياة عبر روايته، لأنها "معجزة الكتابة التي ننفذ من خلالها إلى الأرواح التي يبدعها الروائي"²؛ إذ يظهر الجانب النفسي في روايات "حنا مينة" من خلال الانفعالات والمشاعر التي غمرت أبطاله بسبب الأحداث التي مروا بها، حيث عانى كلا الكاتبين من الوحدة وهو عنصر الاشتراك بين أبطالهما؛ ويظهر "الطروسي" غارقاً في تأملاته لا هم له سوى مصيره، منعزلاً بنفسه عن الناس يرفض محادثتهم، وهنا يوضح الكاتب أن بطله كان يمضي معظم وقته على صخور البحر حالماً حلمه الخاص، ناظراً إلى الأفق البعيد في الأماسي وأوقات الفراغ، فالوحدة صاحبتة منذ اضطر للبقاء في مدينته، التي كان ماضيه فيها ومنها تفرقت عائلته وتباعدت، وبقي محاطاً بالتجار يشعر بالبعد والعزلة، فقد "وجد نفسه، منذ البدء وحيداً، وشق طريقه على هذا الأساس، معتمداً على نفسه، وعليه أن يتابع ذلك الآن."³

1- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 340.

2- باتريك بينو، أبطال الرواية الحقيقيون مشهورون مغمورون، ت: قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق سوريا، 2010، ص 7.

3- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 25.

يظهر "الطروسي" مقتنعا بوحده؛ وليس هناك من يستطيع تغيير قناعاته المتمثلة في أن ابتعاد الإنسان عن المدينة أفضل له، فهو لا يحب البيوت المتلاصقة وكثرة الازدحام؛ إذ كان يريد أن يعيش على هواه في كل شيء، حتى في نوع البيت والمرأة التي يختارها، فأم حسن (زوجته) قد اعتادت طباعه هذه "واطمأنت إلى أن المسألة مسألة مزاج... وأن الوحدة عبادة"¹.

امتاز "الطروسي" بثقة عالية في النفس مثل الشيخ "سانتياغو"؛ الذي لم يفقد أمله وثقته رغم الوهن وكبر السن حيث يقول الشيخ في هذا المعنى: "من السخف ألا يراودك أمل. بالإضافة إلى أنني أؤمن أن فقدان الأمل خطيئة"² ورغم أنه كان متعباً لدرجة لم يستطع الاستيقاظ من النوم لكن كلامه يوحي بالثقة والعزم، أما بطل حنا مينة فتظهر ثقته حين اضطر إلى التوقف عن السفر والمغامرات البحرية، لكن كان لديه "من الثقة بالوصول ما يجعله يقيم دهرًا بانتظار الرحيل"³، هذه الصفة تجعل من أي بطل قوة إيجابية وتؤثر على أفعاله وقراراته كما تؤثر على من حوله.

كان "مفيد" بطل رواية "نهاية رجل شجاع" محكوماً بإرادة غامضة تسيره حيث شاءت؛ وقادته بدورها إلى التشرد والضياع والجوع والارتحال للبحث عن الرزق، لكنه يظهر كشخصية فاعلة في تقلبات مزاجه ورغباته وأحلامه وشفقته على نفسه وكل من حوله، وهذا ما نلاحظه كذلك على باقي الأبطال الذين تحلوا بروح إيجابية تحكمها رغبات لتحقيق الذات، لكنه لم يستطع الحفاظ على نفس الثقة التي كان يندفع بها لتحقيق أهدافه، وذلك بعد أن أصبحت حياته أكثر مأساوية بسبب المرض، ومن جهة أخرى آلمه تصدق الناس عليه؛ فرغم أنه كان يرفض الذل الذي وقع فيه إلا أنه لم يستطع الرد كسابق عهده، يقول: "همومي، قرفي، ندمي، شعوري غير المريح، وغير

1- ينظر: حنا مينة، السراع والعاصفة، ص189.

2- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص98.

3- حنا مينة، السراع والعاصفة، ص17.

المشرف، غير المقبول، من موقف كنت لا أقفه، لو كنت في وضع آخر، وظروف أخرى، وكان علي أن أبصق البصقة، وأقول كل ما في قلبي وأخوض معركتي الأخيرة"¹ كلها مشاعر هاجمته وهو يحاول التغلب على مرارة واقعه، حتى صار يحس أن زوجته تتصدق بعاطفتها عليه، لم يبق له سوى الكبرياء الذي أوصله لحالته وهذا ما توضحه ليبيبة "أنت مغرم بتعذيب نفسك... كبرياؤك ستقتلك. أنت رفضت نصائح الأطباء بسبب هذه الكبرياء، وتدخن وتشرب لإرضائها."²

جاءت اللحظة الانتقالية بنهاية حياته التي اختارها لتغيير كل التواطؤات القائمة في المجتمع؛ والتي دفعته للانتحار والتنازل عن كل ما كان يتمسك به؛ إذ عنى الكاتب بهذا البطل عناية كبيرة حيث ألقى الضوء على جميع جوانبه النفسية، ليمثل بصدق نوع السلوك الذي هدف إلى تصويره، وفي هذا السياق فإن بطله يمكن أن يكون "كائن إشكالي وهامشي، يواجه واقعاً اجتماعياً خالياً من المعنى، وعليه أن يخترع هذا المعنى المفقود، أو يبحث عنه رغم أن بحثه المثابر عنه قد ينتهي بالفشل"³ ومن خلال هذا يتضح أنه من غير الممكن إدراك كل أسرار النفس وخباياها.

يمكن هنا الاختلاف والتشابه بين الكاتبين حيث تختلف الطاقة التعبيرية من كاتب لآخر، فكثيراً ما ركز همنغواي على الظلام الداخلي في الوجود البشري؛ إذ لا بد لأبطاله من عذاب وجرح داخلي يؤرقهم، فيحاولون دائماً الهرب منه بالانشغال في الحركة والإثارة والمغامرة، كما يحاول الكاتب تصوير العالم من خلال الجو النفسي الذي يعيشه البطل، أما هنا مينة فقد فهم ضعف البشر وقوتهم في نطاق عصره وشخصه وبيئته، وحاول وصف المعاناة والجراح التي تركت آثارها فيهم، فأبطاله

1 - هنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 324.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 377.

3 - طه عمران وادي، الرواية السياسية، ص 7.

كذلك ترسخت فيهم جراح الماضي لكنها جراح تدفعهم لتحدي الألم النفسي، فالكاتب المقتدر "هو الذي يستطيع الاختيار والبناء ولديه خبرة ومهارة شحن الألفاظ بالدلالات المعبرة... بحيث تصبح المعاني الهامشية أبعاداً وأعماقاً للفظة التي تعبر عن نفس صاحبها وتحدث تأثيراً في نفس متلقيها."¹

بما أن كل بطل هو شخص مدرك أو في طريق إدراك ما يحيط به، والعنف الذي يصوره الكاتبان؛ والوحدة التي يعانيها أبطالهما؛ وخيبة الخسارة والهزيمة، كلها مواقف تعزز المقاومة والكفاح ضد كل ما يواجههم، فتكون الشخصية بذلك مخصصة لقانونها الأخلاقي بسبب جرح سبق وأصابها، وهذا الجرح دائماً ما يكون رمزاً لجرح نفسي أيضاً، فأبطالهما رمز للإنسان الواقق بقوته وشجاعته والذي يصعب هزيمته بسهولة، وطالما يجرحون سيكتسبون من جراحهم قوة جديدة، ومن جهة أخرى؛ وبفضل التلامس بين الروح المبدعة وما يحيط بها، استطاع الكاتبان أن يبلغا لذة التعبير عن الواقع؛ واكتشاف الذات الإنسانية وأبعادها وتحركاتها داخل المجتمع، ما قد ساعدهما على طرح رسم كامل لصورة الواقع أو الجزء الأعظم منه، لأن الكاتب هو الذي "يذهب لرسم التفاصيل والأبعاد والألوان، ويوحي بمغزى الأمور وعلاقتها ببعضها... لذلك يقال إن الأديب يستطيع التعبير عن روح الأمة، ويرسم صورة أوضاعها، ويتنبه للأخطار التي تحيط بها... أفضل وأسرع من الفرد العادي..."²

أبدع كل من همنغواي وحنا مينة في جعل أبطالهما عناصر فعالة في المجتمع؛ وأصحاب آراء يطمحون للتغيير والتحدي والكفاح، شخصياتهم مليئة بالأمل رغم الصعوبات التي تعرقل صفو حياتهم، وعليه يمكننا اعتبار أن شخصية كل بطل تقدر موقفها الخاص من القضايا التي طرحها الكاتب ويؤطرها الحدث والزمان والمكان.

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص29.

2- سعدون حمادي، دور الأدب في الوعي القومي، ص31.

من خلال الأمثلة السابقة يمكننا القول إن الكاتبين قدما شخصيات مختلفة؛ بأعمار متباينة وطريقة مغايرة في التفكير والتفاعل مع الواقع، لكنها تحمل بعض الصفات المتشابهة من حيث قوة التحمل والثقة والإصرار والكفاح رغم الظروف التي تكسر عزيمتهم كل مرة، ولم يهتم الكاتبان بتصوير المظهر الخارجي من شكل وملبس فقط، بل تعمقا إلى باطن الشخصية لرصد الصراع ضد الآخر، فصورا بإتقان صراعها ضد الظروف الاجتماعية المتدهورة التي أنتجتها الحرب.

من خلال دراستنا لهذه الأبعاد يظهر بكل وضوح أنها متداخلة فيما بينها ويؤثر كل منها في الآخر، فالطبائع التي تظهرها أي شخصية رغم أنها فطرية إلا أنها تتأثر بالبيئة المحيطة؛ والمستوى الاجتماعي الذي يؤثر في الحالة النفسية للبطل، وهذا ما يدل أن الشخصية تعمل على إبراز العلاقة المميزة للإنسان بذاته ومحيطه، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بناءها لا يقتصر على المظهر الخارجي أو ما يدور في النفس أو كيفية التفاعل مع المجتمع، بل تمتزج كلها مع يعض لتكون إنساناً قادراً على الكفاح والتفاعل مع ما يدور حوله.

2- تمجيد الفعل الإنساني عند الكاتبين:

حضي الإنسان باهتمام معظم الكتاب والمبدعين على مر الزمان، لأنه ثمرة الوجود وأثنى ما جادت به الحياة، ودائماً ما يواجه صعوبات تعرقل مسار نموه وتطور وعيه، أما المعاني التي تطرقها الرواية فهي وثيقة الصلة بالإنسان، ومهما تغيرت بيئته وأحواله فإنه يحافظ على طبيعته الإنسانية، يحمل كل صفاته "فيفرح للخير، ويبتهج للجمال، ويحزن للفراق ويزمجر في الغضب... من جهة أخرى، فإن الإنسان يحلم بالمستقبل، ويتذكر الماضي، ويعيش الواقع... يتحدث عن وقائع الماضي والحاضر. وهو أيضاً يتحدث عن عواطفه ورؤاه.¹

لم يكن اهتمام الكاتبين منحصرًا في تصوير القوة الجسدية فقط، وإنما قد يكون المقصود من أعمالهما في المقام الأول هو القوة المعنوية والأخلاقية للإنسان؛ من الشجاعة التي تتخللها لحظات ضعف، وحياة مليئة بصور الموت، باعتبار أن الحياة قد لا يدوم فيها استقرار الأوضاع بل يلازمها الشر وسوء الحال في مرحلة من مراحلها، لأنها "الدورة الوجودية التي تتجلى كل حين للكائن البشري من خلال مراقبته لانبثاق الحياة وانطفاء شعلتها: ظهور واختفاء، إشراف وانطفاء، حياة وموت."²

يعود هذا الاهتمام لسمات الكفاح التي يحملها الكاتبان حتى يكاد "يتصف الرجل المكافح بالدأب والاستمرار والنظر إلى الأمام، ومما تجدر ملاحظته هو أن حياة الكفاح والنضال هذه ذات أثر اجتماعي، ولكن قاعدتها عضوية مادية..."³ يمكن القول إن تطور الأساس العضوي للحياة يرفع توقعاتنا حول الكفاح؛ ومدى أهميته لاستمرار الحياة الإنسانية، وهنا نستطيع أن نقصر الكلام على الكفاح الخلاق، لأنه لا يتم ولا

1- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص34.

2- المرجع نفسه، ص18.

3- محمد أديب العامري، الحياة والكفاح، مجلة الأديب، لبنان، العدد1، 1يناير 1966، ص2.

يشمر دون ذكاء، ومن خلال تتبع حياة الكاتبين المليئة بالتجارب والمغامرات والهزائم والانتصارات التي دفعتهما نحو القمة، نفهم الوصف المأساوي المصاحب لأبطالهما، فكل واحد منهم يناضل من أجل تحقيق الأهداف السامية والنبيلة، وينشد البراءة والصدق والعدل بعيداً عن الغش والزيف والظلم، حتى ترسم شخصيات مكافحة قد يشمل كفاحها كافة جوانب الحياة.

هذا ما جعل كل كاتب يتخيل أبطاله أفراد مكافحين في الحياة، حيث يظهر البطل عند همنغواي "فرد وحيد ومجروح إما جسدياً أو عاطفياً، ودائماً ما يكون تصرفه مثالا على الشجاعة... وهو غير متشائم رغم كل الصعوبات والعنف والكفاح والمعاناة، ولا يعترف أحياناً بالهزيمة رغم إحباطه، ويفضل الموت على الإذلال والخزي، والصبر والتحمل على الاستسلام"¹ ويكشف خياله الأدبي عن الحالة العامة المصاحبة لألم الإنسان ومعاناته أمام المصاعب.

أما حنا مينة فقد كان يناضل للدفاع عن الحرية والعدالة ما جعله يقدم شخصيات فقيرة مضطهدة ومغتربة، لكنه بث فيها روح الأمل والشجاعة من أجل حياة كريمة ومستقبل أفضل، فمن يتابع بدقة مراحل الكفاح والبناء والتطور التي مر بها في مسيرته، يجد في كثير مما كتب من إبداعات "أن وعي الوجود عنده ترافق مع تحول التجربة إلى وعي، وكأن التجارب منذورة كلها لمنح الرؤية للناس، لمساعدتهم على الخلاص من حمأة الجهل، والسير بهم ومعهم نحو المعرفة، التي يراها الخطوة الأولى في المسيرة الكبرى نحو الغد الأفضل."²

يقدم رواياته التي عنينا بدراستها شخصياته بأفعالها وأقوالها من منظور واقعي، فيصف الأمكنة والطبيعة دون أن يخفي انحيازه غير المباشر لأبطاله وما يمثلونه من

1- Argetina Velea, war symbolism in Hemingway's works, p2.

2- ينظر: مجموعة من الكتاب، حنا مينة كاتب البحر... بحر الكتابة/ جائزة زفراف، ص7.

أحلام لانتصار الحق؛ إذ يقول: "أضيف أن حياتي المنذورة لدي، في سبيل الفقراء والبؤساء والمعذبين في الأرض، قد وهبتها جسدي، الذي أضنته السجون الطوال، والمنافي... حتى صرت في العمر الذي وهن فيه جسدي".¹

أ- أوجه الفعل الإنساني:

ما الفعل الإنساني إلا تحد للطبيعة والحياة وإصرار لمواجهة مخاطرها وإزالة عراقيلها، وما التقدم نحو الأفضل إلا مثابة الإنسان في الحياة بروحه المكافحة وعمله الخلاق وشجاعته اللامحدودة التي يحددها نوع الفعل الذي يأتي به، ويمكن تحديد هذا من خلال الثنائيات التالية التي قد تتحد لتشكل الوجود الإنساني، وتعتبر من وجهة نظرنا أهم أوجه الفعل الإنساني.

1- الشجاعة/الضعف:

لا يولد الإنسان ضعيفاً أو شجاعاً إنما تؤثر فيه الحياة بظروفها، حيث تجعل من عامة الناس العاديين أفراداً قادرين على تطوير أنفسهم، أو تجعل الفرد دائم البحث عن ذاته عبر التجارب العديدة وقد يبدو خلالها تائهاً قلقاً غير مستقر يأسره الضعف أحياناً، وإذا أتيحت له فرصة التغلب على كل المشاكل والعوائق التي تقف في طريقه، كان لیتجه مباشرة للعمل في ميادين الحياة وكل طموحه يتمثل في أن يصبح فرداً صالحاً يسهم في بناء مجتمعه ووطنه، أما إذا تغلبت عليه مصاعب الحياة وتعثر كثيراً فيها، فقد نجده يقضي باقي عمره تائهاً ينحدر نحو النهاية.

غالباً ما يجد بعض الروائيين أنفسهم أمام كائن شديد التعقيد؛ وغني بنزعة قيمة لا يمكن إغفال أي جانب منها، والواقع أننا لا يمكن أن نعرف البطولة إذا لم نعرف أساس بناءها، وهنا نتفق مع أحد الدارسين في قوله: "نرانا نعجب بالإنسان الذي يظهر

1 - ينظر: حنا مينة، أشياء من ذكريات طفولتي (ذكريات في رواية)، ص5.

الخوف والتردد أمام الخطر أكثر من إعجابنا بالإنسان الذي يقتحم الخطر دون تراجع أو خوف، فليس الخوف منافياً للشجاعة بالضرورة، ولسنا نخشى الشر أو القبح أو الأثنية لأننا نؤمن بأنها يمكن أن تصبح خيراً أو جمالاً وحباً وإيثاراً¹ فما الخوف إلا علامة لبداية الضعف، لذلك نجد أبطال "همغواي وحنّا مينة" يحاولون تجنب الشعور بالخوف وقت الشدة حتى لا يضعف إصرارهم؛ وإن أظهرنا بعض الضعف أحياناً إلا أنه ليس ظاهراً جلياً بل يخفونه بالتحدي والشجاعة.

تعتبر الأعمال التي عنيّا بدراستها تمجيذاً للفعل الإنساني، حيث تركز على روح التحدي والكفاح والمغامرة، وقد تصبح الطبيعة والمجتمع واقعاً ورمزاً للتحدي تنصهر فيه الإرادة الإنسانية لتصير أكثر قوة، فالإنسان الحقيقي هو الذي يمارس إنسانيته بلا تكلف، ويسعى دائماً نحو العدل والحق والخير فقد جسد أبطال الكاتين صور الرجولة والقيم الكبرى المتمثلة في الصدق والكرامة؛ الشجاعة والمحبة والتضحية في سبيل الآخرين.

يحاول كل من همغواي وحنّا مينة في أعمالهما أن يلمسا عمق الوجود الإنساني؛ من خلال الانتصارات والهزائم التي عاشها أبطالهما، ليوضحا بذلك مدى قدرة الإنسان على إثبات شجاعته ومواجهة آلامه مهما كان ذلك عصبياً، فتخبرنا الروايات أن الأمل موجود دائماً حتى في أسوأ الأزمات والمآسي، ما يميّن المرء من تحويل الفشل إلى انتصار فيمنح بذلك للحياة معانيها، وهكذا تسير الشجاعة والضعف جنباً إلى جنب لتحقيق وجود الإنسان المكافح.

يعتبر همغواي كاتباً مميزاً حسب وصف "عزت نصار" في تقديمه "للشيخ والبحر"، ويعود ذلك في رأيه لتصويره "الشجاعة والحنان الممتزجة بالموت والعنف،

1 - سهيل إدريس، البطولة في الرواية العربية الحديثة، مجلة الفكر، لبنان، العدد 5، 1 مايو 1959، ص54.

ولحرصه على إنتاج ملامح "العصر القاسية"، حتى يؤكد أن بطله يجد الحياة أقل اكتمالاً مما توقع، لكن ذلك في نظره لا يستدعي التشاؤم بل يدفع إلى الإحساس بالأمانة والشجاعة والجد¹ ننطق مع رأي المترجم حيث لمسنا خيبات البطل الممزوجة بالتشاؤم لكن ذلك لم يعن أبداً الاستسلام للهزيمة لأنه رمز الشجاعة والبحث عن النصر.

يُظهر بطل "الشيخ والبحر" الشجاعة التي يطمح الكاتب إلى تصويرها حين تأزمت الأوضاع واشتد تعبهُ وألمه ولم يترك للفشل سبيلاً فقاوم ضعفه بقوله: "ولكنني سأريها ماذا يستطيع الرجل أن يفعل وما يحتمله"²، يصيغ الكاتب هذه الفكرة على نحو يظهر قدرة التحمل التي يمتاز بها بطله، وإبراز جانب الشجاعة الذي وصل إليه من خلال صراعه الطويل مع السمكة؛ وخير مثال على شجاعة الشيخ حين أحس بالتعب يسيطر عليه فصاح بصوت عال: "إذا لم تكوني متعبة أيتها السمكة، فلا بد أنك غريبة جداً. شعر الآن بتعب شديد، وكان يعلم أن الليل سيحل عما قريب، فحاول أن يفكر في أشياء أخرى.."³ لم يسمح للفشل والتعب بالتسلل إلى أعماقه والتأثير على إرادته، وكان الصراخ بصوت عال أحد وسائله التي يشتمل بها الضعف والهوان.

رغم شدة ألمه إلا أنه لم ينس ألم السمكة؛ فصار يسألها عن حالها ويحكي لها عن حاله؛ كأنه يوهمها بشجاعته حتى لا ترى ضعفه "لم يكن يشعر حقاً بخير، فالألم من جراء الحبل على ظهره قد تعدى حد الألم تقريباً... وفكر: ولكنني عانيت أشياء أسوأ من هذا. إن يدي مجروحة قليلاً فقط، وزال تشنج يدي الأخرى، وساقاي على ما

1- ينظر: ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص16.

2- المصدر نفسه، ص61.

3- المصدر نفسه، ص63..

يرام وأنا الآن تفوقت على السمكة في مسألة الغذاء كذلك"¹، حديثه مع نفسه كان محفزا للثبات وبث الأمل في نفسه ولم يترك بفضله مجالاً للفشل.

عانى البطل الكثير في هذه المرحلة حيث لم يتمكن من النوم منذ اصطاد السمكة، وصار يتحرى طريقة ليرتاح بها أو ينام قليلاً خوفاً من أن تهاجمه الهلوسات من قلة النوم، وقال بصوت مسموع ليشد عزمه وثقته فيصرخ وكأنه يوقظ قوته "لم تتم... أيها الشيخ، فقد انقضى نصف نهار وليلة، والآن مر نهار آخر، وأنت لم تتم. يجب أن تتبكر طريقة لكي تنام قليلاً عندما تكون السمكة هادئة... وإذا لم تتم، فقد تختلط الأمور في رأسك..."² سرعان ما استعاد يقظته وفكر أن الأمور واضحة بصورة كافية في رأسه، فهو غير قادر على الراحة ولا يريد أن يترك السمكة تترتاح ويجب أن تجر القارب حتى تموت، كانت نهاية صراع السمكة للبقاء هو ما ينتظره الشيخ حيث وثبت فجأة فأيقظته من راحته وسحبته حتى وقع على وجهه، فقال: "هذا ما كنا ننتظره، وعلينا الآن أن نواجهه. وقال في نفسه: اجعل السمكة تدفع ثمن الخيط"³ وهنا تمنى مرة أخرى لو كان الصبي معه لأن الخيط كاد أن يفلت من يده ويخسر كل شيء، فالتردد وفقدان الثقة هو سبب يؤكد أسلوب التمني؛ لكنه يتراجع كل مرة ويشحن قوته ويصارعها من جديد.

نجده كلما أحس ببعض التردد والضعف يخاطب نفسه بصوت قوي وثابت وكلمات تدفعه للصمود، لأنه أحس أن هناك ما أزعج سمكته الهادئة ظناً منه أنه الجوع فقط، وبقي على حاله يخاطب يده اليسرى التي شعر أنها خانته وأن خيانتها علامة للضعف والهزيمة، "إن يدي في حالة لا بأس بها، وليس الألم مما يبالي به

1- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص70.

2- المصدر نفسه، ص72.

3- المصدر نفسه، ص77.

الرجال... وخاطب يده اليسرى قائلاً: إنك لم تتحملي ذلك الألم من أجل شيء لا قيمة له، ولكن كانت هناك لحظة لم أتمكن من أن أجذك فيها"¹ يفضل الشيخ القوة ويحب الشجاعة حتى عند خصمه، وهو أسلوب استعمله الكاتب ليظهر روح التحدي والإصرار على النجاح، وهي الصفات البارزة في كفاح الشيخ خلال معركته التي اتسمت بالفوز والخسارة في آن واحد، خسارة غنيمته الكبرى والفوز بإثبات قوته التي ظن الجميع أنه فقدوها. يحاول همنغواي في روايته الثانية أن يترك للقارئ مهمة اكتشاف شجاعة وضعف بطل روايته "وداعاً أيها السلاح"، انطلق بطله بشجاعة كاملة ويدخل ساحة المعركة لإنقاذ الجرحى دون أي تردد، فالشجاع قد يموت ألفي مرة حسب رأيه، والقضية هنا أنه لا يذكر ذلك ولا يفضح أمره فمن الصعب معرفة ما في قرارة الشجاع، أما "هنري" فيحاول أن يتبين سبيله في الحياة ويظهر هذا في قوله: "أما أنا فلا، أنا أعرف فقط أين يجب أن أضع قدمي، ولقد توصلت إلى ذلك بعد تجارب كثيرة..."²

يصور الكاتب من جهة أخرى حالة الفزع التي أصابت بطله بعد الانسحاب الكبير؛ إذ يصرح "كان ليلاً غريباً مفزعاً، ليلاً قلّ إن يعيش المرء في مثيله.. ولست أذكر الأحاسيس المربعة الكثيرة التي اجتاحتني، لربما اختطفني الموت.. لربما اخترقتني رصاصة من الخلف..."³ يتفق القول هنا مع ما جاء في تقديم الرواية؛ إذ يرى "جلال أسمر" أن النفس البشرية تميل إلى الراحة والدعة والهرب من المشاكل والمصائب، فالجندي "يحمل السلاح... يعاني شح الطعام، وقلة النوم، وبرد الشتاء وحر الصيف، يسمع صوت السلاح... ويضطر إلى مثل هذه الحياة سنين عديدة، فإن لم يمت بالسلاح قتلاً، مات في اليوم ألف مرة، ولا علاقة لهذه الفكرة بالشجاعة

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص79.

2- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص164.

3- المصدر نفسه، ص248.

والجبن، فالموت لا يفرق بينهما¹ لأن الإنسان بطبعه قد يمل من رتابة الحياة العادية المستقرة، فكيف لجندي أن لا يمل من الحياة العسكرية المرعبة في الحرب ويحاول الهرب منها لهذا من الطبيعي أن يمتلكه الخوف والضعف خلالها.

يعترف أبطال حنا مينة كذلك بالشجاعة والصلابة والتحدي والميل للمواجهة والاستقلال، سمات لا تفتأ رواية "الشرع والعاصفة" تظهرها في شخصية البطل من خلال حركته وفعله وحديث الآخرين عنه، فقد اعتاد على الإقدام والمواجهة لا الهرب والانسحاب "هو لن يخضع ولن يبتعد، وسيدافع عن حقه حتى الموت".²

اتضح شجاعة البطل حين أسقط حقه الشخصي عن "صالح برو" في النيابة العامة، وأصبح يعتمد على قوته أمام طغيانهم حين ضاق ذرعاً من تلك الحلقة السيئة، ويقول: "فلئن كانت حياتي هنا رهناً بأن يستعبدني الآخرون، ويأكلوا حقوقي، فلا كانت الحياة... أنا لم أقبل الذل في البحر فهل أقبله في البر؟"³ هنا تيقن أن التحرش لن يتوقف من مجتمع المحتكرين، حيث أثارت جراحه ذاكرته وتذكر الميناء وأجسام الحمالين وتيقن من تقاهة حياة البحارة والظلم النازل بهم، ولا يؤمن أبطال حنا مينة بالضعف والهزيمة، وهذا سبب تغير تعامل "الطروسي" مع المواقف الصعبة خاصة المسائل العامة، فقد كان من المغامرين المتهورين كما يقول البحارة رغم أنه امتاز في الماضي بشدة عصبية إلا أنه دائم الاستعداد للقتال دفاعاً عن مركبه أو حقه.

أما بطله "مفيد"؛ فقد كان يفتخر بشجاعته منذ الصغر "حتى في هذا العمر الذي كنت فيه، عندي من القوة والشجاعة ما يكفي لمقابلة أي كان... ولن أخضع أو

1- أرست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص7.

2- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص18.

3- المصدر نفسه، ص31.

أستسلم¹ يوضح مدى شجاعته وإقدامه على الخطر مثلما وضح لنا قوته البدنية وضخامة جسده، نجده يعبر عن شجاعته في مواضع كثيرة، ويفخر بقوته البدنية التي لا يقف في وجهها شيء حتى صار يعتدي على غيره بالضرب.

من جهة أخرى؛ يؤمن حنا مينة بإرادة الإنسان وقدرته القوية، فميول الإنسان للخوف فطرة خلق عليها لكن الحياة علمته أن يقاوم حيثما كان، إن هذه القدرة اللامحدودة تمنح الإنسان محيطاً خاصاً به، ومثال ذلك ما جاء على لسان بطله "مفيد": "فأنا إنسان خلق لينفذ، ليقوم بعمل يطلب منه، ليضرب إنساناً مقابل وجبة طعام، ولم يخلق ليخترع مشاريع، أو يحتال على العيش... ومن عجب أنه مع كل هذه الضخامة البدنية، كنت لا أقوى على تحصيل رغيف أقنات به. كانت طاقتي مكرسة للهدر، وقد هدرتها طوال حياتي"² لم تنفعه الشجاعة والقوة حينها أو تساعد في تحصيل عيش كريم، بل كانت سبباً في معظم مشاكله من جهة؛ وطوق نجاته من الموت من جهة أخرى.

لم يستطع "مفيد" في حياته اليافعة أن يجعل الناس تفهم تصرفاته ودوافعه أو يلاحظون براءته على الأقل، ومن هنا استنتج "أنه من المحال حمل الناس على الاعتراف بأنني بشر سوي بإثبات أنني بشر، وهذا يحتاج إلى العمل والقوة، وأن على أن أعمل وأكون قوياً، وأن لي متانة البنیان، وشجاعة القلب"³ رغم أنه فقد القوة ومتانة البنیان بسبب المرض إلا أن شجاعته بقيت على حالها، لكن إصراره على تحدي الظلم أدى به إلى إنهاء حياته في الأخير.

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص14.

2 - المصدر نفسه، ص48.

3 - المصدر نفسه، ص40.

حسب قول أحد الدارسين؛ فالضعف والقوة البشرية على العموم صفتان تشملان فهم الإنسان معنى الضعف أو القوة الإنسانية بصفة كاملة، فإنه بذلك "إنسان قد تجاوز الحدود في الفهم... من معاناة هذا الوجود الرحيب بكل ذراته، معاناة عميقة تتيح مثل هذا الفهم الأعماق للإنسان في ضعفه وقوته، وهما قطبا الحياة الكاملة، طرفاها المتصارعان"¹ نتفق مع هذا القول لأنه ينطبق على أبطال الكاتبين، حيث أظهر كل بطل شجاعته الممزوجة بلحظات الضعف والخوف، ليظهر هذان الطرفان المتصارعان في ارتباط تام مع الحياة والموت؛ وبالتالي يتحقق وجود الإنسان في ارتباط هذه الثنائيات.

في المقابل نلاحظ أن ارنست همنغواي يؤمن بأن التعبير عن أناس حقيقيين ينبغي قدرة الكاتب على التغيير في طرحهم فيقول: "إنك عندما تأخذ أناساً حقيقيين، وتكتب عنهم، لا تستطيع أن توقفهم على عمل شيء يعملونه في الحياة... لا تستطيع أن تغير واحداً بالآخر، ولا أن ت اخترع شيئاً مما لا يقع فعلاً في حياتهم"² ولاهتمامه بالرجولة والصلابة اختار شخصيات تتمتع بالشجاعة والقوة اللازمة لتحدي الضعف والهزيمة بشكل قريب من الواقع.

ويؤمن حنا مينة كذلك أن أهم ما في الحياة هو "ألا ينكسر المرء من الداخل، ألا يخاف العدو... ألا يسقط في الوهم، أن يعرف عصره جيداً... وإذا كانت بعض القلوب حطباء... فإن قلوبنا لا يزال بها عرف الجنان، إشفافاً على الأحباء الذين يتساقطون قتلى... وحقداً مقدساً على الطغاة، وما يمارسونه من تدمير وإرهاب وقتل..."³ جاءت

1- ينظر: حنا مينة، بقايا صور، ص5.

2- رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص133.

3- ينظر: حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، الهيئة العامة السورية، دمشق، ط1، 2012، ص12.

شخصياته على هذا المنوال تحمل كل صفات الشجاعة والإصرار رغم شعورهم بالخوف واشتداد المصائب وصعوبة الحياة.

في الأخير يمكننا القول إن القيم الاجتماعية كالشجاعة والنخوة والشجاعة... هي التي تحرك أبطال هذين المبدعين نحو التصدي لظروف مجتمعهم والكفاح لتحدي الصعاب، فهذا يعني أن الفرد لابد أن يحمل معه رواسب مجتمعه التي تبرز في تعابيره وتصرفاته، فالإنسان مهما كان وأينما نشأ فإنه سيعيش في كون يسوده صراع عميق؛ سواء بين كل فرد ونفسه أم بينه وبين الطبيعة أو القوى الاجتماعية المهيمنة، وهنا يتطلب الوضع التحلي بالشجاعة وتغيير نقاط الضعف وشنها بالثقة والإصرار.

2- الحياة/ الموت:

تحتاج تقنية الكاتبين ورموزهما إلى مقارنة الحياة والموت المفاجئ وارتباطهما بالشجاعة والضعف الإنسانيين؛ إذ لم يستطع همنغواي إخفاء الصراع الداخلي الذي يتجسد في كل أعماله، لأنه عاش مراحل الخوف من الموت و"ظل يخفي رعدة الموت في كيانه ويخشى القلق والتردد والإحساس بعبثية الوجود..."¹ وهذا ما انعكس في أعماله، حيث مر بالعديد من التجارب والاصابات التي أصبح بسببها يرى أن الحياة مشهد هزلي على وجه التقريب.

أكد الكاتب أن المكان الوحيد الذي يستطيع فيه الإنسان أن يرى صورة الحياة والموت أي "الموت المفاجئ"، هو في غيبية الحروب، في مصارعة الثيران... وليس أبسط من الموت المفاجئ² ورغم موقف همنغواي من الحياة وتحديه الدائم للموت، فهو لا يدع الإنسان الذي يحكي قصته بدون أخلاق، ويحاول أن يخلق جواً أخلاقياً قد يعتبر أعمق ما في أعماله، فهو يمدح العديد من الخصال الإنسانية والمثل العليا

1- علي عبد الفتاح، أعلام في الأدب العالمي، ص 281.

2- رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص 135.

كالأمل والصبر؛ الشجاعة والثبات؛ الكفاح والبطولة، ويدعو إلى الأمل والثقة بالنفس مهما كانت النتائج.

في المقابل يؤكد حنا مينة أن أعظم حب للبشرية ينطوي في حب الجانب الحي المنتج منها، "أما البكاء على الناس ومباركة ما هم فيه من قصور وجبن وخوف من مواجهة الحياة وخوض صراعاتها، فإنه أخلاقية أبوية... ونحن نحتاج إلى أخلاقية تربوية، تحريضية على التحرر والتقدم"¹ وقد يتفق مع همنغواي في تحدي هاجس الفناء بمواجهة الحياة كاملة وخوض صراعاتها.

يتحول ضعف الإنسان أحياناً حين يقترب من الموت إلى إقدام وشجاعة، فقد ظهرت الشجاعة عند أبطال همنغواي في ميدان القتال والصيد، عند استمرار الشيخ "سانتياغو" في الكفاح بحرص شديد لإثبات أن الإنسان لا يقهر ولا يهزم مهما كانت النتيجة؛ إذ تركز رواية "الشيخ والبحر" على "قدرة قبول المعاناة، "فمانولين" يسأل "كم عانيت"، فيتلقى الجواب: كثيراً. مع هذا، لا يصور همنغواي معاناة سلبية بل قدرة على التعرف على طبيعة التجربة البشرية والتعامل معها بشرف قدر الإمكان.²

من خلال تصفحنا رواية "الشيخ والبحر" نجدها مليئة بمظاهر الشجاعة والقوة، حين قاوم البطل أضخم حوت صادفه في حياته وأكبر أنواع أسماك القرش وأشرسها، قاوم الموت والهزيمة في صراعه هذا وأقبل على الحياة بكل قوته، فنجده يهرب من الموت المتمثل في أسماك القرش الضخمة، التي هاجمته وحطمت أحلامه ومزقت جمال سمكته المبهرة، فعندما بدأت السمكة بالدوران وداومت عليه حتى ابتل جسد الشيخ بالعرق، تسرب الإعياء إلى عظامه حتى أصيب بالدوار وشعر بالإغماء مرتين وذلك ما ألقاه فقال: "لا يمكنني أن أخذل نفسي وأموت من أجل سمكة كهذه. الآن وقد

1 - حنا مينة، القلم والأدب والبيئة، ص148.

2 - ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص16.

أتيت بها بهذه الصورة الرائعة"¹ تحمله هو طلب للحياة ومقاومة للموت، وفناؤه بسبب السمكة يعتبر هزيمة وضعفاً بالنسبة إليه.

يعود هذا لكون التجربة العنيفة تفتح أمام الشخصية طريق الألم الذي يقود بدوره إلى حياة داخلية غنية، بل نراه حين يؤثر فيه الألم يقول: "أيتها السمكة، إنك ستموتين على أية حال، فهل عليك أن تقتليني أيضاً؟... وفكر: فأنا لست قادراً على احتمال دورات عديدة أخرى. ثم ناجى نفسه قائلاً: بل في استطاعتك أن تثبت، في استطاعتك أن تثبت إلى آخر الدهر"² كان فمه جافاً جداً بحيث لم يكن يستطيع التكلم، لكن عزمه على إنهاء مهمته وقتل السمكة أصبح أكبر، حتى أحس أن قدرته على التحمل قد تثبت إلى آخر الدهر.

أما الضابط "هنري" فهو بطل مؤمن بحتمية الموت مهما اختلف المكان أو الزمان المتواجد فيه، ولم يكن يرغب في توديع الحياة خلال تلك الحرب؛ التي لم يكن له حسب رأيه بادئ الأمر دور كبير فيها كما لم يشعر بخطرها بعد، لكننا نجده يقول: "فقد دعوت الله مراراً أن يضع حداً لفظائعها. على كل حال هناك أمل في انتهائها عشية الصيف القادم... وعندها سيتفتح كل ما في صدري. يتفتح ليرى النور، ويطل على الحياة"³ تغير هذا الفكر بعد وقوع أعظم مأساة في حياته، وأصبح يعالج الموت تقريباً دون مبالاة متجاهلاً صعوبته؛ مع عدم إظهار أي عاطفة على الإطلاق، حين وفاة ابنه الذي كان ينتظره بشوق ووفاة كاترين بعده.

اختبار التجربة العنيفة هي ما جعل الموت بالنسبة إلى أبطال حنا مينة أمراً لا يستدعي القلق، فهو عند "الطروسي" لا يسمو إلى درجة الخوف منه إذ يقول: "ليأت

1- ينظر: أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 82.

2- المصدر نفسه، ص 86.

3- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 54.

ساعة يريد أن يأتي كله سواء، الموت، في رأيي، جبان، لو كانت له قدرة أخذ الأمانة من زمان.. مئة مرة التقيت به ومئة مرة نجوت"¹ جسد الكاتب صورة الموت في صفة إنسان لا يستطيع هزيمة البطل؛ في حين يؤكد في كذا موقع عن مدى حبه للحياة لأنها أجمل من أن يقضيها الإنسان في الخوف من الموت.

وبالنسبة إلى "مفيد" فكانت الحياة باختصار مجرد كذبة كان تكذيبها فرحة له، مازحها طويلاً متجاهلاً حقيقة أن الوجه الآخر للمزاح هو الجد، وأن الوجه الآخر للحياة هو الموت حتى أنه لم يكثر لكليهما ويقول: "غبائي، أو غفلتي، أو رعونتي، كلها مجتمعة، أو إحداها منفردة، وضعتني منذ وعيت على الوجود، خارج هذا التفكير الذي يقال له حساب، أو عاقبة أو خوف"² أيقن دائماً أنه أبكى والدته كثيراً وأشقى عائلته وعبث بمعلمه في المدرسة، ثم هرب من ضيعته إلى اللاذنية وأصبح متشرداً، لكنه حافظ طوال رحلته المريرة على شجاعته وإصراره على تحدي الخوف والموت؛ كإصراره على تحدي ومصارعة أقرانه من البشر، فمن الرائع في نظره ألا يخاف الإنسان الموت خاصة إذا كان هو من يمثل هذا الإنسان .

يتجلى الموت في صورة إنسان ضعيف لا يقوى على مواجهته حسبما يوضح "مفيد"؛ طالما أراد القبض عليه كما يقبض على أحد أعدائه الضعفاء، ويظهر هذا في وصفه "الموت... لا يأتي حين تريده أن يأتي، فإذا خفته جاء، كأنما... شغلته المشاكسة، وقد تعلمت باكراً أن أشاكس الموت، لذلك يهرب من وجهي. أتحداه فيهرب، فإذا تقابلنا، وحدق أحداً في الآخر، خفض رأسه وطار مع الريح... فما دام الموت هو الموت، فإن لي حقاً في الحياة، وسأنال هذا الحق على طريقي"³ لكن نهايته كانت

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص319.

2- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص16.

3- المصدر نفسه، ص106. 118.

الموت رغم إصراره الدائم على تحديه، وهو في هذا يختلف عن باقي أبطال الكاتبيين، لكنه يشترك معهم في القوة والشجاعة والإصرار على الكفاح مهما تطلب الأمر. اهتمام همنغواي وحننا مينة بالفعل الإنساني جعل منهما قوة مؤثرة في الأدب الحديث، حيث يتضح لنا أن أبطال الكاتبيين دائماً ما يصارعون واقعهم المرير، وهذا دليل قاطع على إصرار الإنسان لمواجهة كل عوامل القهر والدمار والموت، فالحياة في نظرهما هي مقاومة مستمرة وصراع دائم، والبطولة الإنسانية الحقيقة تكمن في روح الكفاح والمقاومة، هذا ما يدل على الارتباط الوثيق بين القيم الأخلاقية والإنسانية وبين كفاح الإنسان لاسترجاع ما سلب منه، فمهما كانت خسارته خلال كفاحه فهي ليست هزيمة أبداً بل يمكن اعتبارها انتصاراً معنوياً إن لم يكن مادياً، وإلى جانب أسلوب الكاتبيين البسيط فقد عالجا قضايا كبرى متمثلة في القدر؛ المصير والموت؛ العنف والقوة؛ الوحدة والشجاعة والرجولة، هذه هي نقطة الاشتراك بينهما؛ إذ كانت القوة الذكورية هي العنصر الذي جذب اهتمام حننا مينة بأعمال همنغواي، فعالج أبطاله مشاكلهم بنفس الصلابة والإصرار التي أظهرها أبطال همنغواي.

ب- حركية صورة البطل وتطور وعيه:

يظهر الفعل الإنساني داخل الرواية في شكله ومضمونه؛ حجمه ومساحته وأهدافه، وقد يستطيع بذلك تحديد هوية الرواية من حيث كونها فردية أو جماعية، كما أن بناء الشخصية يفرض على الكاتب أن يضع في الحسبان التغيرات التي تنتابها؛ عند دخولها في سلسلة من الصراعات والمواقف والأزمات، ويمكن اكتشافه التغيير من خلال العلاقات التي ينشئها البطل باعتباره شخصية أساسية مع باقي الشخصيات التي تحيط به.

تتضح ضرورة وجود علاقات تربط بين الشخصيات حتى تحدث عملية التأثير والتأثر؛ إذ يرى همنغواي "أن أصعب واجبات الكاتب هو أن يعبر بأمانة وإخلاص عن رؤيته الخاصة للإنسان.. لأن على الكاتب أن يحيط، بالموضوع الذي يتحدث فيه..."¹ هذا ما حاول تقديمه في أعماله، وفي المقابل يؤكد حنا مينة بأن أبطال رواياته ليسوا إيجابيين أو سلبيين بالشكل المطلق؛ يقول: "إنهم باختصار أبطال شعبيون..."² أي أنهم أبناء وطنه وطبقته، عاش وسطهم وكافح معهم واهتم كثيراً بمصير الإنسان المقهور والمستضعف.

يكن عنصر الاختلاف بينهما في اهتمام همنغواي "بالإنسان عموماً دون سياسة، لأن السياسة يتغيرون من موقف لآخر، ومن قضية لأخرى، إنه من الصعب أن نتصور كاتباً مغلق الذهن، دون سياسة، أكثر من همنغواي"³ فقد اهتم كثيراً بموضوع الحرب باعتبارها الآلة الأكثر تدميراً للبشرية على مر التاريخ لهذا ركز على جانب رفض الحرب والتشاؤم منها دون الانخراط في مشاكلها السياسية.

وتتجلى أيديولوجية حنا مينة باعتباره أديبا سياسيا بامتياز اكتسب خبرته من السجن والمنفى، يوضح ذلك قوله: "تدرجت فيها، دفاعاً عن وطني سورية، وعن شعبي العربي السوري، ذي التقاليد الكفاحية المجيدة، والكفاح، كما هو معروف جيداً، نقطة

1- رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص 80. 81.

2- حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص 426.

3- وندهام لويس، دور الفن، ت: مورييس هامد، لندن، 1934، ص 18 - 19. (نقلاً عن: سبع لمين، فلسفة الموت عند أرنست همنغواي، إشراف: ربيعة جطوي، رسالة ماجستير آداب أجنبية، جامعة الجزائر، 2010/2009، ص 73).

التقاء السهام من الغير... غير أن السياسة شيء، واللعب على حبال السياسة شيء آخر...¹

والتمعن في دراسة ووصف الحياة الواقعية هي نقطة الاشتراك بين إبداعات الكاتبين، وعليها بنيت معظم أعمالهما وتطورت أحداثها وشخصياتها، "قالعقل، وهو في مضمار الحياة اليومية العادية، يتلقى فوق كاهله سيلا لا يحصى من الانطباعات: البديهية، أو الفانتازية، أو الزائلة، أو تلك التي تحفر في العقل بحدة الفولاذ مخلفة فيه آثارها التي لا تمحى، من كل الجوانب تنهمر هذه الانطباعات كشلال أبدي لا ينقطع من ذرات يستعصي عدها، مؤلفة في مجموعها ما قد نغامر على وصفه بالحياة ذاتها...² وفي هذا المقام قد يعتبر الواجب الأساسي للكاتب نقل صورة هذه الروح المكافحة المليئة بالأمل، ورصد حركتها وانتقالها من الفردية والذاتية إلى الاندماج مع روح الجماعة، حتى تنشأ حركة الفرد والجماعة وتسير في تناغم وتناسق مستمر يعمل على توليد مراحل تاريخية مميزة؛ يعود الفضل فيها إلى الفعل الإنساني الواعي.

يعي الكاتبان أحياناً أهمية الإنسان باعتباره فرداً مكافحاً غالباً ما تتم عرقلة وعيه ونموه؛ لكنه دائم الحركة والتطور رغم ذلك، وفي رصدنا لحركية البطل: نجد بطل همنغواي "سانتياغو" متناغماً مع كل ما حوله من مظاهر الطبيعة والطيور والأسماك، فقد أصبحت السمكة أحد المقربين إليه بما أنه أعطاها صفة الأخت أقرب الناس إليه، لكن الشيخ أظهر منذ البداية فرديته التامة وعدم اندماجه مع الجماعة، فعلاقته بالصبي والسمكة لا يمكن اعتبارها جماعية؛ لكنها ساعدت في تحوله وتغيير فكره من مجرد

1- حنا مينة، الجسد بين اللذة الألم، ص 101.

2- Virginia Woolf, Modern novels (Character in Fiction 1919 in the essays of Virginia Woolf), ed Andrew McNeillie (san Diego: Harcourt Brace Jovanovich, 1986), vol 3, p33.

صياد يقتل السمك ليعيش إلى صياد يحس بألم السمكة ويشفق عليها ويشعر بالإثم لاصطيادها، وكثيراً ما شعر بالندم والوحدة لعدم وجود الصبي معه والذي كان يقوي ثقته ويساعده في صراعه.

أجمل علاقة وطيدة عاشها الشيخ نشأت بينه وبين "سمكته الضخمة" التي أمطرها بالأوصاف المبهرة والأسطورية، حيث كلمها كأنها أخته وصديقه في رحلته الشاقة واستعمل في ذلك ضمائر تدل على الإنسان، فكانت السمكة صديقه التي أحبها وعدوته التي حاربها في وقت واحد، ما يوضح لنا التواضع والإصرار على النجاح في آن واحد؛ إذ حين أحس أن هناك ما يؤلم السمكة خاطبها "إنك تشعرين به الآن، أيتها السمكة، ويعلم الله أنني كذلك".¹

كانت هذه السمكة وسيلته ليمجد مهاراته من جهة، ويظهر إنسانيته ومحبته وتعاطفه من جهة أخرى، لأن عاطفة المحبة والشفقة تعتمل في نفسه حتى أصبح متشبعاً بالإنسانية واسع الأفق والتطلعات، يقول: "أضف إلى ذلك أنني أعتقد أنه إثم. وفكر: لا تفكر بالإثم. فهناك ما يكفي من المشاكل الآن بدون الإثم. أضف إلى ذلك أنني لا فهم لي في الإثم"² فهو لا يفهم معنى الإثم وليس متأكداً من إيمانه به، لكن علاقته بالسمكة كانت سبباً في إحساسه بالإثم، وتيقن أن غريزة البقاء كانت دافعه الوحيد لذلك، وحرص على إيقاف ألمها عدة مرات لأنه اعتبر ألمها هو ألمه الخاص؛ ولم يعد يبالي بما أصابه لإيمانه بقدرته على التحكم فيه؛ بينما السمكة قد تفقد صوابها بسبب الألم، لكن ما نفع الشعور بالإثم في اللحظات الأخيرة.

قد تكون فكرة أنه ولد ليكون صياد سمك هي ما قلل حسرته عليها، كما أن السمكة ولدت لتكون سمكة وبهذا يتحقق توازن الطبيعة، وعلى ما يبدو فتفكيره يوضح

1- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 59.

2- المصدر نفسه، ص 105.

أنه قتلها من أجل كرامة صياد السمك التي يتحلى بها، أما قتله للقرش فلم يأنب ضميره أبداً، لذلك قال بصوت عال: "لقد قتلته دفاعاً عن النفس. وأحسنت قتله"¹ عزأؤه لنفسه كان أن كل شيء يقتل كل شيء آخر بطريقة ما فصيد السمك كان يقتله مثلما يبقيه حياً.

يتجل وعي بطل همنغواي "هنري" عند ملاحظته حالة الجنود المهزومين منذ أجبروا على القتال، يقول: "عندما تلمس هذا التحول في نفوس الرجال وأفكارهم، يؤمن بأنها لن تستمر طويلاً... نحن الآن نميل إلى الخير وإيقاف القتال لأننا مهزومون..."²، كان هذا التعبير الواضح انعكاساً لما يجول في نفسه ومؤشر يؤكد من خلاله عدم إيمانه بالهزيمة مع اقتراح كونها أفضل من الحرب، ودليل نضج وعيه أنه كان عاجزاً عن مثل هذا القول في البداية، لكن تعمقه في الحرب واندماجه مع الجماعة مكنه بطريقة ما من توضيح أفكاره.

كما يؤكد في كذا موقع أنه ليس دائم التأثير بالألفاظ الرنانة التي كانت تؤثر بمن حوله؛ ما يشير إلى احتقار الكاتب نفسه للمسميات المزخرفة المنفصلة عن الواقع الحقيقي، فيقول: "مقدس.. مجيد.. تضحية.. وبقية التعابير الفارغة الأخرى.. لقد سمعناها مراراً... لا أجد فيما حولي شيئاً مقدساً مجيداً... هناك من الألفاظ التي لا يمكن الاستمرار في الاعجاب بها وسينحصر المجد أخيراً في أسماء بعض الأماكن... وبقايا القرى الحجرية المدمرة، وأمواج الأنهار المصبوغة بالدم الأحمر"³ هذه الكلمات التي ذكرها بنفسه في البداية، أصبحت جوفاء نتيجة لتجربته الفعلية والتي جلبت له الألم والمعاناة.

1- أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص106.

2- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص207.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص215.

نلاحظ استخدام البوليس الحربي هذه المصطلحات خلال عملية التطهير التي خيل لهم أنها عمل بطولي يجب إنهاؤه، فكلمات مثل "التربة المقدسة" و"ثمار النصر" وردت كثيراً أثناء محاكمتهم للضباط "سمحت للبرابرة بتدنيس تربة إيطاليا المقدسة... خياناتكم أفقدت إيطاليا ثمار النصر"¹، كلها كلمات جوفاء تم استعمالها في كل الحروب التي مرت على البشرية، وهي نفسها المصطلحات التي أخبرنا "هنري" أنه لا يثق بها وبوقعها الرنان، فاستخدام البوليس لهذه العبارات كان دليلاً على عدم نضج خبرتهم التي اكتسبها البطل على مدار تجربته.

ببتبع بناء بطلي حنا مينة نلاحظ أن "أبو زهدي الطروسي" لا يشبه "سانتياغو" في طريقة تطور وعيه، حيث يظهر أنه تحول إلى العمل الجماعي عكس ما فعل الشيخ حين اختار العمل الفردي الذي قاده بدوره إلى خسارة غنيمته، أما "أبو زهدي" فبعد اكتسابه وعياً اجتماعياً تمكن من الانتماء للجماعة والعمل من أجلها، فقد بدأ بشكل فردي وذاتي لم يكن له هم سوى استعادة وضعه السابق على مركبه الخاص وهو في بدايته يشبه الشيخ سانتياغو لأنهما انطلقا متشابهين في فرديتهما ووحدتهما ثم اختلفا في النهاية بعد اكتساب بطل حنا مينة وعيا جماعيا مغايراً.

قبل أن يندمج بطل حنا مينة في العمل الجماعي، اضطرته الظروف للبقاء على الشاطئ في المقهى حيث أرغم على التفاعل مع من حوله، فنجدته يفكر بالعاصفة والصيادين ويقول: "نصحتهم فما سمعوا النصح، قلت لهم اليوم "فرتونة"* فلا تبجروا، وقلت لهم بكروا بالعودة..."² تأتي مرحلة تغير مواقفه ليندمج معهم مغموراً بالإحساس

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، 254.

*- الفرتونة: حسب شرح حنا مينة هي كلمة بحرية مستعملة لدى بحارة الساحل السوري واللبناني، والمقصود بها "النوء".

2- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص74.

الجماعي ويصل إلى حد التضحية من أجل قضيتهم، فكانت نتيجة ذلك ظهور بطل مقنع ومفعم بالحركة والحياة.

كما أن الطروسي شخصية لا علاقة له "بالسياسة اليومية كثيراً، بالرغم من أنه شخصية زرعت في أرض رواية سياسية، ولكنه شخصية وطنية تعمل لصالح الوطن وليس لصالح السياسيين"¹ أصبح بفضل ذلك يحرض كل مظلوم على التمرد والثورة ضد الظلم والاحتكار، وينتصر للبحارة ويتدخل في شئون الميناء ولا يرضخ أبداً "لأبي رشيد"؛ إذ كان يعرف أنه "يثير الغبار في وجه أبي رشيد حين ينتصر للبحارة، أو حين يفرض نفوذه الشخصي في دائرة المقهى، وكان يتوقع أن يجابه بالتحرشات، ولقد لام نفسه لأنه يتدخل، ثم وجد أنه لا يستطيع أن يسكت..."² ضميره لا يمكن أن يصطنع اللامبالاة لهذا استمر في التدخل للانتصار للعمال والبحارة.

لا شك أن تطور وعي "الطروسي" على الصعيدين الاجتماعي والسياسي قد ترافق مع حركة تفكيره؛ إذ كان عليه أن يجد "مصدراً للرزق... وكان عليه أن يحمي رزقه فما تأخر، وعرف أن لا بد له من الكفاح ليبقى فكافح وبقي، ولم يترك البحر ولا غادر الشاطئ"³ وأصبح يرفض أن يقال عنه جاهل لأمر عاش من أجلها وأنه لا يحسب للأمر حسابها، حيث وقع في نقاش مع أحد الصيادين بسبب عمله في المقهى وابتعاده عن البحر؛ إذ هكذا تتحول نظرة المجتمع حين يفقد الإنسان عمله ومصدر رزقه الذي كان بفضل "ريساً" محترماً من قبل الصيادين، فهذا الصياد هو رمز من رموز هذا المجتمع أو أي مجتمع كان وفي أي زمان كان.

1- شاعر النابلسي، مباحث الحرية في الرواية العربي، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1992، ص 441، 442.

2- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص23.

3- المصدر نفسه، ص55.

أصبح بعد ذلك لا يصمت عن الحق ويقف ضد الظلم والاستغلال ودليل ذلك قوله: "لا أستطيع السمع والسكوت. البحارة أوغاد، يأكل بعضهم بعضاً كالسمك، يقتتلون في سبيل غيرهم... ما هذا الظلم يا ناس؟ وكيف السبيل إلى الخلاص؟ الحمد لله أنني لست من العاملين في الميناء، وإلا لقتلت أو قتلت..."¹ فتشبيه البطل لتقاتل البحارة بالسمك يشبه تقاتل أسماك القرش مع سمكة "الشيخ سانتياغو" لهذا كان على هذين البطلين التدخل لإنقاذ الموقف، وهذا ما يثبت أن كلا منهما بطل فذ من أبطال المقاومة الإنسانية في عالم يشبه البحر، كما أنهما نموذج حي للنبل والكرامة والشهامة والفحولة، وأثبتا في الأخير قدرة الإنسان على الكفاح والانتصار في كل صراعاته، فكم من عمل جسور قام به الطروسي، من تهريب الزعماء إلى إنقاذ الرحموني ونقل السلاح، وهي أعمال سيتذكره بها البحر والبحارة، وهذا ما يؤكد الكاتب بقوله: "لقد اكتشف ذاته على غير قصد، وها هو بدوره حلقة في السلسلة... سيتحدث الناس عن أعماله، تعلم الصنعة وعلمها، أكل زرع الآخرين وزرع ليأكل الآخرون... ما أروع هذا"² يظهر إعجاب الكاتب هنا بتطور شخصية بطله واندماجه مع الجماعة.

أما شخصيات رواية "نهاية رجل شجاع" فتتفاعل وتتمو في حركية منظمة، نلاحظ من خلالها ملامح مشتركة تجمع بينها على كثرتها وتنوعها، وهي في الأساس شخصيات عادية تغلب عليها البساطة والعفوية، والكرم وقوة الإرادة في العمل على أمل التغيير نحو الأفضل، هذا ما يعيد لها الثقة ويبعدها عن اليأس والإحباط، تبدو معظم الوقت متفائلة ومحبة للحياة حتى يكاد يندمج البطل ويتفاعل معها ولو بشكل متذبذب. تظهر أولى بوادر تطور الوعي عند "مفيد" من خلال تساؤلاته وحواراته الذاتية، ليقدم لنا تحليلاً مقنعاً عن سبب قطعه لذنوب الحمار؛ إذ يرى أن الناس تقتل العديد من

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص24.

2- المصدر نفسه، ص322.

الحيوانات كالذئب والأرنب، وإذا كان الذئب يأكل الغنم فالأرنب لا يأكل سوى العشب، مع ذلك لا يغضب منهم أحد أو يتهممهم بالعدوان.

قد يكون هذا الوصف أقرب إلى الحركة الواقعية للمجتمع، فالأعلى مرتبة يفسد ويقتل ما يريد دون حساب، أما الأدنى مرتبة في نظرهم ابن الفقير الذي لا يتوازي فعله مع أفعالهم؛ فيجرّم وتنزل عليه شتى أنواع العذاب، ما يثبت هذا قوله: "ولماذا أعاقب أنا، وينالون هم المديح؟ فعلتهم تسمى صيداً، وفعلتي تسمى عدواناً، فأين الانصاف في هذا"¹ لكنه لم يجد تفسيراً سوى أن الحمار حيوان أليف نافع لم يضره في شيء ليؤذيه، وأدرك في وقت لاحق اعتدائه على ملكية الآخرين لكنه لم يقتنع أبداً، وهذا سبب رفضه وتمرده على ما يخالف منطقته وأفكاره، فالأسياد كما يصفهم يعتدون على أراضي الفلاحين دون أن يجرّمهم القانون أو يحاسبهم، بسبب قوتهم وجبروتهم لذلك حاول تبني فكرة القوة دون جبروت أو إضرار بالغير لأن داخله لم يكن شريراً أبداً.

جاء قرار ثورته على المجتمع لهذه الأسباب وحاول الانتقام بتحدي الحياة والموت، ويقول: "أن أخرق القانون، وأدوسه، وأفعل ما لا يفعل، حتى أجد لنفسي مكاناً في الدنيا... أنا من الآن قاتل أو مقتول، طردني أهلي، طردتني الضيعة، أمطرت السماء علي وأنا في العراء، كأنها تطردني من العراء نفسه"² انتقل البطل هنا من الذاتية في توجهاته وأفعاله والأنانية في تصرفاته، إلى الرغبة إثبات وجوده وسط الجماعة والصراع للبقاء وتحدي المجهول.

يبدو "مفيد" إنساناً عادياً وبسيطاً يبدأ وحيداً بلا رسالة أو قضية؛ لكن انغماسه في معترك الحياة جعله يتفاعل معها ويحاول بشتى الطرق تغيير ظروفه، وإثبات وجوده وكيانه وقدراته في مجتمع لم يغفر له من أول غلطة، حتى لم يبق من يستطيع

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص38.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص42.

أن يحتمي عنده، وكل ما كان في ذهنه يظهر في هذا القول: "لم أقطع ذنب الحمار عن سابق قصد وتصميم، وأن شقاوتي ليست إلا ستاراً لطيبتي التي لا يصدقها أحد، ولا يستطيع، حتى الشيوخ أن يكتشفوها"¹.

جذبت الحياة ببساطتها وقسوتها "مفيد" الريفي ابن القرية وجعلت منه شخصاً قاسي الملامح حاد النظرة، تطورت شخصيته ضمن المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي وفي سجون الاحتلال، ليجعل منه هذا في الأخير رجلاً وطنياً يحلم بالحرية والحياة، حتى تعاظمت قوة الوحش بداخله وتعاظم معها إيمانه بضرورة المقاومة أحد السبل الأساسية للتحرر من أي احتكار قد يواجهه الإنسان.

كان من صفاته العند واللامبالاة لكن حركية وعيه أدت به إلى تغيير ذلك، ونكتشف هذا في وصفه نفسه بعد محاولة قتله: "كنت فعلاً، لا مبالياً، كان عنادي مثل مقاومتي، لا ألين. كنت شديداً على نفسي، وحين أصادف صعوبة ما، تزداد هذه الشدة"² قرر في هذه اللحظة ألا يتكلم ويكتفي بالاستماع والمراقبة ومعرفة ردة فعل أعدائه، هنا نلاحظ نمو قدرته على التحكم في نفسه، وحين تحتم عليه الكفاح لأن الميناء كان مملكة عجيبة يحكمها ملك خاص، بنضال يقوم عن طريق الإضراب والتظاهر؛ السجن والاصطدام بالشرطة، لأن الحكومة في ذلك الوقت كانت مع أرباب العمل لهذا تزايد عدد المتمردين على تلك السياسة الاحتكارية، لم يفهم البطل قانون تلك المملكة ولم يرغب أن يصبح خاتماً في إصبع حكامها أو في يد النقابة رغم مطالبها بحقوقه لتسهيل العمل داخل الميناء، فالحرية من قوانين أي نظام كانت بالنسبة إليه أهم من العمل المنظم، وبما أن فكرة البطل الشجاع كانت تملأ رأسه، لم يلائمه العمل الجماعي المنظم ونجده يقول لرئيس النقابة "طريقكم لا تلائمني، أنتم

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص42.

2- المصدر نفسه، ص308.

نمل. تعملون مثل النمل. تتقلون البيدر حبة حبة... أريد أن أنتقم كما قلت لك وحدي"¹ قرر العمل وحده رغم أنه قرار قد يؤدي إلى خسارة كل شيء، ولأن ماضيه المليء بالحق دائماً ما دفعه إلى تحقيق الانتقام بمفرده حتى وإن تعرض للهزيمة.

من خلال ما سبق نلاحظ أن "الخصام، والمنافسة، والغرور، وحب الغنيمة، والخوف، والشك، والغضب، والرغبة في التحرر من العرف ومن العقبات التي تقف في طريق تحقيق السلم، وحب القوة، وكراهية الضغط، وإتاحة الفرصة للمظاهر الجديدة، وحب الوطن وأرضه، وتعلق الفرد بشعبه، وبالوطن... والشجاعة والإخلاص، وإتاحة الفرصة للوصول إلى الشهرة والمال والمركز، والحب..."² كلها أفعال ومشاعر تؤدي إلى إثارة الحروب، وفي أغلب الأحيان تكون الظروف الاجتماعية المتدهورة هي ما أثارها، فالحرب مشكلة واسعة تمس الأخلاق الإنسانية وتدمر المجتمعات.

جمعت الحرب بين أبطال حنا مينة وبطل همنغواي "فريدريك هنري" من حيث بناء وعيه وتطوره؛ إذ نجد "هنري" كثيراً ما اطمأن لحديث زملائه ونقاشهم حول أن الحرب لا تكسب بالانتصار، فحتى لو استولى جيشهم على كل المناطق المحيطة فذلك لا يعني انتصارهم، بل الانتصار يأتي باستسلام أحد الفريقين؛ إذ يقول أحدهم "نحن نقرأ.. نفكر.. نحن لسنا فلاحين أميين... ومع ذلك فالفلاحون أنفسهم عندهم من المعرفة ما يجعلهم يمقتون الحرب ويبغضونها.. كل إنسان يبغض الحرب... هناك فئة من الناس تسيطر على البلاد، الفئة الحمقاء التي لا تفكر أبداً ولا تستطيع إدراك النتائج.. إنها سبب الحرب..."³

1 - ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص334.

2 - جون ديوى، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص133.

3 - ارنست همنغواي، وداعا أيها السلاح، ص68.

هذا تفكير فئة من أمثال البطل؛ ممن كادت بهم أهوال الحرب وضربت بأحلامهم عرض الحائط، لكنهم يؤمنون أن الشعب مهما كان بسيطاً وجاهلاً فلا يمكن أن يقبل بها مهما كانت أهدافها، "القضية كلها قذرة. إنهم يفكرون فقط بالفرق العسكرية وبالرجال وبالجنود. إنهم يتنافسون في تجنيد القوى البشرية. وعندما يصبح بين أيديهم ملايين الرجال، يدفعونهم إلى القتال.. إلى الموت.. الجميع منهارون"¹ فقد أثرت في البطل ظروف الحرب وغيّرت طريقة تفكيره؛ إذ لم يكن هناك من سبب دفعه للمشاركة في الحرب وهو نفسه لا يعلم سبب انضمامه إلى صفوف المقاتلين فيها، حتى أن نتاجه الأدبي والفكري قد تضاعف أيام الحرب واقتصر على قراءة الصحف فقط.

ويتضح موقف "الطروسي" منها من خلال موقف أبناء طبقتها الذين تضرروا وتدمرت أعمالهم، فنجده يقول: "الحرب نشفت السوق، ولم يبق غير الجرب والموت وأولاد الكلب"² كان الجرب والمرض والموت قد عم المدينة فالعدوى انتقلت مع الجيوش الفرنسية والإنجليزية، كما تتحدد مواقفه من الحرب بعد استماعه لإذاعة برلين هو وصديقه أبو حميد، حتى أصبحت الشكوك تحوم حوله ويتعرض للاستجواب من قبل رجال الأمن، "رجال الأمن يضايقونني. ولماذا هل اشتبهوا بشيء؟ عرفوا أننا نسمع برلين في الليل."³

ويظهر تضرر "مفيد" من مشاكل الحرب حين دخل في معركة مع الفرنسيين؛ إذ لم ترض نفسه الأبية السكوت على إهاناتهم ودخل السجن إثر ذلك، هذه السمات العفوية واحتكاكه بالمجتمع شجعتة على الدخول في هذه الصراعات، فجراء ذلك الشجار اكتسب البطل شخصية ثانية اختفى خلالها ذلك الصبي المتهور، فتجربة

1 - ينظر: أرست همغواي، وداعا أيها السلاح، ص157.

2 - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص83.

3 - المصدر نفسه، ص88.

السجن حولته إلى رجل شهم وشجاع بعد أن اكتسب وعياً جديداً، حيث أحدث هذا قطيعة بين حياة التهور ومرحلة الشجاعة واكتمال الرجولة، وهنا جاءت مرحلة التشبع بالوطنية واكتشاف معنى الحرية الغالي كما أتيحت له فرصة التعرف على شخصيات مثقفة ووطنية ساهمت في نمو وعيه.

نلاحظ أن غروره قد زاد مع تطور تجربته، منذ وقوعه في معركة مع المحتل واختلاطه بالمتقنين ثم بالعمال؛ وإثباته المتكرر لقوته وشجاعته كلما واجهته المشاكل، يثبت هذا قول رئيسه "لكنك معتد بنفسك. معتد إلى درجة الغرور. انتبه ! الغرور لا يفيدك في كل وقت.. ضع هذا في رأسك"¹ أدرك البطل أن الفخر والاعتزاز بالنفس قد يجعله سيد نفسه وتصرفاته كما يزيده رسوخاً في الميناء.

تفاعل بطلي حنا مينة مع الواقع زادهما وعياً بقضايا مجتمعهما الاقتصادية والسياسية، واتحد كل بطل مع من حوله بطريقته الخاصة، لأن روايات هذا الأديب تتميز "بتنوعها الشديد واتساع آفاقها وموضوعاتها ورحابة دلالاتها، فهي روايات البطولة والصراع والنضال، ضد الاستعمار، والبرجوازية، وضد الظلم بأشكاله، وهي روايات الدفاع عن الفقراء ومهضومي الحقوق"² وبفضل حديث هذه الشخصيات تتكشف أمامنا التحولات التي طرأت على شخصية كل بطل.

لم يغفل الكاتب إبراز الجوانب المختلفة للحياة، فرغم أنه ركز على شخصية الطروسي مثلاً من البداية حتى النهاية، إلا أنه حاول تحديد صورة الصراع القائم بين الإنسان والطبيعة والوجود، في اندماج تام مع كفاحه ضد الظلم الاجتماعي والسياسي، وهذا ما تولد عنه وعي وتطور فكري قد يعطي للمرء القدرة على الكفاح ويعيد إليه سماته الإنسانية المسلوبة.

1 - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص311.

2 - حنا مينة، الرواية والروائي، ص21.

ويرمز "الطروسي" إلى سمات إنسانية مهمة تتمثل في الرجولة والصمود أمام العواصف، كما يمثل رمز العاشق والمناضل ضد الفرنسيين؛ إذ تجسد الرواية حكاية بحار ينتظر عودته إلى البحر، وحكاية وطن ينتظر حريته على يد شعبه المناضل، لذلك ارتبط بهم البطل وصار يستأنس بوجودهم وبنقاشاتهم وهم يستمعون للإذاعة التي جمعتهم في مكان واحد، كما أصبح بفضل حادثته مع "ابن برو" أمل الصيادين في الخلاص من الاحتكار الذي فرضه أبو رشيد ورجاله، وما زادهم إعجاباً به هو إنقاذه لمركب الرحموني، حيث نال إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء من خلال هذا العمل البطولي، وبفضل ذلك حقق الصلة الوثيقة بينه وبين الجماعة، وحاز مكانته الخاصة في المجتمع بعد تلك الحادثة.

جسد الطروسي انتماءه إلى الجماعة عبر اتصاله بهم، وهو يختلف في هذا عن "الشيخ سانتياغو" الذي كان انتماءه الأساسي إلى البحر بأمواله وكائناته، أما "أبو زهدي" فكان تحركه خلال ذلك المجتمع في صورة كفاح مستمر انتهى بمحاولته الإبحار بعد تحقيق انتصاره، لكنه تردد لفترة ظناً منه أن العودة إلى البحر قد تعني التخلي عن انتمائه إلى الجماعة، إذ يقول: "ماذا سيكون حالهم؟ وهل تتغير الظروف وتحسن الأحوال؟ وأجاب على نفسه بنفسه قائلاً: حتماً"¹ وقد تمثل حركته وابتعاده مؤشراً عن خروج مدينته من مآسيها الاجتماعية وجمودها الفكري، فحين أمسك بالدفة وانطلق أصبحت علامات المدينة تضمحل أمامه وتختفي أجزاؤها تدريجياً، لتختفي معها مشاكلها وتتشكل بحلة جديدة وبوعي جديد ورؤية إيجابية تتماشى والواقع الجديد الذي انتقل إليه البطل.

تتحقق حاجات البطل وأحلامه بعد الانصهار مع الجماعة والكفاح معها، فالطروسي باختصار هو رجل عملي مقدم لا يعرف التراجع ويتمتع بالإصرار؛ رغم أن

¹ - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 364.

مشاعر الاغتراب في البر كانت تشتت تفكيره لكنه آمن أن بقاءه هناك قد يحدث فرقاً في مجتمعه، فإذا كان المرء مهتماً بمصيره لا يمكن أن يكون حيادياً أمام ما يجري حوله، فحياة البحار هي التي تفرض عليه أن يخوض معارك مصيرية.

باعتبار أن الفعل البطولي في حد ذاته لم يكن دون مقابل؛ حيث سرعان ما يكتسب دلالة اجتماعية تجعل مصير الناس معلقة برقبة البطل، "فسانتياغو" صارع طويلاً لينال السمكة ويتمكن من إطعام أهل قريته، لأنها كانت بالضخامة التي تكفي عدداً كبيراً من الناس، وفي المقابل نجد "الطروسي" أراد أن ينقذ "الرحموني" لغاية في نفسه لكنه أصبح بذلك رجلاً شعبياً يحمل هموم الضعفاء والمظلومين، لأنه يحمل قيمته الأخلاقية الخاصة على المستوى الفردي، أما العودة إلى البحر رغم الهزيمة والفشل، تمثل نقطة الاشتراك والتشابه بين الشيخ الصياد والبحار الرئيس، ومن وجهة نظرهما كان في ذلك تحقيق للوجود الفردي ومحاولة لإنقاذ الذات المغتربة في البر، وقد مكنهما الوعي من الكشف عن حركتهما وتشكيل نوع من التعايش والقبول والامتزاج مع الظروف والأحداث.

نجد من جهة أخرى البطلين "هنري" و"مفيد" يتحركان عكس ذلك تماماً؛ إذ يعيشان نهاية مأساوية يخسران فيها كل ما كافحاً لأجله؛ رغم محاولتهما الهرب من هواجس الفقد، إلا أن محاولتهما باءت بالفشل ليستمر عذابهما حتى النهاية، فأنتهى كل منهما في حالة مرثية بسبب حتمية الموت الذي لا مفر منه.

أسهم توسيع علاقات الشخصيات وامتدادها في الروايات، لتشمل الأماكن والكائنات الحية والأشياء؛ وإحداث تطور في الوعي الاجتماعي لكل بطل وتحول على مستوى رسم الشخصيات، حيث أصبحت تحمل وعياً قائماً بصيغة فعالة في الرواية، فقد اهتم "همغواي" كثيراً بالتدقيق في تفاصيل أعماله، بالإضافة إلى وصف البحر في رواية "الشيخ والبحر"، نجده يصف المدينة في مقطع بسيط ويظهر هذا خلال توغل

البطل في أعماق المحيط حين لم يعد يرى سوى أضواء هافانا Havana التي كان يسترشد بها موقعه، لكن هذا لم يردعه عن متابعة صراعه بعزم وقوة أكثر، "ثم نظر وراءه ورأى أن ليس هناك أي أرض ترى، ففكر: لن يشكل ذلك فرقاً، يمكنني دائماً أن أعود إلى الأرض على الوهج المنبعث من هافانا...¹ وبذلك تمثل هافانا بالنسبة إليه مخرجاً ومنقذاً من مأزقه.

ونجد الكاتب يسهب في التعبير عن مشاهد حياة بطله الأمريكي "هنري" مع وصف مفصل لمختلف مظاهر الحياة والطبيعة؛ في تفاعلها وتحركها مع أحداث الرواية، أما البطل فهو صورة مختصرة عما كان الإنسان يعانيه بخليط من المشاعر المضطربة نتيجة الأوضاع المأساوية المحيطة به؛ إذ يرى خلال تحركه دمار المدينة على أيدي الجنود وقتل الحياة المدنية؛ واكتساح الأراضي والمزارع "ثم تراءت لي مباني المدينة... وسرنا بين مصانعها وبيوتها، وللهولة الأولى، اتضح لي أن عدداً أكبر من المباني قد دمرته القنابل... وعدداً آخر قد لاقى نصيبه من التشويه والتخريب"² وبالتالي؛ فالمكان يمثل رمزا للدمار والتشتت والاغتراب، ونحن أدركنا بأثر الحرب على الشعوب والمجتمعات؛ ما يجعلنا نتساءل ما إذا كان هذا هو الطريق المشروع نحو النصر والحرية؟ لكن ما من جواب على هذا لأن كل الحروب هي جريمة ضد الإنسانية، وبطل همنغواي متأكد من أضرار هذه الجرائم، وهو إنسان يرغب بالسلم حتى يرى المدن وجمالها ويجول العالم ويتعرف على الناس وثقافتهم، لكن الحرب لم تترك له مجال التعرف عليها، فالكاتب أبدع في "التركيز السينمائي على التفاصيل والطريقة المقنعة التي تشعر بها وتتكلم حسبها شخصياته، والتي تسلكها وتعكسها. لقد

1 - أرنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص50.

2 - أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص189.

بنى جواً، لقد صور فعلاً، وقد قام بهذا كله بفنية رائعة تصدر عن مهنية مدققة تماماً¹.

يؤكد حنا مينة هو الآخر علاقة المكان الملائم بالأحداث الروائية؛ "حرصت، في معظم رواياتي أن ألتقط أحداثها من المناطق المجهولة في أدبنا العربي، قديمه وحديثه كالبحر، الغابة، المعركة الحربية، الإنسان والموت، الجبل، الثلج، وغير ذلك..."² فكل ما جاء في عالمه الروائي لم يكن جاهزاً؛ بل هو عالم فككه وأعاد تركيبه بطريقة تجعل القارئ يتعرف على كل ما في رواياته، على أنها جزء من حياته ليست غريبة عنه.

اختار الكاتب مدينة اللاذقية في كلتا روايتيه لشراء موقعها بعمال الميناء والصيادين والبحارة، حتى تجسد الصراعات التي كانت قائمة فيها بحيث انتقلت من البحر إلى البر، فهي مدينة الفقراء والمضطهدين خاصة أولئك الذين انعكست على حياتهم سلبيات الحرب العالمية الثانية، ويصفها الكاتب بقوله: "اللاذقية مدينة صغيرة على المتوسط، نافذة تتنفس منها سورية وتطل على العالم."³

رغم اختلاط بطله "الطروسي" بالجماعة والأصدقاء إلا أن المدينة لم تجتذبه إليها رغم تقرب أهلها منه، ومهما جذبته إليها تبقى جاذبية البحر هي الأكبر، فهو "يرتاح إلى مسارة الموج... ويستغرق في تأمل متعبد، ينشطر إلى روح تهيم فيما وراء المدى المترامي، وجسم قعيد المقهى، لا تصل له إلا أنه موجود فيه"⁴ نجد البطل يهرب من صراعات هذه المدينة التي كثر فيها الظلم والقمع، ويلجأ إلى البحر بديله الوحيد عنها وعن انكساراتها وصراعاتها اللانهائية، لذلك يبدو الطروسي إنساناً يطمح إلى نيل

1 - أرست همنغواي، الشيخ والبحر، ص17.

2 - حنا مينة، الجسد بين اللذة والألم، ص427.

3 - حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص22.

4 - ينظر: المصدر نفسه، ص155.

حريته واستقلالته، وتصور الرواية الصراع المتعب الذي خاضه البطل للإبحار بعيداً عن مشاكلها، لكنه لم ينقطع عنها حين أنشأ المقهى فيها، وهناك اجتمع عنده من البسطاء والعمال والصيادين والفقراء والمتقنين وغيرهم، ممن كان يسمع حكاياتهم ونقاشاتهم السياسية.

يتمثل الصراع بالمدينة نفسها في رواية "نهاية رجل شجاع"؛ إذ تعتبر من المدن التي دمرتها الحروب، حيث يصف لنا بطلها ما حل بسكانها وشوارعها زمن الحرب، فقد اضطر فيها بطل حنا مينة لحمل السلاح مرغماً لحماية نفسه والحفاظ على حقه وحماية غيره، ولولا ظروف الحرب لما اضطر لذلك أبداً فقد كافح طويلاً في بحثه عن حياة سوية شريفة بعيدة عن الفوضى والحرب والقتال.

كانت المدينة الكبيرة بتناقضاتها الاجتماعية والسياسية ومظاهر فسادها المختلفة، سبباً في تحول الريفي "مفيد" بنزعتة العدائية إلى بطل يدخل حلبة الصراع لكي ينجح فيها، ويقول: "ثم كبرت بعد أن ذهبت إلى اللاذقية، ومارست الشقاوة طويلاً، وصرت شاباً راعياً بالعيش بسلام... ورفض الظلم الذي ينزل بي أو بأحد من رفاقي وكنت مستعداً أن أكون حارساً بلطجياً... لأي شيء يكون فيه عراك"¹؛ إذ كان يحاول أن يثبت رجولته بأي طريقة كانت.

تعتبر فضاءات "مينة" الروائية رمزا حقيقيا للصراع الاجتماعي والنضال السياسي؛ في محاولة بسيطة لرصد القيم التي تحكم مجتمعاتنا العربية، على غرار الكاتب الأمريكي "همنغواي" الذي تمرد عن الصراعات الكبرى في المجتمعات الغربية وانتقدها كثيراً، فقد أراد كل منهما توثيق الأحداث الكبرى التي طرأت على المجتمعات برصد تغير الزمان والمكان؛ إذ سعى حنا مينة إلى إظهار التنوع بين القرية والمدينة والبحر واليابسة، وهكذا كتب سيرة كفاح الإنسان في المكان والزمان والتاريخ

¹ - حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 43.

الاجتماعي الخاص بوطنه، مع الأخذ بعين الاعتبار تعدد مكوناته الثقافية وأبطاله الذين يمثلون الكفاح الإنساني في أدق صوره.

يشير المكان في ذهن شخصيات "همغواي" إلى ضوء الإنقاذ والطمأنينة بالنسبة "لسانتياغو" والدمار والاغتراب والتشتت بالنسبة "لهنري"، أما أبطال "حنا مينة" فتتمثل الاغتراب والصدمات والازدحام بالنسبة إلى "الطروسي"، وتشير إلى فرص العمل والحياة الجديدة والمختلفة عن القرية بالنسبة إلى "مفيد"، وهنا يكمن الدور الهام للمكان؛ فبفضله تشكلت رؤى وأفكار الشخصيات، لأن المكان كان هاجساً بالنسبة إلى كل أبطال الروايات، حيث عانى كل منهم من مكان السكن والمحيط الذي وجد فيه، وسط الفقر والمطر والرياح والظلام والخوف والجوع، فكان مهربهم الوحيد خلال ذلك هو الكفاح ضد أذى الحياة واضطهاد بعض أفراد المجتمع أو المنطقة التي وجدوا فيها.

من جانب آخر؛ وبعد أن بينا أن هذه الروايات ارتبطت بنسيج الواقع؛ والشخصيات التي تتحرك فيها هي كائنات بشرية حية مهما كانت درجة السمو التي تصلها؛ فإن نموذج رسم الشخصيات يختلف من كاتب إلى آخر، لأن موطن الالتقاء في رسم ملامحها عند الكاتبين قد يكمن في تطور وعي شخصياته بالارتباط بالمرأة رمز المحبة والراحة وبشخصية المرشد المساعد الأساسي في تطور وعي البطل، فهي نموذج للشخصيات الخيرة التي تساعد البطل في كفاحه بطرقها الخاصة، وهذا ما سنوضحه فيما يلي:

1- علاقة المرشد بتطور وعي البطل:

تشكل العلاقة التي تربط بين البطل وشخصية المرشد؛ محوراً آخر يتمثل في التواصل والتوافق في الإحساس بالمأساة الاجتماعية التي يمران بها، والاتفاق أو التعارض في الرؤية والفكر الذي يواجه به كلاهما الواقع، وهكذا جاء الحديث عن

البطل وحضوره كشخصية محورية داخل نص تحشد أحداثه وتسخر شخصياته لإبراز سمات ذلك البطل وتبيين مدى ارتباطه بواقعه.

بالنسبة إلى "سانتياغو"؛ لم يرتبط بمن يرشده إلى سبيل نضوج وعيه، فهو شيخ خبر الحياة بكل ما فيها، لكننا نجد علاقة احترام ومودة جمعتة بالصبي الذي كان يبقيه حياً وكأن أمل شبابه يتجسد فيه، فالأمل هو أهم ركائز الكفاح في حياة الإنسان لهذا يعتبر الشيخ فقدانه إثماً وضرباً من الجنون، ومع اقترابه نحو الشاطئ وبعد أن اشتد صراعه ودمرت سمكته نجده يأمل أن يكون قريباً، وأن يكون القلق قد انتاب أحدهم بشأنه؛ "ليس هناك سوى الصبي الذي سيقلق طبعاً. ولكني متأكد من أنه يثق بي..¹"، والرمزية هنا تتطلق إلى نحو أبعد بينما يقف "سانتياغو" مع طلوع شمس فجر اليوم الرابع على الشاطئ وحيداً يعاني من جروحه، يظهر الدم الجاف على وجهه جراء المعركة الطويلة التي خاضها، ورغم هذا "يتحلى سانتياغو بالفضيلة المسيحية المتمثلة في التواضع، عرف أنه بلغها وعرف أن التواضع ليس مخزياً ولا يحمل أي خسارة في الكبرياء الحقيقية، إنه مدمر لكنه ليس مهزوماً"² وشحن ثقته واعتزازه بإنجازه بفضل المساندة التي تلقاها من الصبي في الأخير، حيث دفعه إلى العودة للصيد والمغامرة، فالصبي هنا هو قوة المساعدة والمساندة التي كان يحتاجها الشيخ في آخر عمره.

وهي نفس المساعدة التي احتاجها باقي الأبطال، لكنهم حصلوا عليها بطرق مختلفة من خلال شخصيات مغايرة، فقد نما وعي الضابط "فريدريك هنري" من خلال نقاشاته الدائمة مع رفاقه من أهمهم على سبيل المثال "رينالدي" و"الكاهن"، حيث يمثلان أبرز الشخصيات التي أرشدت البطل نحو الأفضل، فرينالدي كان رفيقه في السكن وكان معروفاً عنه أنه يحب العنف، أما الكاهن فكان يكره الحرب وينفر منها؛

1- ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، 117.

2- المصدر نفسه، ص16.

إذ يقول لهنري وهو على فراش المرض "لأنك لا تدرك حقيقتها، ولا تعرف فظائعها، ولا تقاسي ويلاتها، سامحني، أعرف أنك جريح، وأنتك تتألم..."¹ ففي نظره أن هناك أناسا يحبون إشعال الحروب وهناك من يمقتونها، ونجد البطل يقاوم هذه الفكرة لكنه يأمل نهايتها دائماً، فهو يتساءل لما لا يوقفون الحرب إذا كانوا يكرهونها، فقد كان كلاهما يشعر باليأس لكن احتمال نهايتها يعطيها بعض الأمل.

نلاحظ الطبيعة الخاصة للتناقض بين صديقي البطل فالكاهن محب للسلام أما رينالدي فينجذب نحو العنف، وهما عنصران متناقضان لكن مرتبطان بالحرب، وقد استعمل الكاتب هذه الشخصية كنقيض للبطل ليوضح معاناة الجنود من خلاله، فقد غرق في ضغوطات الحرب دون توقف، وفي المقابل كان البطل في فترة نقاهة فأصابته تلك الفترة صديقه بأضرار نفسية يلخصها بقوله: "هذه الحرب تدعو إلى اليأس، هلم نحتسي بعض الخمر، ونرفه عن أنفسنا ونزيل ما بقي من الهم والأفكار السوداء..."² عند هذه النقطة يقف "هنري" موقفاً وسطاً بينهما، ومن غير الواضح من سيتبع مساره أو إلى أين سيتجه لكن لكل منهما أثره الخاص عليه؛ خاصة بعد تجربته الأليمة ومعاناته الطويلة من إصاباته الكثيرة.

في موقف آخر يجمع الكاتب بين الخطاب المباشر وغير المباشر؛ ليمرر تيار الوعي في فقرات طويلة تصف سهرة الخمر عند زيارة "رينالدي" له، ليخبره أن الولايات المتحدة قد أعلنت الحرب على ألمانيا وبدأ عليه الفرح شأن جميع الإيطاليين؛ إذ يقول البطل: "إن المسألة قضية أيام فقط، رغم أنني لم أكن أعرف في الحقيقة الأسباب التي من أجلها دخلنا الحرب ضد ألمانيا..."³ وما زاد فرح صديقه هو تأكيده أنهم سيحاربون

1- ارنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص 91.

2- المصدر نفسه، ص 194.

3- المصدر نفسه، ص 98.

النمسا وتركيا واليابان، وهنا يتصرف البطل بإيجابية لإلقاء الخطب الفردية؛ ويتدفق ذلك معاً في تقليد لتجربة شخص مسته المحادثة وأثرت فيه.

من خلال ما سبق نتفق مع قول جلال أسمر في ترجمته لرواية "وداعاً أيها السلاح"؛ حين لاحظ أن الكاتب أشار في هذه الرواية "إلى أن الحكومات كانت تجر الرجال إلى الحرب تاركين أعمالهم... ومزارعهم للقتال، فكان ذلك سبباً في سقوط الكثير من الضحايا... والكارثة أنه لا مجال لرفض القتال، لأن مصير من يرفضها القتل، حيث يعتبر عصياناً لأوامر الدولة"¹ فالإنسان هو أعظم ثروة ومتى ما نقصت قيمته تدهور كل شيء خلفه، فما كان على تلك الحكومات سوى أن تفكر فيما تقوم به وتركز على هذا الجانب، وهذا ما جاء عليه دور أصدقاء البطل في محاولتهم إيضاحه، ومساعدة البطل على تفهم وضعهم كجنود، ما ساعد على نمو وعيه وتغير نظرتة للحرب حتى قرر الهرب منها في الأخير.

يحاول الكاتب في رواية "وداعاً أيها السلاح" أن يصف الألم وراء الحرب، وتقديم تقرير صادق غير بطولي عن القتال والمواجهة والتراجع، ويوضح ذلك حين اضطر البطل إلى العودة لارتداء ملابس عادية للتخفي بعد هروبه؛ فتشعره بالغرابة والسذاجة "شعرت وأنا في الثياب المدنية أنني كالإنسان الشاذ.. لم آلف منظر شخصي للوهلة الأولى وأحسست أن طابعاً غريباً يتملكني.. لقد قضيت في الثوب العسكري زمناً طويلاً نسيت تلك الصورة الساذجة الطبيعية التي كانت تضيفها على شخصي الثياب المدنية..² وحتى نوع الملابس كان له دور في تفاعلاته مع أوضاعه وطريقة وداعه لعلامات الحرب.

1- ينظر: أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص6.

2- المصدر نفسه، ص273.

في المقابل يحدث نوع من الانفتاح والتداخل بين الذات أو الشخصيات في أعمال "حنا مينة"؛ بدافع الرغبة المدهشة في اقتحام عالم الآخرين والتواصل معهم، ومن هنا يحاول الكاتب أن يبين لنا كيف اكتسب بطله "الطروسي" الوعي الوطني والثوري حيث تتضح علاقة أبطاله مع المرشد أكثر منها عند همنغواي، وكان وعيه هو نفس الوعي الذي اكتسبه أهل قريته من خلال أفكار وتعايير المعلم "كامل"، ومن هنا يظهر وجود المرشد في مسار أحداث الرواية؛ إذ يقول الطروسي "حديث الأستاذ كامل يقنعني، وبعض الأحاديث الأخرى تسليني، بل تجذبني، لقد اعتدت سماع الزبائن، وألفت الجو.¹

يمثل هذا الأستاذ أفكاراً تقدمية لأنه اقترح الكثير من الحلول للمشاكل الاجتماعية والوطنية والسياسية، كما ركز على إيضاح طريقة وصول وعي المواطن العربي إلى درجة إدراك أبعاد العلاقة بين الوطنية وقضايا الإنسانية جمعاء، وقد يلخص هذا إجاباته على نقاشات زبائن المقهى بقوله: "الاستقلال يؤخذ ولا يعطى وهذا حق، ولكن المسألة أن فرنسا وبريطانيا لن يعطينا الاستقلال بل نحن الذين سنأخذه. إننا ننسى كفاحنا وشهداءنا، ننسى أن فرنسا تسلم باستقلالنا مرغمة لأنها تعرف أننا سنحصل عليه بالقوة"² فهو عكس من يتابعون إذاعة برلين الذين يؤمنون أن ألمانيا ستنتقد العرب، بل كان متأكداً أن هتلر سيحتلهم ويفرض النازية التي وصفها الأستاذ باللعنة.

كان الطروسي لا يفتأ يراقب الأستاذ كمال، لإعجابه بحماسته كما أعجب بحماسة "أبي حميد"، فكثيراً ما كان يتساءل عن سبب اندفاعهم لترك قضاياهم الشخصية والتعلق بأمور السياسة والمجتمع، وبعد حوارات ونقاشات بينهما صار حماس الطروسي يتزايد، فالناس يتحمسون للسياسة وهو يتحمس لأمور الميناء

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص38.

2- المصدر نفسه، ص132.

ومشاكله، والكاتب يريد أن يضيء هنا جوانب مغايرة من شخصية البطل بهذه الأوصاف التي توحى بنمو وعيه، وهنا نذهب مذهب أحد النقاد في رؤيته أن الطروسي "مع الثابت (البحر) وليس مع المتغير (الرمال السياسية)، كما يريد أن يقول أنه مع القوة، ومصدر الخير، ومقلع الرجال... وليس مع الشعارات، ومصدر الخلافات والتمزقات، وثرثرة المثقفين."¹

استوعب الأستاذ حقيقة الطروسي لذلك احترامه، وإذا لاحظنا الطريقة التي بنيت بها شخصيته وتطورت، والطريق التي سار عليها اتضح لنا التحول الذي طرأ عليه بفضل الجرأة والإقدام والاختلاط بالمثقفين، وهي الحقيقة التي أدركها "كامل" فهتف في ذاته: "هذه هي الصخرة التي ينهض على أمثالها البناء. صحيح أنه ليس عاملاً ولا فلاحاً، ولكنه من الشعب، من أبناء الشعب المخلصين، من فروع سنديانتنا الضاربة جذورها في الأرض"² رغم أن البطل أكد أنه وطني بدون فلسفة لكن الأستاذ متأكد أن لا نفع للفلسفة أمام الروح الوطنية لأنها أساس الكفاح.

في نظر المعلم "كامل" لكل رأي؛ وكل رأي هو سياسة وهذه الأمور مترابطة، فلو لم يناضل الشعب ما تحقق الاستقلال، ولولاه لما استطاع الشعب المطالبة بحقوقه، وهكذا اندمج وعي البطل مع أفكار المعلم فقد أصبح لا ينتقص من حماسة أحد في سبيل الوطن ولا يتأخر هو نفسه، لكنه استغرب دائماً حماسة الناس لألمانيا وروسيا ومشاكل العالم، وهنا يجيب الأستاذ على تساؤلاته بقوله: "مشاكل العالم تؤثر في مشاكلنا يا أبو زهدي. لو انتصرت ألمانيا لأصبحنا في مرتبة العبيد. النازية: ...

1- ينظر: شاكِر النابلسي، مباحج الحرية في الرواية العربية، ص442.

2- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص328.

طاعون... لقد انهزمت ألمانيا الآن، ولكن الإنكليز والفرنسيين يلعبون علينا، يريدون سلبنا الاستقلال بكل وقاحة، لكنهم عاجزون...¹

تمكنت شخصية المرشد من التأثير في رأي البطل؛ وأصبح العمال يجتمعون في مقهاه بعدما كان يرفض سماع أي حديث عن تنظيم عمال الميناء، وها هو في الأخير يقف في صف قضيتهم، كما دفعه الأستاذ نحو الإبحار من جديد "فقرر أن يعطيه الجواب الذي يبحث عنه، وأن يقطع له حبل الشراع لينطلق به حيث يشاء... قال له بلهجة صريحة حازمة: سافر.. سافر. أنت لم تخلق للمقهى كما قيل، ولا بد أن تعود إلى البحر"² كما نلاحظ أن "الطروسي" اقتنع دائماً أن لا دخل له في خصومة "نديم وأبو رشدي" وصراعهما الشخصي والسياسي، لكنه رسخ قناعاته بواسطة أفكار الأستاذ الذي جعله يدرك صلتها بالكتلتين المتصارعتين على السلطة (الكتلة الشعبية، والكتلة الوطنية)، وهنا استطاع أن يحدد قراره ويتخذ موقفه الذي اصطبغ بصبغة سياسية، وبهذا تمكن من ممارسة كفاح سياسي تمثل في نقل الأسلحة وتهريبها إلى المناضلين في المقاومة الشعبية.

تتسم العلاقة بين البطل والمرشد بالاحترام والتقدير ليثبت هذا أنه يشكل عنصراً أساسياً في تأطير وعي البطل وتوجيهه، فهذه الشخصية تمثل "شخصية المثقف الثوري، الذي يلعب دوراً كبيراً في تنمية الوعي لدى الجماهير بعامة، ولدى بطل الرواية الطروسي بخاصة، ولعل هذا راجع أيضاً إلى بروز دور المثقف في الحياة الاجتماعية والسياسية في الستينات..."³ وهذه الرواية هي قصة اتحاد الجماعة ورواية مدينة اللانقية كلها.

1- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص 149.

2- المصدر نفسه، ص 329.

3- شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، ص 148.

نجد أن الرواية ربما تعمدت رسم شخصية "الطروسي" فردياً حينما كان عاجزاً عن العودة إلى البحر، لتحقيق هدفه الذي انتظره طيلة عشر سنوات، لكنه سرعان ما اصطدم بالمحتكرين وصهره الصراع المتعدد الأوجه؛ فاندمج إثر ذلك مع الجماعة وناضل من أجلها، واستطاع أن يحقق هدفه وعاد إلى البحر "ريسا" موقنا أن الخط الفاصل بين البر والبحر قد زال وأصبحا متصلين؛ فالتحق الذاتي والانتماء إلى الجماعة لا يتناقضان بل يترابطان ويحققان النجاح لأفراد الجماعة.

كان للأحداث التي مر بها الطروسي، والمكان الذي تواجد به والمجتمع الذي تأثر به، أكبر الأثر في نمو وعيه وتغييره من وعي فطري ساذج إلى وعي عميق؛ دفعه في مرحلة ما إلى المغامرة بنقل الأسلحة إلى المجاهدين، وإلى التردد في مغادرة الميناء بعد أن حقق أمله بأن يكون مالك مركب، كما كان لصديقه الأستاذ المثقف الثوري أثرا واضحا في تأطير وعيه؛ الذي بفضلله أيقن أنه لا انفصام بين البر والبحر وأينما وجد الإنسان المكافح يمكنه أن يخدم قضيته وجماعته، وهكذا منح الكاتب بطله صفات إيجابية عديدة لخدمة هدفه نحو تأكيد أهمية العمل الجماعي والانتماء، فرغم أنه بدأ فرداً عادياً بهدف واحد معين؛ إلا أنه أنهى إنساناً إيجابياً تتفاعل لديه الذات بمحيطها، فاستطاع بذلك الكفاح من أجل هدفه المنشود والنضال من أجل الجماعة.

كما علّم السجن "مفيد" معنى أن يكون رجلاً مستقيماً، حيث أفادته صحبة السجناء السياسيين والثوار أمثال "عبد الجليل والأستاذ ماهر" في تعلم القراءة من الجرائد، فبعد دخوله السجن واختلاطه بمجموعة من المثقفين، صار هدفه أن يتقدم ويضيف إلى معرفته من الكتابة والقراءة كل ما يمكن أن يتعلمه من رفيقه في السجن "عبد الجليل"، الذي كان يساعده ويرشده ويفسر له الكلمات التي لا يفهمها ويحاول إثراء رصيده في الأمور السياسية، ويعلمه طرق التعامل مع السجناء دون استقزازهم أو

التدخل في شؤونهم، لأن حياة السجن هي عالم منفرد بذاته ومختلف عن الحياة في المدينة.

أصبح البطل بعدها يختلط بأصحاب التجربة والمعرفة في السياسة، فقد كان مفيد يفخر بوصفه "سجيناً سياسياً"؛ إذ أحس أنهم رفعوا من شأنه بهذا الاسم، كما أنه تأثر كثيراً بأخلاق المسجونين لقضايا سياسية بقوله "لقد أدهشتني صلابتهم. تقانيهم في الدفاع عن حقوق السجناء، وقد شهدت، بعد شهور من وجودي في السجن، إضراباً قاموا به، وحرصوا عليه، وحققوا ما أرادوا من مطالب".¹

أثناء تواجده بالسجن التقى بالمحامي "ماهر" السجين الجديد، كان هادئاً وواثقاً احترامه الجميع وتواضعوا أمامه، وهذا ما أثار أسئلة كثيرة في نفس "مفيد" إذ يقول: "إذا كان عبد الجليل تواضع أمامه هذا التواضع، فما يفعل بقية الجماعة؟ وماذا كان يفعل قريبي إبراهيم الشنكل لو كان معنا؟ بل ماذا أفعل؟ أنا؟ أتكلم مع أستاذ؟ وكيف يتكلم الأساتذة؟ وما قصته؟ ماذا فعل؟ ماذا يعمل؟...² كان نافذة السجناء الصغيرة للاطلاع على أحوال البلد وأخبار الفرنسيين لهذا اجتمعت جماعة "عبد الجليل" به، وبعد فترة ضموا إليهم "مفيد" الشاب المتحمس حتى يستفيدوا منه ويفيدوه.

انطلقت مرحلة أخرى في حياته؛ فالفتى الشقي الذي قطع ذنب الحمار أصبح يشارك السياسيين اجتماعاتهم ويتعلم منهم، كما نال استحسانهم لأنه قاوم الفرنسيين، وكل من يقاومهم يصبح مرتبطاً بمشاكل مجتمعه بصفة مباشرة، وما جعله يتقرب منهم أكثر هو الأستاذ "ماهر" الذي لم يكن يظن أن ما فعله "مفيد" بقطع ذنب الحمار مجرد ولدنة كما وصفها هو؛ وعبر عنها بأنها "كانت احتجاجاً... أنت غير راض، تريد أن

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص79.

2- المصدر نفسه، ص83.

تحتج ولا تعرف كيف"¹ علم أنه احتج على ظروف الحياة في الضيقة لهذا وجب أن يصلح نفسه في نظر الأستاذ، ويبحث عن عمل في الميناء بما أنه من الساحل، وهكذا وعده "مفيد" بنسيان حياته السابقة والبحث عن عمل شريف لأنه يحب البحر والسفر، فأصبح كلامه وتحفيزه دافعاً لمواصلة التعلم وتغيير أسلوب حياته.

لتحصيل نتيجة أفعال الشخصيات نلاحظ أن بطل همنغواي الشيخ "سانتياغو" كافح وناضل لكن ماذا كانت نتيجة كفاحه كله بما أنه لم يربح شيئاً، فما معنى نضاله وما نتيجته إذن؟ والجواب عن هذا السؤال يوضحه همنغواي في معظم أعماله، وما من جواب سوى أن سر الحياة عنده هو اللاشيء/Nada، حيث يسعى في معظم أعماله إلى تصوير هذا العبث الذي يسيطر على الحياة، فالشيخ كافح طويلاً وبذل كل جهده لصيد السمكة، لكنه لم يستطع أن يحصل منها إلا على هيكل عظمي كان راية الهزيمة لأعظم معركة في حياته، ومن جهة أخرى يمثل هذا الهيكل أعظم صور نجاحه الذي أثبت به لنفسه ومن حوله مدى شجاعته وقوته.

من جهة أخرى ما الذي استطاع أن يناله "هنري" في رحلة صراعه ضد ظروف الحرب، سوى ربح معركته مع نفسه والهرب منها؛ كما نال حب كاترين، لكنه رغم كل هذا لم يأخذ شيئاً مما أراده وبقي في الأخير وحيداً في أرض غريبة، وكل ما يتضح هنا أن الرسالة الإنسانية تعلو وترتفع كصرخة رفض للمطالبة بوقف الحرب ووداع السلاح نهائياً، لأن الإنسان هو الثروة الأعظم وينبغي الحفاظ عليها؛ وتطويرها والحرص على نموها لا تدميرها وتفكيكها، فلا يجوز أن نبدد مثل هذه الثروات في حروب عبثية لا فائدة منها ولا تجلب سوى الدمار.

1- ينظر: حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص 86.

لخدمة قضية الصراع والكفاح التي تبناها المجتمع، تتعدد الشخصيات وتختلف في رواية "الشرع والعاصفة"، كما اختار الكاتب خلالها جانب الجماهير الكادحة ومثل آلامها ومعاناتها، ليجد ولو جزءا بسيطا من الحل الاجتماعي لتلك المشاكل التي كان يواجهها مجتمعه، وهكذا تظهر صور مميزة للبطل ممزوجة بروح الجماعة التي كانت تعتمد على التعاون والتكاتف، لأن الكاتب يؤمن بأن العمل الفردي قد ينتهي بالهزيمة، وهو في هذا يختلف عن "همنغواي" الذي امتاز أبطاله بالفردية والذاتية في تحقيق وجودهم، في حين تظهر فائدة العمل الجماعي بالنسبة "للطروسي" في نهاية الرواية بعد أن تمكن من العودة إلى عالم البحر ليتصارع من جديد مع أمواجه وعواصفه، ولم يتحقق ذلك إلا بعد ارتباطه مع أبناء طبقته من العمال، لأن قصة هذا البطل ترتبط بملحمة رجال البحر في كفاحهم ونضالهم المرير من أجل لقمة العيش، وكذلك من أجل التحرر الاجتماعي والسياسي.

أما رواية "نهاية رجل شجاع" فقد صورت "مفيد" بطلا فرديا يناضل من أجل الحرية الذاتية، وهو مثل باقي أبطال "حنا مينة" شخصية متواجدة بكثرة في حياتنا؛ إذ نشعر أننا سمعنا قصته بطريقة أو بأخرى، نشأ منبوذا بسبب شقاوته لكن سرعان ما أصبح محبوباً من مجتمعه ويتفاعل مع الواقع ويتحداه رغم إدراكه لمحدودية محاولاته وصعوبة تحقيق انتصاراته، إلا أنه واصل حتى النهاية، وهذه السمات التي رسمها البطل كانت معبرة عن سلوك كثير من أبناء طبقته الاجتماعية، وقد حشد الكاتب جهده لإبراز ملامحه بإعطائه الحيز الأكبر من حجم الرواية بما أنه الحامل الرئيسي لرسالة الكاتب.

يظهر لنا هنا أن المحرك الأساسي "للطروسي ومفيد" هو الواقع الاجتماعي الذي يرفضانه، بداية بدافع إحساسهما بالظلم ورغبتهما في الانتصار لكرامة الإنسان، كما أننا بأهمية العمل وأن الإرادة الإنسانية هي الأساس في تحقيق الآمال، وأن العمل

والكفاح يستعيد للإنسان احترامه لذاته، وهذا ما زادهما معرفة ووعياً دفعهما نحو السعي لتغيير الواقع، فاضطر خلاله إلى خوض الصراع تلو الآخر مما حفز وبعيها، لكن بسبب ظروف معينة قد لا يكتمل الكفاح رغم الوعي بضرورته كما حدث عند "مفيد"، وهنا البطل ينتكس ويهزم وينتهي بالموت.

2- شخصية المرأة وعلاقتها بالبطل:

اتخذ الحديث عن المرأة في أعمال الكاتبين طابعاً إنسانياً يقصد به تعميق الصورة الواقعية، كما أن الروايات التي اهتمت بوصف المرأة لم تنفك تؤجج نيران العواطف بين الجنسين، فكانت العلاقات الجامعة بينهما علامة للأمل والاستقرار، وبرهنت المرأة في خضم ارتباطها بالبطل على استعدادها للتضحية والكفاح بشجاعة من أجله، لكننا نستثني "سانتياغو" من وصف علاقته بالمرأة؛ حيث أن ذكرى الشيخ الوحيدة عن زوجته كانت صورتها المعلقة والتي شعر بسببها بالوحدة فاضطر لإزالتها، ويصف الكاتب ذلك بقوله: "في يوم من الأيام، علقت صورة ملونة لزوجته على الحائط لكن كان عليه أن ينزلها لأنها كانت تشعره بالوحدة الشديدة حين يراها وهي الآن على الرف في الركن..."¹ لكنه فكر بالبحر وكأنه امرأة؛ إذ أحيانا ما يتحدث الصيادون عن البحر كحديثهم عن المرأة، لكن الشيخ "فكر فيه دائماً كأنثى وكشيء يمنح أو يمنع هدايا عظيمة، وإذا قامت بأشياء عنيفة أو شريرة فهذا لأنها لم تستطع منع نفسها عن القيام بها. فكر: القمر يؤثر به كما يؤثر على امرأة."²

ترتبط أبطال حنا مينة نفس العلاقة بالبحر والمرأة، يظهر من خلال أقوال "الطروسي" على سبيل المثال تلك العلاقة المتينة بين البحارة والبحر، وهي رابطة تقترب إلى حد ما من علاقة الرجل بالمرأة؛ إذ لم يكن يعرف ما يثيره أكثر "حبه للبحر

1 - ارنست همنغواي، الشيخ والبحر، ص 25.

2 - المصدر نفسه، ص 37.

أم حبه للمرأة التي وراء البحر، ولربما كان البحر والمرأة كلاً واحداً حياً مضرماً في خياله¹ هذا الإحساس لم يكن جديداً فهو شعور قد يختلج في ذهن كل بحار تغرب عن وطنه، وهنا نتفق مع شاعر النابلسي في قوله "من بين رموز البحر، ودلالاته أنه الأم الولادة، وأنه الرحم الواسع الكبير المتجدد دائماً"² فقد شعر كل بطل بالحرية في البحر واعتبره مثل المرأة لأنه كان بمثابة البيت والمقر والمدرسة بالنسبة إليهم.

لدراسة علاقة بطل همنغواي بالمرأة نلاحظ أن رواية "وداعاً أيها السلاح" بنيت على علاقة تربط البطل بامرأة تعيش معه مراحل كفاحه وتطوره وتشاركه ظروفه السيئة والجيدة، فهي رواية رومنسية تنبض بالحياة وفيها يحب الملازم الأمريكي الممرضة الإنجليزية وتحمل منه، ثم يفران بعد الانسحاب الإيطالي في كابوريتو إلى سويسرا، وتموت "كاترين" خلال الولادة، وربما كان الكاتب يقصد من هذه النهاية تعميق الصورة التي توضح التمزق وعدم الاستقرار الذي شهدته حياة بطله.

تمثل "كاترين" شخصية ثابتة في الرواية لا تخضع لأي تحول كبير على مدى مسار الرواية، فشخصيتها ظهرت ناضجة منذ البداية عكس "هنري" الذي بقيت شخصيته في تحول مستمر، وكانت أكثر شخص ارتبط به البطل حتى اندمجا وصارا كأنهما واحد "أود أن أكون أنت... ونحن كلانا شخص واحد... أحس نفسي كالميتة عندما لا تكون بجانبني... لن أدعك بعد اليوم، فحياتي معلقة بك"³ كان البطل قبلها لا يهتم لأحد ولا يرافق امرأة أكثر من ليلة، لكن كانت علاقته بها بدأت نتيجة الفراغ العاطفي الذي كان يعيشه، وهنا لا يتفق أن يقع في الحب ويتم مهامه التطوعية، لأن الموت وارد محتمل في أي لحظة ضمن زمن الحرب، ولأنه كان يعلم أن الحرب

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص340.

2- شاعر النابلسي، مباحج الحرية في الرواية العربية، ص442.

3- ينظر: ارنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص321.

والحب قد لا يلتقيان في مكان واحد فهما نقيضان تقوم علاقتهما على التضاد، لم يمنعه ذلك التضاد من الارتباط، وبعد الإصابة الدامية التي كانت مصيره للقائها من جديد أصبح المشفى قاعدة لهما، وهناك تطورت العلاقة القائمة بينهما في خطى متسارعة لتصل إلى الرغبة في الزواج.

لكن امتناع الزواج الرسمي من "كاترين" لم يمثل عقبة أمام طقوس الزوجية التي كانا يمارسانها، وصولاً إلى علاقة مكلفة بطفل كان "هنري" يأمل أن يكون نتاجاً لحب يحتويه الزواج الرسمي، فأن يكون الإنسان أباً سيوصله بالضرورة إلى الحياة المستقرة الخالية من التوتر والخوف من المستقبل لهذا ارتبط نمو وعيه بتطور علاقتهما حتى أصبحا زوجين ينتظران بفرح مولودهما المنتظر، ويقول هنري في وصفه لكاترين "أنت شجاعة جداً ولا شيء مطلقاً يصيب الشجعان... إنك حقاً خارقة الذكاء، والقدرة على السيطرة"¹، وهي حقاً جديرة بهذه الصفة وترغب حقاً لو تكون شجاعة، وهنا يختلف رأيها عنه؛ إذ تقول: "الجبان يموت ألف مرة، ولكن الشجاع يموت مرة..."² وهو هنا يعتقد أن كلاهما مغتر بنفسه، والحقيقة تظهر أنها شجاعة حقاً لهذا نضج وعيه نتيجة علاقته بها.

بالعودة إلى معالجة دور شخصية المرأة في روايتي حنا مينة، فإننا نتفق مع ملاحظة الأستاذ واسيني الأعرج في تكرر ظاهرة "المومس الفاضلة" في أعمال الكاتب؛ إذ تكون المرأة هنا مومساً بالظاهر ولكن في أعماقها لم يكن ذلك اختياراً بل كانت مجبرة لا خيار لها غيره، وقد استوحى الكاتب ذلك من حياة أخته التي اضطرت لعمل

1- أرنست همنغواي، وداعاً أيها السلاح، ص164.

2- المصدر نفسه، ص164.

ذلك في الميناء دون علمه، لكنه اكتشف ذلك فيما بعد حين كبر¹ فقد ترك ذلك أثراً كبيراً في نفس الكاتب.

يتجلى بهاء المرأة بصفاتها الإيجابية في رواياته حسب قوله "حتى وهي في وهدة سقوطها، وكذلك في رفضها لهذا السقوط، والتسامي على وضاعة الحياة، والتطلع إلى الانعتاق من رقبة الارتهان للحاجة، وكشف ما في نفس المرأة من فضائل، ومن حب وعطف إنسانيين، وكيف أنها تحاول الانتقام لظروفها القاسية"²؛ إذ تناضل المرأة في رواياته ضد ظروفها السيئة وتطمح إلى تغيير الوضع المحيط بها، كما وتأخذ حيزاً مهماً في أعماله، ويبدو "تعاطفه مع المرأة المومس واضحاً في جميع رواياته، لأنها مضطهدة مرتين، فهو يقف بشدة ضد تحول الإنسان إلى سلعة..."³ وهذا من شأنه أن يدانا على تعاطفه الشديد مع اخته وباقي نساء وطنه، ممن اضطرتهن الظروف لتحمل شقاء ذلك العمل لتوفير لقمة العيش.

نجد هذا التعاطف عند بطليه، فالطروسي لا يرتبط بزواج إلا في نهاية الرواية حيث يتزوج "نجوى" التي كانت مومساً قبل لقائها به، وبعد أن أنقذها من حياتها السابقة أطلق عليها اسم "أم حسن"، أما بالنسبة إلى عدم إنشاء أسرته الخاصة يقول: "نصيب! حين كنت في سن الزواج، لم أكن قد شبعت من العزوبية، ولما شبعت كان وقت الزواج قد فات... ثم هناك سبب آخر، فالبهار النازل إلى البحر كالجندي الذاهب إلى المعركة، لا يعلم أيعود أم لا، وقد رأيت كثيراً من أرامل وأيتام البحارة، فأدمى منظرهم قلبي وخفت الزواج وإنجاب الأطفال..."⁴

1- لقاء مع الأستاذ واسيني الأعرج، جامعة الجزائر 2، بتاريخ 28 أكتوبر 2018، الساعة 11:30.

2- حنا مينة، أشياء من ذكريات طفولتي، ص23.

3- شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، ص143.

4- ينظر: حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص48.

رغم أن البطل كان يعرف امرأة باسم "ماريا" إلا أنها لم تكن ترغب بالزواج حسب قوله، وكانت كل هذه أعذاراً لأن البحار في رأيه يرتبط بامرأة في كل مرفأ يزوره، ورغم هذا لم يستطع الارتباط لأنه رأى الكثير من الأرامل واليتامى فخاف الاقدام على ذلك، لكن هاجس هذه المرأة لم يفارقه "عادت خواطره تلح وصورة ماريا تتراءى له، وحنينه إليها يحرك الساكن من عواطفه نحوها. أيقن أنه لن يقوى على تركها إذا رآها ثانية. إنما، في حال كهذه يقول: "كيف أجمع بين الاثنتين في وقت واحد؟ ماريا وأم حسن، في بيت واحد ومدينة واحدة..."¹ لكنه سرعان ما تنازل عن هذه الفكرة واختار العودة إلى "أم حسن" ليجعلها شريكة عمره، أما احتمال لقاء "ماريا" فبقي وارداً على أمل أن يلقاها آخر مرة قبل زواجه، فمن بين كل النساء اللواتي عرفهن في موانئ المتوسط استأثرت هي بقلبه.

نلاحظ ظهور نفس الأفكار حول ارتباط بطل همنغواي "هنري" بالمرأة في بداية علاقته بكاترين؛ إذ يؤكد البطل بوضوح أن علاقته مع الممرضة وإعلانه حبها كان مجرد كذبة وكل ما قام به ليس إلا تمثيلية زائفة، وهذه التمثيلية تبدو صبيانية تقريباً في هذه المرحلة من قصته، ويظهر بطريقة ليست بالضرورة جذابة أو مثيرة للإعجاب، فزمن الحرب جعل العلاقات البشرية زائفة ذات طابع متفكك، وهذه الرواية من حيث الشخصيات والتوصيف؛ هي قصة الملازم فريديريك والطريقة التي ينمو ويتطور فيها من خلال الأحداث، ويعيش ويتعلم من أجل اللحاق بالممرضة "كاترين باركلي" وما يتعلق بالتجربة والحكمة التي تجلبها، إذن من المدهش أن نلاحظ أن كاترين هي أكثر الشخصيات نضجاً ووعياً.

كان على البطل أن يناضل من أجل مطابقة مستوى نضجها؛ إذ يصبح واضحاً بمجرد اجتماعهما أن كاترين مختلفة عنه، وتظهر مستويات النضج المتناقضة

1- حنا مينة، الشراع والعاصفة، ص330.

للشخصيات من خلال مواقفهم المختلفة تجاه الحرب كموضوع أساسي في الرواية، "فهنري" دائماً ما آمن بنهاية الحرب أو إعلان هزيمة أحد الطرفين، أما كاثارين وبسبب فقدان خطيبها لم تعد تؤمن بنهايتها، فقد انخرطت في عمل التمريض منذ بلغت الخامسة عشرة، واصطدمت بخيالها الساذج مع الواقع المرير للحرب ولم يعد خطيبها جريحاً بل مزقته القنابل.

في المقابل يؤكد الارتباط بالمرأة في رواية "الشرع والعاصفة" علاقة البطل بالجماعة وانصهاره داخلها، والزوجة "أم حسن" لم تقو على معارضة قرارات زوجها، لكنها تظهر خوفها من البحر عكس زوجها "أبو زهدي" لأنه يغدر بالرجال ويأخذهم إلى مصير غير معلوم، فيظهر الخوف من هذا السفر في البحر في قولها: " كل ما في الأمر أنني خائفة من البحر"¹، وتؤكد بأن البحر قد أبكاها وأرقها "آه من البحر آه من هذا العدو، آه منه كم حرمني النوم، وأسهرني وأبكاني"² حيث يصبح بيتها بيت ألم ودموع، فزوجة البحار تعيش على التضحية بمستقبلها ومستقبل أطفالها كلما تسلم زوجها للبحر، وهنا يصبح البحر عدواً لكل زوجة؛ فهن دائماً في حالة خوف وترقب، وهنا يظهر الألم الذي تعيشه امرأة البحار في تضحية وخوف.

يرتبط حديث الشخصيات مع الحركة والحدث وتفاعلها مع البطل؛ لإضائة جوانب أخرى من شخصيته، بالإضافة لتمييزه بصفات خلقية ومكانة مهيبة بين الناس، وتصفه "أم حسن" "إنه رجل مهيب، نصف رجال البلد تحسب حسابه، ومن يوم دخل البيت أدركتنا الحماية ورحمة الله"³ بالإضافة إلى توفير الحماية لمن حوله فهو لا يعطي أسراراً للناس، وهو بذلك رمز للأمان والحماية بالنسبة إلى زوجته.

1- حنا مينة، الشرع والعاصفة، ص353.

2- المصدر نفسه، ص315.

3- المصدر نفسه، ص114.

قدمت روايتنا "حنا مينة" بطلين غير متزوجين، حيث أُلجأ الكاتب ذلك حتى نهاية الروايتين، وتزوج كل منهما من فقيرتين اضطرتهما الظروف إلى ممارسة البغاء، وهنا نستخلص أن الأسرة قد تكون عائقاً في سبيل تقدم البطل وكفاحه، حيث تجمعهم صفة واحدة وهي عدم حب امرأة واحدة والاخلاص لها، فالطروسي مثلاً أحب نجوى وظل متعلقاً "بماريا" (إحدى عشيقاته)، أما "مفيد" فقد ارتبط "بليبية" التي اضطرت إلى مصارعة الحياة والكدح والنزول إلى قاع المجتمع لمزاولة الأشغال الشاقة، وهذا الكفاح ضد مصاعب الحياة إنما هو فعل طبيعي تلقائي صادر عن ذات واعية ملتزمة، حيث يصفها بالشجاعة في قوله: "أنت شريكة حياتي. وأنت شجاعة، ولا تخرج من فمك إذا طلبت منك ألا تخرج"¹.

قد تشترك نظرة البطل إلى المرأة مع بطل "همنغواي" هنري من خلال هذه الأوصاف حيث أكد هنري عدة مرات شجاعة "كاترين"، وهكذا جاء نمو شخصية بطل حنا مينة بارتباطه مع العديد من الشخصيات التي شاركت في تطور علاقاته الاجتماعية، إذ تحول من مفسد ومسبب للأذى إلى إنسان يأتي بالفائدة لمن يلتقي به، فبفضل "ليبية" أصبح في طريق الخير كما يقول: "ألا يكفي أنك أنقذتني من حياتي السابقة؟"² وبعد زواجه منها انطلقت حياته بطريقة لم يعد يفكر فيها بطعامه ولباسه؛ وتدبير شؤونه؛ وتبديد الوحشة التي كانت تخيم على حياته.

يمثل ارتباط البطل بالمرأة مرحلة من الراحة والاطمئنان، وفترة للهروب من مشاق الحياة، فحضور المرأة استدعى معاني الدفء والاحتواء والاستقرار، فكان شقاؤها بفعل وجودها معه وحيرتها وعطفها وترددتها؛ وكل ما تمثله كان يستأثر باهتمام البطل، كما نقصح بدورها عن طريقها في ممارسة دورها في الحياة، إذ وصف حنا مينة شخصية

1- حنا مينة، نهاية رجل شجاع، ص336.

2- المصدر نفسه، ص73.

المرأة بكل الصفات المعبرة عن الواقع الاجتماعي، فهي شخصية ناقشت أهم مشكلات العصر بطريقة واقعية، وفي الأخير يجدر بنا توضيح أن كل الصراعات التي خاضها الأبطال، أدت بالضرورة إلى ظهور تطور ملحوظ نقل كل من أثرت فيهم حياة الكفاح والارتباط بمن حولهم، من وضع سيء إلى ما يمكن أن يكون أفضل رغم أن لحظات الاستقرار لا تمتد زمناً طويلاً في حياة الإنسان المكافح.

يمكن القول إن أعمال حنا مينة جماعية من حيث أحداثها وليس من حيث المساحة التي تحتلها شخصيات أبطاله، فهذه الروايات تبدو لأول وهلة وكأنها تمجيد للرجولة والعمل الفردي مثلما تظهر أعمال همنغواي الذي ركز على فردية أبطاله ووحدهم، فالشيخ رغم حاجته للصبي إلا أنه صارع وحيداً، أما الملازم "هنري" فتظهر عليه بعض السمات الجماعية عند ارتباطه بأصدقائه؛ وفي العلاقة الوثيقة التي جمعتهم "بكاترين" وهي علاقة اكتسب بفضلها الشجاعة للتخلي عن كل شيء من أجل إنشاء أسرة معها، وهذا ما توضحه روايات حنا مينة كذلك، فهذه الروايات ما أن ندقق فيها ونتعمق في تسلسل أحداثها حتى نكتشف أن ما يقوم به البطل ليظهر كشخصية فردية ليس عملاً أو أحداثاً فردية، ولكنها أفعال تعبر عن روح الجماعة وتطلعاتها وآمالها وأحلامها وكفاحها الدائم.

من خلال ما سبق يتضح أن البطل يؤدي دوراً هاماً في الأعمال التي قمنا بدراستها؛ فيها اكتسب كل بطل حركية وقوة خاصة به، وهذا راجع لقدرة الكاتبين على رسم شخصياتهما حسب رؤيتهما الفكرية ونظرتهم للحياة وفلسفتهم الخاصة، فجعل كل كاتب بطله يعيش من أجل فكرة أو إنسان أو غاية معينة بالطريقة التي صممها له، ما جعله نقطة ارتكاز أفكار الكاتب وحامل رسالة قضية الكفاح الإنساني وطموح الحرية وتحدي ظروف الحياة لإثبات الوجود.

الخاتمة

لم يكن الخوض في موضوع الكفاح الإنساني أمراً هيناً، لكن ما يمكن استنتاجه أن الكفاح كان ولا يزال معيناً لبعض الكتاب يستقون منه موضوعاتهم، بما يعنيه من قيم وأفعال تجعل من فرد ما أو جماعة مميزين ضمن إطار رؤية الكاتب المبدع.

خرجنا بالنتائج التالية:

- حاولنا تكثيف جهودنا على جانب الكفاح الإنساني في أعمال الكاتبين ارنست همنغواي وحنا مينة لإيضاح مدى أهمية الإنسان وكفاحه.
- ارتأينا أن الدراسة لا تنتظم إلا بالتعرض لمفهوم الكفاح المشحون بالدلالات الواقعية في التراث البشري، وقد كان لذلك المفهوم دوره في التمهيد للحديث عن مظاهر الكفاح الإنساني عند الكاتبين، فيما يخص حياتهما الخاصة وأعمالهما الإبداعية.
- أطّرت أحداث حياتهما الغزيرة كفاح الأبطال في هذا المنحى، فاعتنينا بتصوير آلامهم وآمالهم وصراهم المستمر في الحياة.
- حمل الكاتبان على عاتقهما أعباء المرحلة التي نشأ فيها كل منهما، والتي تمثل المراحل الكبرى والمتغيرات الظرفية التي مرت بها.
- ارتبطت حياتهما وفنهما ارتباطاً (كلياً بالنسبة إلى حنا مينة وجزئياً بالنسبة إلى همنغواي) بالواقع الاجتماعي والسياسي وتداعياته.
- انتهى كل منهما إلى الاندماج مع الزمان والمكان واحتضان الحياة لكشف الهم الإنساني وتبنيه كقضية يعيش الكاتب لأجلها، فعالمهما الروائي هو عالم الإنسان في صراعه مع الطبيعة، وكفاحه المستمر في الحياة بكافة ظروفها.
- حاول حنا مينة تجاوز المواضيع الاجتماعية السائدة في مجتمعه، أما همنغواي فتمرد واحتج على الواقع، ويعود ذلك في الأساس إلى كون هذا الواقع دائماً ما يتمرّد على احتياجات الإنسان الأساسية.

- اتسمت أعمالهما بالبساطة التي تقربنا من فهم تحولات البطل والواقع الذي عاش فيه، مع الأخذ بعين الاعتبار التقارب في الزمان (زمن الحروب) وأحداثه الأليمة والاختلاف من حيث البيئة المنتجة للواقع الذي صورته الكاتبان.
- نستنتج أن الأعمال الأدبية التي بين أيدينا تمثل صورة للحياة، وقد حققت هذه الأعمال أهدافها بتقديم الواقع على نحو مقنع، وهذا الاقناع لم يكن باقترابه من الحقيقة الحرفية، وإنما بتشكيل رمزي دقيق لها.
- لاحظنا أن همنغواي لم يركز على مجتمع معين، إنما جاءت أعماله صورة لمغامراته ورحلاته وتجاربه في مختلف الأماكن، فجاءت رواياته تماشياً مع الظروف الاجتماعية الخاصة بكل بلد اختار وصفه.
- أما حنا مينة فكان من الكتاب المراقبين لمجتمعاتهم خاصة مشاكلها ومصائبها، لهذا كان من أولوياته التعبير في معظم أعماله عن أحوال سوريا وما ألم بشعبها جراء الاستعمار.
- تمتع حنا مينة بروح جماعية رسخت النضال من أجل أبناء وطنه فأبدع في خلق صور واقعية عن معاناتهم.
- يختلف حنا مينة عن همنغواي في هذا الجانب، لأن هذا الأخير تميز بالفردية وحب المغامرة وتقديس الرجولة والصلابية، مع التركيز في بعض الأحيان على وصف المجتمعات وتغيرات الواقع ودمار المدن.
- حاول كل منهما تحديد إشكالية الوجود والعقبات التي تعترض الإنسان في حياته، وإبراز موقفه من هذا العالم بشكل واضح.
- أراد همنغواي توضيح صراع الإنسان مع الوجود ومع الطبيعة والمجتمع (بشكل بسيط) أما حنا مينة فركز على هذا كله بشكل معمق خاصة الجانب الاجتماعي.

- من الواضح أن الكفاح الإنساني يتحقق في رواياتهما من خلال صراع الأبطال مع ما يحيط بهم، وهذا ما درسناه انطلاقاً من الصراع مع البحر الذي يتجلى دائماً كمصدر إلهام ورمز للحياة والصراعات بكافة أبعادها.
- انتقلنا إلى تبیین صور الصراع الاجتماعي في الفترة التي أرخت لها كل رواية، لنوضح طريقة همنغواي في التعامل مع الظروف الاجتماعية، والتي تختلف تماماً عن حنا مينة.
- يصف همنغواي صراع أبطاله الاجتماعي من خلال توضيح صور الاغتراب والتشرد والتأكيد على مظاهر الفقر والحرمان، وكذا المعاناة جراء الحرب (بالنسبة إلى بطله "هنري")، لكن أبطاله يحافظون على فرديتهم معظم الوقت.
- أما حنا مينة فقد تعمق إلى منابع المشاكل الاجتماعية التي واجهتها الشخصيات، كما ينطلق أبطاله بشكل فردي حتى يصلو إلى درجة من الوعي تقربهم من الجماعة وتربطهم بها.
- جاءت أعمال الكاتبين في قالب فني وأسلوب مميز ومشوق يعكس حال أفكارهما الخاصة، ويعري الواقع انطلاقاً من تصوراتهما المستمدة من واقع حياتهما اليومية.
- حاول كل كاتب أن يؤكد في غير موقع أن الإنسان لا يستطيع إلا أن يكون ذاته ولن ينقذه سوى كفاحه وصموده.
- لاحظنا من تجربتهما الإبداعية والكفاحية الفذة أن معظم ما كتباه في الأعمال التي بين أيدينا تركز على الكفاح والنضال والالتزام والشجاعة والإصرار؛ إذ حاولا رسمها بواقعية تتم عن رؤية مستقبلية للحياة ونفس شجاعة تطمح لتحقيق الأفضل.
- بعد التعمق في دراسة شخصية أبطال روايات الكاتبين تمكنا من تحديد ما قدماه من شخصيات؛ إذ جاءت بشكل أقرب من الواقع وبصورة مقنعة توضح طبيعة الوجود الإنساني.

- عكست رواياتهما العلاقات التي كانت سائدة آنذاك، والتي طبعتها صفة النبل والكرم والاحترام على الرغم من تفشي ظواهر القهر والاضطهاد، كما عكست حالة البؤس والفقر والحرمان والاغتراب.
- ولكي تظهر شخصية الأبطال بصيغة مقنعة كان لابد أن تكون متطورة ولها أبعاد تحددها، وهذه الأبعاد تتمثل في الدوافع والحوافز التي تدفعها للقيام بعمل ما، كما تحدد تصرفاتها من إشارة وحركة وصفات جسدية ونفسية واجتماعية.
- تتضح نقاط الاختلاف والتقارب بين أبطالهما من خلال الأبعاد التي حددها الكاتبان، كما لاحظنا أن كل كاتب أضاف بعداً عميقاً لأبطاله، حتى تكون شخصية كل بطل ذات تأثير مرتبط بأحداث وثيقة تؤثر فيه وتتأثر بحركته داخلها.
- نستنتج أن الكاتبين لم يهتما بأبعاد الشخصية فقط، إنما تم التعامل مع كل شخصية بأسلوب يؤدي في الأخير إلى توظيفها بطريقة بسيطة وواضحة، حتى تكتسب خاصية قد تجعلها تحقق أفكار الكاتب التي يطمح من خلالها إلى تحقيق بعض من التغيير في الأوضاع المحيطة به.
- يلتقي أبطال الكاتبين في جملة من الخصائص والصفات والتصرفات ولاسيما عند تعرضهم للظلم ووقوعهم في معاناة الاضطهاد، فيعلنون بذلك معارضتها ورفضهم لها، ويصارعون بكل قوة للإفلات من قبضة الواقع المرير، ويتطلعون في كل الأحوال والظروف إما إلى عيش أمثل أو إلى رفض للواقع القاسي.
- ما وجب توضيحه أن صورة هؤلاء الأبطال قد لا تكتمل إلا باندماجهم مع باقي الشخصيات، وذلك في حركية ترصد تحولهم من الفردية إلى الجماعية بطريقة تتماشى مع أحداث الرواية، نلخص ذلك في النقاط التالية:

- الارتباط بشخصية المرشد الذي يساعد البطل على اكتساب الوعي اللازم لمواجهة ظروفه، فمن خلال حركية صورة البطل يتضح مدى تطوره بفضل ارتباطه بمن حوله.

- ارتباط الشخصيات بالمرأة التي تمثل البيت الآمن والمساندة والدعم اللازم للاستمرار في الكفاح، ويمكننا استثناء "الشيخ سانتياغو" من هذا لأن علاقته الوطيدة كانت مع صبي وسمكة اكتسب منهما وعياً وقوة وثقة بالنفس، وهو في هذا يختلف عن باقي الأبطال لكنه يشترك معهم في تطور الوعي والتغير نحو الأفضل.

• انطلاقاً من هذا نجد أن عناصر الالتقاء بين ارنست همنغواي وحنا مينة أكثر من عناصر الاختلاف خاصة في موضوع الكفاح الإنساني والشجاعة والإصرار وحب الحياة وتحدي الموت والهزيمة.

• يرتبط الكاتبان بخيط ممتد يظل رابطاً بينهما هو الكفاح من أجل العيش الكريم، والنضال من أجل نصرة الحق وتحقيق الحرية.

• نستنتج في الأخير أن كل كاتب قد اهتم بتصوير بطولة الإنسان التي لا تتحقق إلا بتصوير كفاحه وإنسانيته، لأن كل بطل عاش في مجتمع دمرته الحروب.

• أكد الكاتبان على خلو أعمالهما من علامات الاستسلام والهزيمة، وجاءت قريبة نوعاً ما من الإنسان وواقعه في زمن الصراعات، وانطلق كل كاتب من فلسفته الخاصة فكان لذلك أثر كبير في تقوية الوعي بالواقع.

وفي الأخير لا نزع أننا استوفينا مساحة البحث، بل سيظل موضوع الكفاح الإنساني متسع الآفاق، قابلاً لمزيد من البحث والتقصي والاجتهاد، وطرح الأسئلة بحثاً عن إشكاليات جديدة.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

* الروايات باللغة العربية والأجنبية:

- 1- ارنست همنغواي، أن تملك وألا تملك، ت: سمير عزت نصار، دار النسر، عمان/الأردن، ط2، 1996.
- 2- البحر والقدر، ت: نديم مرعشلي، شركة الكتاب اللبنانية اللعازرية، لبنان، دط، دت.
- 3- سيول الربيع، ت: محمود قدري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، دط، دت.
- 4- الشيخ والبحر، ت: سمير عزت نصار، الأهلية للنشر، الأردن، ط1، 2002.
- 5- الفراشة والدبابة وقصص أخرى، ت: ماهر البطوطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2011.
- 6- لمن تفرع الأجراس؟، ت: خيرى حماد، مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، 1990.
- 7- Ernest Hemingway, A Farewell to Arms, A Triad Panther book, Granada, London, 1977.
- 8- For Whom the Bell Tolls, Panther Books, Granada, London, 1976.
- 9- The First Forty-nine Stories, Jonathan Cape, London, second impression, March 1946.
- 10- (Fiesta) The Sun also rises, A etraid panther books, Granada, London, 1976.
- 11- حنا مينة، الأبنوسة البيضاء، مجموعة قصصية، دار الآداب، بيروت، ط3، 1981.
- 12- بقايا صور، دار الآداب، بيروت. لبنان، ط8، 2008.

- 13- الشراع والعاصفة، دار الآداب، بيروت- لبنان، ط9، 2006.
- 14- القطاف، دار الآداب، بيروت، ط1، 1986.
- 15- المستقع، دار الآداب، بيروت، ط1، 1977.
- 16- نهاية رجل شجاع، دار الآداب، بيروت، ط5، 2007،
- 17- الياطر، دار الآداب، ط3، 1984.
- أعمال خاصة بحنا مينة:
- 1- حنا مينة، أدب الحرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، دط، 1995.
- 2- أشياء من ذكريات طفولتي (ذكريات في رواية)، دار الآداب، بيروت، ط1، 2010.
- 3- أيام تشرينية، المعرفة، سوريا، العدد 152، 1 أكتوبر 1974.
- 4- بعد أن بلغت التسعين شتاءً، المعرفة، سوريا، العدد 592، 1 يناير 2013.
- 5- الجسد بين اللذة والألم، الهيئة العامة السورية، دمشق، 2012، ط1.
- 6- السيرورة والحقيقة، مجلة مواقف، لبنان، العدد 69، 1 نوفمبر 1992.
- 7- شهادة مذكورة، مجلة الطريق، عدد 3-4، 1981.
- 8- القلم والأدب والبيئة، عالم المعرفة، سوريا، العدد 380، 1 مايو 1995.
- 9- رسالة إلى امرأة... نسيت اسمها، مكتبة الأسد، دمشق، دط، 2008.
- 10- الرواية والتجريد الذهني، المعرفة، سوريا، العدد 375، 1 ديسمبر 1994.
- 11- الرواية والروائي، دار البعث، دمشق، ط1، 2004.
- 12- الكتابة والاستئناف ضد ما هو قائم، مجلة فصول، مصر، العدد 3، 1 يوليو 1992.
- 13- كيف حملت القلم، دار الآداب، بيروت، ط1، 1986.
- 14- هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، 1982.

15- هواجس في التجربة الروائية، عالم المعرفة، العدد 229، 1 مارس 1981

2- مراجع باللغة العربية:

- 1- أحمد سيد محمد، الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1989.
- 2- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ط4، 1987.
- 3- أحمد محمد عطية، أضواء جديدة على الثقافة العربية، دار الكتب، القاهرة، ط1، دت.
- 4- ثائر سمير حسن الشمري، أبحاث نقدية، دار الرضوان، عمان، ط1، 2014.
- 5- حسام الناييف، لواء إسكندرونة حكاية وطن سلب عنوة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013.
- 6- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
- 7- حميد لحميداني، سحر الموضوع (عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر)، أنفو. برانت، المغرب، ط2، 2014.
- 8- خالد الغربي، التناقض والوحدة في رواية المستنقع لحنا مينة، وزارة الثقافة، دمشق، 1995.
- 9- رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، دار المعارف، بيروت، ط1، 1983.
- 10- سعدون حمادي وآخرون، دور الأدب في الوعي القومي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1980.

- 11- شاعر النابلسي، مباحج الحرية في الرواية العربي، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1992.
- 12- صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.
- 13- طه حسين وآخرون، دراسات في الأدب الأمريكي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة/نيويورك، دط، دت.
- 14- طه عمران وادي، الرواية السياسية، لونغمان، القاهرة، دط، 2002.
- 15- طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1992.
- 16- عبد القادر أبو شريفة، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر العربي، عمان، ط4، 2008، ص24.
- 17- عدنان بن ذريل، الرواية العربية السورية، دراسة نفسية، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، دط، 1973.
- 18- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، دط، دت.
- 19- علي حرب، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 20- علي عبد الفتاح، أعلام في الأدب العالمي، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 1999.
- 21- علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، دط، 2015.
- 22- غالب هلسا، أدباء علموني... أدباء عرفتهم، دار التنوير العلمي، عمان، ط1، 1966.
- 23- غالي شكري، أدب المقاومة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.

- 24- محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية النشأة والتحول، مكتبة التحرير، بغداد، 1986.
- 25- محمد الباردي، حنا مينة كاتب الكفاح والفرح، دار الآداب بيروت، ط1، 1993.
- 26- محمد كامل الخطيب وآخرون، عالم حنا مينة الروائي، دار الآداب، بيروت، ط1، 1979.
- 27- مجموعة كتاب، حنا مينة كتابة البحر... بحر الكتابة، جائزة محمد زفزاف للرواية العربية، مؤسسة منتدى أصيلة، الدورة الرابعة، 2010.
- 28- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار - الدقل - المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011.
- 29- نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، مركز الكتب الأردني، الأردن، ط1، 1995.
- 30- نجوى الريحاني القسنطيني، الأبطال وملحمة الانهيار (دراسة في روايات عبد الرحمن منيف)، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
- 31- نزيه أبو نضال، أدب السجون، دار الحداثة، ط1، 1981.
- 3- مراجع باللغة الأجنبية:
- 1- Argentina Velea, war symbolism in Hemingway's works, Facultatea de relatii Economice Internationale, Universitatea Crestina «Dimitrie Cantemir».
- 4- مراجع مترجمة:
- 1- ارون إدوارد هوتشنر، بابا همنغواي "مذكرات شخصية"، ت: ماهر البطوط، دار الآداب، بيروت، ط1، دت.

- 2- آلان روب جرييه، نحو رواية جديدة، ت: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1998.
- 3- ألفريد كازن، دراسات في أعلام الأدب الأمريكي، ت: أمير كامل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1989.
- 4- باتريك بينو، أبطال الرواية الحقيقيون مشهورون مغمورون، ت: قاسم المقداد، دار نينوى، دمشق سوريا، 2010.
- 5- تيري إيجلتون، الماركسية والنقد الأدبي، ت: جابر عصفور، منشورات عيون، الدار البيضاء، ط2، 1986.
- 6- جون ديوى، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ت: محمد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة - نيويورك، ط1، 1963.
- 7- جيسي ماتز، تطور الرواية الحديثة، ت: لطيفة الدليمي، دار المدى، بغداد، ط1، 2016.
- 8- كولن ولسون، فن الرواية، ت: محمد درويش، مكتبة بغداد، ط1، 2008.
- 9- لوسيان جولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ت: بدر الدين عردوكي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 1993، ص 21-24.
- 10- نبيل الشريف وآخرون، روائع الأدب الأمريكي، ت: جلال أسمر، الأهلية، الأردن . بيروت، ط1، 2010.
- 5- المعاجم والقواميس:
 - 1- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر (نسخة إلكترونية)، مؤسسة الغني للنشر، ط1، 2013.
 - 2- مجموعة من اللغويين، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

- 3- منير البعلبكي، المورد الحديث (قاموس إنجليزي عربي)، دار العلم للملايين، لبنان، 2008.
- 4- معجم المعاني الإلكترونية: [/https://www.almaany.com](https://www.almaany.com)
- 5- Paul Robert, Le petit robert 1, avenue Parmentier, Paris, 1986.
- 6- P.H Collin, Easier English student dictionary, upper intermediate level, Bloomsbury, second edition.
- 5- المجلات والدوريات:
- * باللغة العربية:
- 1- ألفريد كازن، همنغواي... خلاصة عمل، ت: يوسف عبد المسيح ثورة، الأديب، لبنان، العدد 12، 1 ديسمبر 1964.
- 2- ألينا كوسيفا، همنغواي كما يراه ناقد سوفيتي، ت: عبد المجيد عبد الرحمن، الأقاليم، العراق، العدد 9، 1 سبتمبر 1974.
- 3- آنا ميشكينا، إرنست همنغواي الإرث القاتل، ت: هاشم حمدي، الثقافة العالمية، الكويت، العدد 99، 1 مارس 2000.
- 4- إيفان كاشكين، إرنست همنغواي: حي وسط الموت!، ت: سمير عزام، مجلة الآداب، العدد 9، 1 سبتمبر 1961، ص 18.
- 5- بوسلهام القط، إشكالية مفهوم الحرب من خلال بعض الأعمال الأدبية العربية، مجلة كتابات، المغرب، العدد 15، شتاء 2009.
- 6- جابر عصفور، فجر الرواية العربية ريادات مهمشة، مجلة فصول، مصر-القاهرة، المجلد 16، العدد 4، ربيع 1998.

- 7- دوروثي براندي، لياقات الكتاب، ت: فريق ضاد/غزة، دار كلمات، الكويت، ط1، 2015.
- 8- سمير قطامي، هزيمة حزيران وأثرها في الرواية الأردنية، مجلة فصول، مصر، العدد 4، 1 أكتوبر 1997.
- 9- سهيل إدريس، البطولة في الرواية العربية الحديثة، مجلة الفكر، لبنان، العدد 5، 1 مايو 1959.
- 10- شكري الماضي، الدلالة الاجتماعية في روايات حنا مينة، مجلة فصول، العدد 4/3، مصر، 1 يوليو 1989.
- 11- فوزي الحاج، عناصر الفن الروائي عند نيكوس كزانتزافي، مجلة العلوم الإسلامية، غزة، المجلد السابع، العدد الأول، يناير 1999.
- 12- لطفي صديق أحمد، إرادة الكفاح بين همنغواي واكسوبري، المجلة، مصر، العدد 160، 1 أبريل 1970.
- 13- مبارك ربيع، حنا مينة روائي ينحت من صخر (حنا مينة كاتب البحر... بحر الكتابة).
- 14- محمد أديب العامري، الحياة والكفاح، مجلة الأديب، لبنان، العدد 1، 1 يناير 1966.
- 15- مريم عبد الباقي، ارنست همنغواي 1898-1961، البيان الكويتية، الكويت، العدد 25، 1 أبريل 1968.
- 16- مصطفى الأشرف، الكفاح السياسي والثقافة، مجلة الفكر، تونس، العدد 4، 1 يناير 1963.
- 17- نجاح العطار، الطروسية وعالم حنا مينة الروائي، المعرفة، العدد 146، سوريا، 1 أبريل 1974.

*** باللغة الأجنبية:**

- 1- Friends of the Ernest Hemingway Collection, John Fitzgerald Kennedy Presidential Library and Museum, Columbia Point, Boston, Summer 2010.
- 2- Karen Zraick, Hanna Mina, Syrian Novelist Who Chronicled the Poor, Dies at 94, The New York Times, Aug 21, 2018.
- 3-George Plimpton, Ernest Hemingway the art of fiction, the Paris Review, NO.21, Madrid, May 1954.
- 4- Matthew Haag, A Hemingway War Story Sees Print for the First Time, The New York Times, Aug 2, 2018.
- 5- Muhsin Jassim Ali, The Socio-Aesthetics of Contemporary Arabic Fiction: An Introduction, Journal of Arabic Literature, published by Brill, Netherland, Vol. 14, 1983.
- 6- Virginia Woolf, Modern novels (Character in Fiction 1919 in the essays of Virginia Woolf), ed Andrew McNeillie (san Diego: Harcourt Brace Jovanovich, 1986), vol 3.

6- الرسائل والأطروحات:

- 1- سبع لمين، فلسفة الموت عند أرنست همنغواي، إشراف: ربيعة جلطي، رسالة ماجستير آداب أجنبية، جامعة الجزائر، 2010/2009.
- 2- عبد الكريم كريمي، همنغواي والرواية العربية - دراسة مقارنة - (من خلال بعض النماذج)، إشراف: عبد القادر بوزيدة، أطروحة دكتوراه دولة، أدب مقارن، جامعة الجزائر 2، 2010/2011.
- 3- علي منصوري، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة، أطروحة

دكتوراه، إشراف: محمد العيد تاروتة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008/2007.

4- Joseph Michael Defalco, The theme of individuation in the short stories of Ernest Hemingway, Degree of doctor of philosophy, university of Florida, June 1961.

5- Mansour M.A. Dhabab, Representations of the Western Other In Early Arabic Novels (1900-1915), Ph.D thesis, University of Leeds school of modern languages and cultures, 2005.

6- Samantha Ehlinger, Hemingway: Never a kept man, thesis for Departmental Honors in the Department of English Texas Christian University Fort Worth, Texas, May 4, 2015.

7- مواقع إلكترونية:

1- A Group of writers, Hemingway 's Oak park roots, The Ernest Hemingway foundation of oak park, H-E Birthplace Museum, Oak Park avenue, 2018, hemingwaybirthplace.com

2- Emily Temple, 20 Famous Author's adorable school photos, Flavorwire.com, September 6, 2012, (Pinterest App)

3- Ernest Hemingway 1950, Plaza de toros, Pinterest.com (Pinterest App).

4- History.com Staff, July 08, 1918: Ernest Hemingway Wounded on the Italian Front, dingeengoet.blogspot.com, Wednesday, July 8, 2015.

5- I intend to travel and write/ Ernest Hemingway, 1908, cocosse-journal.org, 2013.

6- R. Milhem, Great Syrian writer Hanna Mina dies at 94, SANA Syrian Arab News Agency, 21 August, 2018, <https://sana.sy/en>.

7- Mark nayler, Life, death, Love, and war Ernest Hemingway (1899-1961), SURinEnglish.com, 17/01/2017.

8- Nobel Prize, (الموقع الرسمي لجائزة نوبل)

<https://www.nobelprize.org/prizes/literature/1954/summary>.

9- SANA الوكالة العربية السورية للأنباء، <https://www.sana.sy>، 21 أوت 2018.

8- المقابلات:

1- لقاء مع الأستاذ واسيني الأعرج، جامعة الجزائر 2، بتاريخ 28 أكتوبر 2018، الساعة 11:30.

2- (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينة)، لقاء تلفزيوني على قناة FRANCE24، <http://f24.my/youtub.AR>، 21 أوت 2018.

ملخص
باللغة الإنجليزية
« Abstract »

Ministry of Higher education and scientific research
University « Abou lkacem saadallah » Algiers 02
Arabic language & literature & oriental languages Faculty
Department of Arabic Language and literature

**The Human Struggle in
Ernest Hemingway's & Hanna Mina's works
A Comparative Study (Through some Examples)**

Thesis Submitted in fulfilment of the Requirements for the degree of
Doctorate LMD

Speciality : Comparative Literature

submitted by :

Siham Mostefaoui

Supervised by :

Dr- Krimi Abdelkrim

Academic Year :

2017/2018

Abstract:

There is an intense struggle at the center of Ernest Hemingway's and Hanna Mina's novels that tackles the world of Man and his struggle with his society and history. The two writers under study struggled to write about it because its concern is more than just an experience of life. They always picture the writer as a swimmer and their life as an ocean within which he swims. For that reason, their books begin to talk about waves, but end up being about human struggle.

Though Ernest Hemingway lived a perfect life, ranging from traveling to reading and from being close to nature to adventures, but it was not that perfect because he faced many accidents and challenges too. because he apprenticed himself to learn about «blood sports». He was interested in his carrier as a soldier, so he learned about military tactics from career soldiers met in World War one, bullfighting from Spanish matadors, big-game hunting from a guide in Africa...

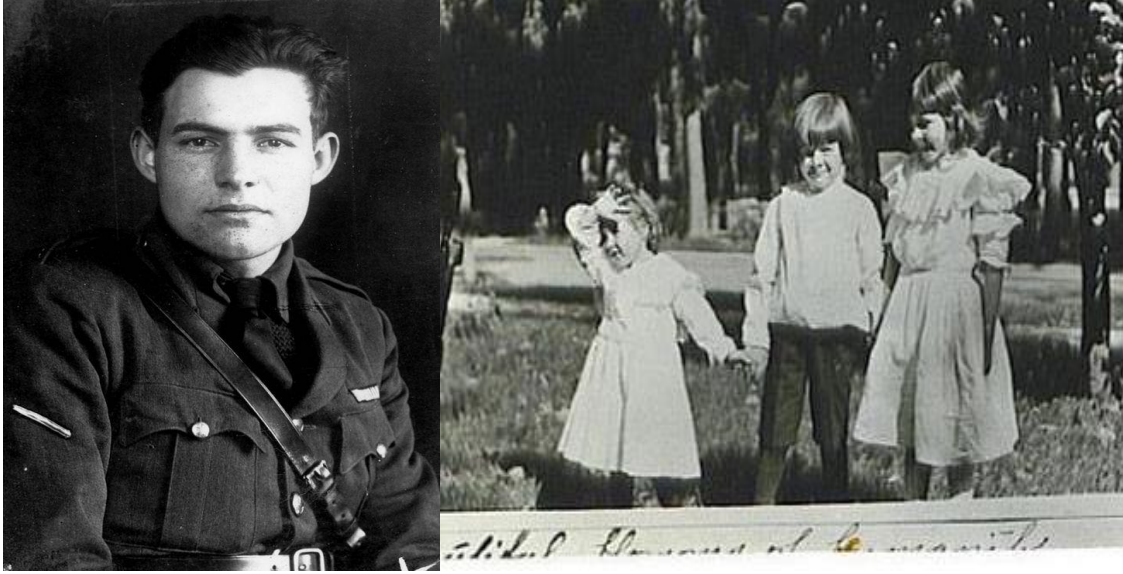
As for the eminent Syrian novelist Hanna Mina, he said that his writings explored «human suffering and joy»; There-fore his early novels belonged to the movement of social realism and focused on class conflicts. His later works contain a symbolic analysis of class differences and his concentration on the suffering of ordinary people was partly inspired by his own experiences, alternately

working as a stevedore, barber, and journalist... that is why Hemingway always took the side of poor people than the rich ones; in addition, he was against corruption.

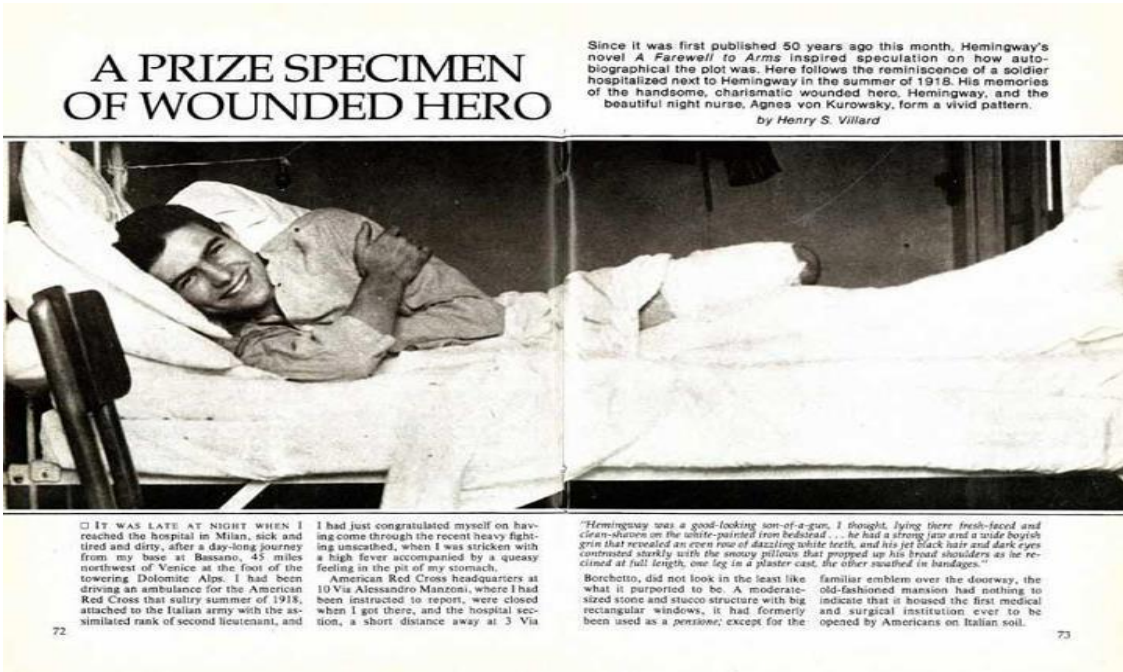
To sum up, Hemingway and Hemingway's work is full of themes of violence, darkness, and death linked with the perpetual struggle, courage, and hope. This is illustrated by presenting a realistic picture of the modern human predicament during the war period. Each of them presented their continuing interests with values and ethics in a corrupt and brittle world. The heroes are portrayed mainly as single individuals inside a battle against the possibilities of life with courage and strength to preserve their dignity. Thus, there is a concrete human struggle in their work.

الملاحق

الملحق 01: "ارنست همنغواي" (1899-1961)



*همنغواي بعمر 6 سنوات مع أخته أورسولا ومارسلين في أول يوم مدرسة، 1905.



*- Emily Temple, 20 Famous Author's adorable school photos, Flavorwire.com, September 6, 2012, (Pinterest App)

* همنغواي بزي الهلال الأحمر خلال الحرب العالمية الأولى، وصورته وه وجريح بمستشفى ميلان بإيطاليا (أين استوحى روايته وداعا للسلح)، ثم صورته وهو يحمل شهادة تخرجه من الثانوية قبل تطوعه في الحرب.



* في حلبة الثيران (plaza de Toros) سنة 1950.

* مع الجنود الشعبيين في جبهة الأراغون سنة 1937.

*- History.com Staff, July 08, 1918: Ernest Hemingway Wounded on the Italian Front, dingeengoet.blogspot.com, Wednesday, July 8, 2015

*- Mark naylor, Life, death, Love and war Ernest Hemingway (1899-1961), SURinEnglish.com, 17/01/2017, 10:12.

*- Ernest Hemingway 1950, Plaza de toros, Pinterest.com (Pinterest App).

1- الكاتب ارنست همنغواي:

حاولنا فيما سبق استعراض أهم ملامح الكفاح عند همنغواي من خلال حياته الشخصية وبعض أعماله، وبقي أن نعرف قليلا بعد عن همنغواي كشخص، فهو من الفنانين الذين يتحد أدبهم مع شخصياتهم، وكلما تعرفنا على شخصيته نلقي الضوء على أعماله، فأولى أساسيات شخصيته هي الشجاعة العضلية والصلابية التي تحتل مكاناً هاماً في أدبه، كما أنه بدأ حياته بالكتابة للصحف، فعمل مخبراً صحفياً في شيكاغو، ومراسلاً حربياً في تركيا، له مقالات سياسية عن العلاقات بين فرنسا وألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى، وأخرى في مجلتي اسكوير ولأيف عن الصيد في أعماق البحر، كما أنه بدأ مشواره الأدبي بكتابة الشعر واستمر في نظم القصائد من حين إلى آخر حتى آخر أيامه، نقل همنغواي دقته التصويرية في الشعر إلى الصورة الفنية في رواياته وقصصه.¹

كما سبق وبيّنا أن سبب استعمال همنغواي الحقيقة على هيئتها الأصلية هي تجاربه الشخصية، ولم يكتب إلا عما عاشه ويعرف تفاصيله، واستطاع في حدود تجربته الثرية أن يخلق عالماً اشترك فيه الخيال بطريقة لا تغير من فحوى الحقيقة، يرى بعض النقاد "أن همنغواي كاتب عملاق صنع من نفس العجينة التي صنع منها تولستوي وبلزاك وغيرهما من العمالقة"².

ونحن هنا لسنا بصدد ذكر كل خطوات حياته بل يجدر أن نشير إلى القضايا الرئيسية منها، لأنه كأى شخص يحتل هذه المكانة الرفيعة والحياة المليئة بالمغامرات قد تروى عنه قصص يصعب تصديقها، لكن ما لا شك فيه هو شجاعته وبراعته في

1 - ينظر: رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص 137.

2 - المرجع نفسه، ص 137.

الصيد والرماية والملاكمة... يلاحظ أن همنغواي "قد عاش أكثر حياته في أماكن نائية ومنعزلة... اعتمد على البريد كوسيلة للاتصال بأصدقائه... فقد ترك إلى جانب إنتاجه الوفير من القصص والروايات، مجموعة ضخمة من الرسائل التي كشفت عن خبايا نفسه، ولم يكن ينتظر أن تنشر بعد وفاته"¹، أكد في أيامه الأخيرة رغبته في التوقف عن الكتابة حين كتب إلى صديقه هارفي بريث، رئيس تحرير مجلة "نيويورك تايمز" للكتاب وقال: "ربما سيكون من الأفضل ألا أنشر أي شيء آخر... فمن الأسهل أن أترك بعض الأشياء لوقت مماتي."²

2- أهم أعماله:

حقق همنغواي نجاحه بكونه شاهداً على عصره وأشهر كتاب زمانه، وقد "تجاوز توزيع بعض كتبه في حياته مليون نسخة، وتحول 11 منها إلى أفلام سينمائية، وربما ساعد على هذا توثيق همنغواي في رسم خارطة حياته، وتحويلها إلى سلسلة تجارية، أجاد تسويقها مع كتبه، وفي هذا لا يغفل عن ثقافة همنغواي، ونجاحه كما كان يفاخر دائماً، في تعظيم نفسه، وقد ترك همنغواي في مكتبته 5800 كتاب³

تعتبر رواية "وداعاً للسلح" الصادرة عام 1926 "من أجمل الروايات التي تصور فظائع ودمار الحروب، وقد نجح فيها همنغواي نجاحاً كبيراً في تصوير الاندحار الشهير أمام الجيوش النمساوية والألمانية، وقد قدمت وداعاً للسلح" على

1 - ينظر: رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص141.

2- Matthew Haag, A Hemingway War Story Sees Print for the First Time, The New York Times, Aug 2, 2018.

3 - رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص136.

مسارح نيويورك، ولكنها لم تتجح، وباعها همنغواي لهوليوود لقاء 240000 دولار. ولكن هوليوود غيرت خاتمتها إلى خاتمة سعيدة.¹

نشر روايته القصيرة "الشيخ والبحر" سنة 1952، التي تعتبر "من أفضل أعماله، وقد أشاد بها النقاد، ولاقت نجاحاً كبيراً عند القراء، وتصور كفاح الإنسان أمام الغوائل التي تواجهه واستمراره في مكافحتها في قوة وشجاعة"²، استحق همنغواي بفضلها جائزة نوبل في الأدب عام 1954م، "منحت جائزة نوبل في الأدب لأرنست همنغواي لسيادته في فن السرد والتي تدل عليها رواية "الشيخ والبحر"، ولما له من تأثير في الأسلوب المعاصر"³، ولعل هذا النص المنقول عن لجنة جائزة نوبل يوضح مدى عظمة المكانة التي وصل إليها الكاتب الأمريكي بين الكتاب عبر أنحاء العالم في السرد، كتب همنغواي العديد من الأعمال الفنية نذكرها فيما يلي:

* القصص القصيرة - Short stories:

- ثلاث قصص وعشر قصائد 1923.

- Three Stories & Ten Poems, Paris: Contact, 1923.

- في زماننا 1924-1925.

- In our time, Paris: Three Mountains Press, 1924.

- In Our Time, New York: Boni & Liveright, 1925.

- رجال بلا نساء 1927.

- Men Without Women, New York: Scribners, 1927.

- الفائز لا ينال شيئاً 1933.

1 - رؤوف سلامة موسى وآخرون، همنغواي حياته وجيله المفقود، ص144.

2 - المرجع نفسه، ص118.

3 - <https://www.nobelprize.org/prizes/literature/1954/summary/>

(الموقع الرسمي لجائزة نوبل)

- Winner Take Nothing, New York: Scribner, 1933.
- الطابور الخامس والتسعة وأربعون قصة الأولى 1938، أعيد نشرها بعنوان قصص
ارنست همنغواي القصيرة 1954.
- The Fifth Column and the First Forty-nine Stories, New York:
Scribners, 1938, Republished as The Short Stories of Ernest
Hemingway (1954).
- ثلوج كليمنجارو وقصص أخرى 1961.
- The Snows of Kilimanjaro and Other Stories, New York:
Scribner, 1961.
- الحياة القصيرة والسعيدة لفرانسيس ماکومبر وقصص أخرى 1963.
- The Short Happy Life of Francis Macomber and Other Stories,
Penguin, 1963.
- قصص همنغواي الأفريقية 1969.
- Hemingway's African Stories: The Stories, Their Sources, Their
Critics / compiled by John M. Howell, Scribner, 1969.
- قصص نك آدمز 1972.
- The Nick Adams Stories / preface by Philip Young, New York:
Scribners, 1972
- المجموعة الكاملة لقصص ارنست همنغواي القصيرة 1987.
- The Complete Short Stories of Ernest Hemingway, New York:
Scribners, 1987

*** الروايات – Novels:**

- سيول الربيع: ت: محمود قدری، دار الحوار، اللاذقية- سوريا، 1985.

The Torrents of Spring: A Romantic Novel in Honor of the Passing of a Great Race. – New York: Scribners, 1926.

- الشمس تشرق أيضاً، ت: سمير عزت نصار، دار النسر، عمان، الأردن، دت.

The Sun Also Rises. – New York: Scribners, 1926. – Republished as Fiesta (London: Cape, 1927)

- وداعاً للسلاح، ت: رفعت نسيم، دار القلم، بيروت – لبنان، 1972.

A Farewell to Arms. – New York: Scribners, 1929.

- أن تملك وألا تملك، ت: سمير عزت نصار، دار النسر، الأردن، 1996.

To Have and Have Not. – New York: Scribners, 1937.

- لمن تقررع الأجراس، ت: خيرى حماد، مكتبة الحياة، لبنان، 1983.

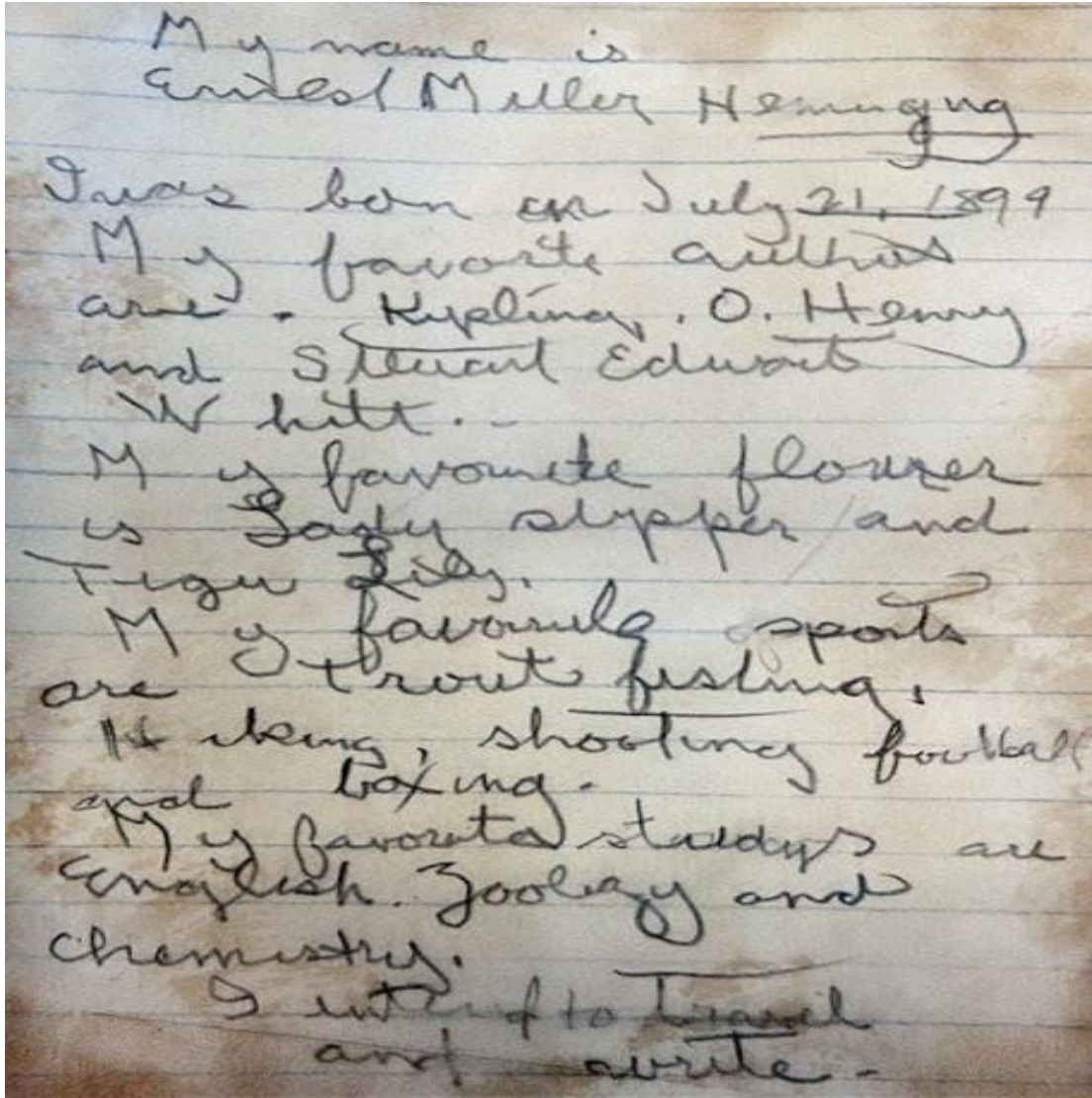
For Whom the Bell Tolls. – New York: Scribners, 1940.

- عبر النهر ونحو الأشجار، ت: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، لبنان، 1980.

Across the River and Into the Trees. – New York: Scribners, 1950

- الشيخ والبحر، ت: غبريال وهبة بعنوان العجوز والبحر، الدار المصرية اللبنانية، مصر 1998.

وغيرها العديد من الأعمال والمقالات التي رسخت مكانته كأديب عالمي مميز، فقد كان يطمح أن يكون كاتباً منذ الصغر وما يوضح ذلك رسالته التي كتبها بعمر 9 سنوات، يوضح فيها أن كتابه المفضلين هم "كيبيلين، هنري وستيوارت، إدوارد وايت"، ورياضاته المفضلة هي صيد السلمون المرقط، ورياضة المشي، والقنص وكرة القدم والملاكمة، ويوضح رغم صغر سنه أنه يطمح للسفر والكتابة، وهذا بالتحديد ما جاء في نص الرسالة:



"My name is Ernest Miller Hemingway. I was born on July 21, 1899.
My favorite authors are Kipling, O. Henry and Stuart Edwards White.
My favorite flower is lady slipper and tiger lily.
My favorite sports are trout fishing, hiking, shooting, football and boxing.
My favorite studies are English, zoology and chemistry.
I intend to travel and write."

Ernest Hemingway, Age 9, 1908*

*- I intend to travel and write/ Ernest Hemingway, 1908, cocosse-journal.org, 2013, 12 :47

الملحق 02: الكاتب السوري "حنا مينة" (1924 - 2018).



* - خليل صويلح، "حارس الشقاء والأمل" تفتح وعيه الثوري في أحياء اللاذقية، جريدة الأخبار الإلكترونية، الجمعة

24 آب 2018، El-akhbar.com

1- لمحة حول الكاتب:

تحمل حنا مينة الشقاء منذ الصغر، وتمرس بالعمل السياسي الوطني في شبابه، وحمل القلم ونضج بالحكمة كهلاً، انطلاقاً من هذه القناعات حمل مينة القلم مناضلاً: "لقد تعلمت في سن مبكرة أن أكتب عن الناس للناس، أن أكتب عن بعضهم لكلهم"¹ يصور في كتاباته معظم مراحل حياته التي نلمح خلالها شقاء الطفل وشقاوته، مثلما نرى كفاح المناضل السياسي المندفع نحو طموحاته، فتمتج بذلك حكمة الحياة وجنونها، عبوسها ومرحها في ثنایا أعماله المميزة، ويحدد نفسه ككاتب واقعي اشتراكي لكن الأستاذ "واسيني الأعرج" يعتقد أنه يتخطى ذلك وهذا ما ننق عليه، "فهو أقرب إلى الواقعية في المذهب الأوروبي، أي ليست الواقعية المغلقة على مفاهيم إيديولوجية، بل المنفتحة على الحياة بكل اتساعها"²، حيث يهتم فيها الأديب بقضايا المجتمع ومشاكله، ويركز على جوانب الشر والفساد والجريمة، فينتقده بالاعتماد على أسس الواقعية الانتقادية ويوضح تناقضاته وعيوبه، وقد يعتبر الشر في نظره عنصراً أصيلاً في الحياة.

والتفرد الذي اختص به هذا الكاتب من بين الروائيين العرب المعاصرين حسب رأي شاعر النابلسي أنه لم يكن الروائي الذي جاءنا من الجامعة مثل نجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهم، ولم يكن ممن درس الفلسفة أو الأدب وفنونه، كما لم يدرس الاقتصاد والسياسة في الجامعات العلمية الغربية، فقد كان المجتمع العربي والسوري وتجاربه فيه هو ما قاد مركب فنه الكتابي الفريد من نوعه، فقد "عاش حياته شريداً مشرداً، مطروداً مطارداً، غاضباً مغضوباً عليه... طيلة أكثر من أربعين عاماً داخل وطنه وخارجه، ومن خلال كل هذا العناء، كتب حنا مينة رواياته بدءاً بالرواية الأولى (المصابيح الزرق

1 - حنا مينة، كيف حملت القلم، ص25.

2 - (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينة)، لقاء تلفزيوني.

(1954)... إلا أن بدء انطلاقته الروائية الحقيقية، كانت عندما كتب روايته الثانية (الشرع والعاصفة 1958)..¹

من جهة أخرى فهو مبدع شديد العناية بالقضايا الوطنية والقومية والاجتماعية والإنسانية والحضارية في إبداعاته الكثيرة، حيث كشفت "الشرع والعاصفة" عن "النضالية العمالية ومواجهتها للإقطاعية داخل الوعي الإنساني، وتجلت الشخصيات النموذجية في نزعتها القصصية المرتبطة بزمانها ومكانها، وبمجتمعها وطبقتها ومهنتها نفسها، وتميزت... باصطناعها أساليب التحليل غير المباشر من تداعي الخواطر والأفكار والحديث الداخلي"².

وهذا ما جعله من أبرز الكتاب لأنه "قام بتأريخ حياة الفقراء والمضطهدين في العشرات من كتبه، وهو واحد من الروائيين الأوائل الذين استخدموا أسلوب الواقعية الاجتماعية، وتوفي بدمشق عن عمر يناهز 94 سنة"³، حيث أثار تاريخ وفاته جدلاً واسعاً حتى تم تأكيد من قبل وزارة الثقافة السورية على القنوات الفضائية الرسمية بتاريخ 21 أوت 2018، فأعلنت وكالة سانا SANA العربية السورية للأنباء خبر وفاته صبيحة الثلاثاء إثر معاناة طويلة مع المرض، وهذا الأديب الراحل يعد أحد أهم رموز الرواية في العالم العربي... حيث تتبأ أن الرواية ستشغل مكانة كبيرة لدى العرب وستصبح ديوانهم⁴.

1 - شاعر النابلسي، مباحج الحرية في الرواية العربية، ص 420.

2 - عدنان بن ذريل، الرواية العربية السورية، دراسة نفسية، مطبعة الآداب والعلوم، دمشق، 1973، ص 170.

3- Karen Zraick, Hanna Mina, Syrian Novelist Who Chronicled the Poor, Dies at 94, The New York Times, Aug 21, 2018.

4 - ينظر: SANA الوكالة العربية السورية للأنباء، <https://www.sana.sy>، 21 أوت 2018.

كان هذا الإعلان مخالفاً لوصيته وقراره الذي حدده بدقة، حيث "نعت وزارة الثقافة الكاتب حنا مينة أحد أعظم الكتاب والروائيين العرب، حيث كتب أكثر من أربعين رواية خلال نصف قرن، والتي تناولت مواضيع الاستغلال والجشع واضطهاد المرأة... وهو أحد مؤسسي اتحاد الكتاب العرب في سوريا..."¹

أثناء جنازته بتاريخ 23 أوت 2018 قال "إبراهيم خضر السالم" محافظ اللاذقية عقب الجنازة التي أقيمت في كنيسة جبرائيل وميخائيل "إن الراحل كان بطلاً ووطنياً بكلمته وقلمه اللذين كرسهما لانتمائه لبلده وشعبه، أشار السالم إلى أن عزاء السوريين بغياب مينة هو الأمل الدائم بأن هذه الأرض السورية لن تتوقف عن إنجاب المبدعين والخالقين أمثاله، أما الكاتب "حسن م. يوسف" فقد لفت في تصريح لوكالة "سانا" إلى أن الراحل مينة سيبقى موجوداً في كل تفصيل من حياتنا وفي كل مقال ورواية وقصة له، والفنانة "سلاف فواخرجي" إحدى زميلات ابنه الفنان "سعد مينة" اعتبرت أن رحيل مينة خسارة لجميع السوريين لأنه ترك أثراً كبيراً في الوجدان وستبقى روحه وكلماته وأدبه وسيرته باقية في حياة كل من عرفه، وهو ما أشار إليه الفنان "وائل رمضان" الذي رأى أن مينة لم يرحل لأنه باق بثقافته ومحبه ووطنيته وإنسانيته².

وفي لقاء تلفزيوني للكاتب واسيني الأعرج في نفس يوم وفاة الكاتب أكد ما تطرقنا له سابقاً؛ إذ صرح أنه عند تأملنا حياة حنا مينة سنجد أنها كانت قاسية من نواحي عديدة، منذ انتقاله من لواء إسكندرونة إلى اللاذقية إلى مختلف المدن والبلدان، ثم إن الوضع الذي عاشه كحلاق وحمال وعامل مع البحارة... وكل تلك المتاعب أعطته قوة داخلية لكي يفهم جوهر ذلك الشعب الذي كتب عنه، لأنه كتب عن مجتمع

1- R. Milhem, Great Syrian writer Hanna Mina dies at 94, SANA syrian arab News Agency, 21 August, 2018, <https://sana.sy/en>.

2 - SANA - الوكالة العربية السورية للأنباء، <https://www.sana.sy>.

واقعي، فصحيح أن هذا المجتمع حزين ويعاني الأمرين لكنه يملك شجاعة كبيرة وقيماً حافظ ودافع عنها طويلاً... فهذه الحياة أثرت فيه طبعاً وأعطت لكتابه نمطاً معيناً حتى سمي بكاتب البحر، وفي هذه التسمية اختزال لتجربته لأنه كان أوسع من البحر... لكن السلطة الكبيرة كانت لتيمة البحر التي سيطرت على بعض نصوصه.¹

أقر غالبية النقاد والباحثين دور حنا مينه الريادي في الرواية السورية والعربية، على أنه شيخ الرواية السورية وأحد أعمدة الرواية العربية في إثرائه لمنابع الخطابات السردية وتداخلاتها التاريخية والسيرية والواقعية، لكن حنا مينه كروائي لم يأخذ حقه على المستوى العالمي حسب قول واسيني الأعرج الذي يضيف بقوله أن حنا مينه "الثاني بعد نجيب محفوظ على المستوى العربي، لكنه لم يأخذ حقه لأنه كان يستحق جائزة كبيرة مثل جائزة نوبل التي سترفع من قيمته، لكن للأسف كانت الترجمات محدودة جداً لأعماله..."²

* محتوى وصيته:

نعرض فيما يلي نص وصية الكاتب الراحل حنا مينه التي نشرها عام 2008:

« إلى قرائي الأعزاء! أنا حنا بن سليم حنا مينه، والدتي مريانا ميخائيل زكور، من مواليد اللاذقية العام 1924، أكتب وصيتي وأنا بكامل قواي العقلية، وقد عمّرت طويلاً حتى صرت أخشى ألا أموت، بعد أن شبع من الدنيا، مع يقيني أن لكل أجل كتاب. لقد كنت سعيداً جداً في حياتي، فمنذ أبصرت عيناى النور، أنا منذور للشقاء، وفي قلب الشقاء حاربت الشقاء، وانتصرت عليه، وهذه نعمة الله، ومكافأة السماء، وإنني لن الشاكرين.

1 - (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينه)، لقاء تلفزيوني على قناة FRANCE24، <http://f24.my/youtub.AR>، 21 أوت 2018.

2 - (واسيني الأعرج يتحدث عن الروائي السوري حنا مينه)، لقاء تلفزيوني.

عندما ألفظ النفس الأخير، آمل، وأشدّد على هذه الكلمة، ألا يذاع خبر موتي في أية وسيلة إعلامية، مقروءة أو مسموعة أو مرئية، فقد كنت بسيطاً في حياتي، وأرغب أن أكون بسيطاً في مماتي، وليس لي أهل، لأن أهلي، جميعاً لم يعرفوا من أنا في حياتي، وهذا أفضل، لذلك ليس من الإنصاف في شيء، أن يتحسروا علي عندما يعرفونني، بعد مغادرة هذه الفانية.

كل ما فعلته في حياتي معروف، وهو أداء واجبي اتجاه وطني وشعبي، وقد كرسّ كل كلماتي لأجل هدف واحد: نصرة الفقراء والبؤساء والمعتقلين في الأرض، وبعد أن ناضلت بجسدي في سبيل هذا الهدف، وبدأت الكتابة في الأربعين من عمري، شرّعت قلبي لأجل الهدف ذاته، ولما أزل.

لا عتب ولا عتاب ولست ذاكرهما، هنا، إلا للضرورة، فقد اعتمدت عمري كله، لا على الحظ، بل على الساعد، فيدي وحدها، وبمفردها، صفقت، وإني لأشكر هذه اليد، ففي الشكر تدوم النعم.

أعتذر للجميع، أقرباء، أصدقاء، رفاق، قراء، إذا طلبت منهم أن يدعو نعشي، محمولاً من بيتي إلى عربة الموت، على أكتاف أربعة أشخاص مأجورين من دائرة دفن الموتى، وبعد إهالة التراب علي، في أي قبر متاح، ينفض الجميع أيديهم، ويعودون إلى بيوتهم، فقد انتهى الحفل، وأغلقت الدائرة.

لا حزن، لا بكاء، لا لباس أسود، لا للتعزيات، بأي شكل، ومن أي نوع، في البيت أو خارجه، ثم، وهذا هو الأهم: لا حفلة تأبين، فالذي سيقال بعد موتي، سمعته في حياتي، وهذه التأبين، وكما جرت العادات، منكراً، منفرة، مسيئة إلي، أستغيث بكم جميعاً، أن تريحوا عظامي منها.

كل ما أملك، في دمشق واللاذقية، يتصرف به من يدعون أنهم أهلي، ولهم الحرية في توزيع بعضه، على الفقراء، الأحباء الذين كنت منهم، وكانوا مني، وكنا على نسب هو الأعلى، والأثمن، الأكرم عندي.

زوجتي العزيزة مريم دميان سمعان، وصيتي عند من يصلون لراحة نفسي، لها الحق، لو كانت لديها إمكانية وعي هذا الحق، أن تتصرف بكل إرثي، أما بيتي في اللاذقية، وكل ما فيه، فهو لها ومطوب باسمها، فلا يباع إلا بعد عودتها إلى العدم الذي خرجت هي، وخرجت أنا، منه، ثم عدنا إليه. »

وصية حنا منه

الى قولي لا عذر !

أنا حنا بن سليمان حنا منه والدي مرانا من قبلنا نذكره من
مولدنا الا في سنة ١٩٤٤م كتب وصيتي وأنا لم امل قولي العقلية،
وتدعوت طويلا حتى صرته أختي الا موت وبعد أن سبغت
من الدنيا مع يقيني انه لكل أجل كتاب «

لقد كتبت وصيتي جدا في حياتي فمذا بصرت عيني في النور
وأنا منذ ولدنا في الدنيا في حياتي فمذا بصرت عيني في النور
عليه وهذه نعمة الله ومناحة الجاه والي لم يدركه

عندنا ألفظ النفس المغيره آمل وأشد على هذه الكلمة
ألا بد في خير معرفتي في رية وسيلتي واللازمة وقوة أو سمعته
نقدت سيطرا في حياتي وأرغب ان أكون سيطرا في حياتي وليس
لي أهل في أهلي جميعا لم يعرف من أنا في حياتي وهذا أرفق
لذلك ليس من إحصائيات في شيء وان يتحضر علي عندما يعرفني
بعد مناصرة هذه الغائبة

كل ما خطته في حياتي معروف وهو اراء واجبي تجاه وطني
وسمعي وقد كرست كل حياتي لخدمة واحدة : نعمة الفقراء
والبرساء والمذنبين في مدرستي وبعد ان تأملت جدتي في سبيل هذا الهدف
وجدت اللاتابة في ابراهيم بن محمد بن شرعتي كلتي لخدمة الهدف ذاته
ولما قرأت

لا عت ولا عتاب ولا زكركم هنا الا للضرورة فقد اعتدت
كلتي كلمة من الخلق بل على عدد نديدي وهداه وعفوها صفحتا

وانني نذكر هذه اليد فني اذكر تدمر العلم

اعتذر للجهد القوي في أهدافه ونافه في قلوبه انما لميت منهم
أن يدعوا نفسي ومدرستي بيني وبينه وعلى أكتاف أربعة أشتاق
ما هويت من راحة وتن الموتي وبعد اهاالة التراب علي في اية قبور
مناجح ينفض الجسد ويدمدم ويدمدمه المبيدتهم وقد انتهى الخلق
وأملت البركة

لدي في نوري في البيت اذ اخرجته ثم وهذا هو أهدافه وأشد

لو عقلت تأبين في النور مستيقنا بعد موتي وسمعت في حياتي وهذه
التأبين في اية جهات العارات، مكرمة، منقورة، صليبة إلى واستغيت
كلهم جميعا ان ترحموا غلامي مني

كل ما املك في مشوري والارزاقية يعرف به من يدعوه

إنهم أهلي ولهم الحق في تدمر بيشي ولهم الفخر والجد والزم
تنته منهم ولما نذرتي ولما علي نسبة هو ارفق والأمن وأكرم عدي

فرد جني العزيرة محرم مسماهم وجميعي عند من يعرفهم
لما عت نفسي لها الجهد لولا تدمر انا فية وعي هذا الجهد ان
تلك في كل كرتي أما بيني في الارزاقية وكل ما فيه فهو لا مطلوب
باسمك في كل يوم في اية يد مودتي في اية يد المزم الذي خرجت فيه وخرجت اناه
منه لم عدنا اليه

حنا منه

. النص الأصلي للوصية مكتوب بخط اليد *

*. مجموعة من الكتاب، حنا مينة كتابة البحر... بحر الكتابة، (جائزة محمد زفزاف)، ص 4.

2- أهم أعماله:

- قصته الأولى (طفلة للبيع) كتبها عام 1946.
- أما روايته الأولى (المصابيح الزرق) فقد صدرت عام 1954 التي تم تحويلها إلى مسلسل يحمل نفس الاسم.
- روايته الثانية (الشراع والعاصفة) فقد جاء صدورها عام 1966.
- رواية "الثلج يأتي من النافذة" (1969)
- "الشمس في يوم غائم" (1973).
- و"الياطر" (1975)، و"ثلاثية "بقايا صور" (1975)، و"المستنقع" (1977)، و"القطاف" (1983).
- رواياته "حكاية بحار" (1981)، و"الدقل" (1982)، و"المرفأ البعيد" (1983)، و"مأساة ديمتريو" (1985).
- رواية "نهاية رجل شجاع" (1989) تم تحويلها كذلك إلى مسلسل وقد مثل ابن "سعد مينة" دور "مفيد" فترة الصبا.
- و"حمامة زرقاء في السحب" (1985)، و"الولاعة" (1990)، و"فوق الجبل وتحت الثلج" (1991)، و"النجوم تحاكم القمر" (1992)، و"حدث في بيتاخو" (1994)، و"القمر في المحاق" (1994)، و"عروس الموجة السوداء" (1997)، و"الرجل الذي يكره نفسه" (1998)، و"الفم الكرزين" (1999)، و"حين مات النهد" (2000)، و"صراع امرأتين" (2001).
- أوضح تجليات إبداعه وسيرته الذاتية في كتابيه "هواجس في التجربة الروائية" (1982)، و"كيف حملت القلم" (1986).

عالج قضايا الكفاح الوطني ومقاومة الاستعمار في مؤلفاته المشتركة مع الدكتورة
"نجاح العطار" "من يذكر تلك الأيام" (1974)، و"أدب الحرب" (1976)، وبلغ أدب
المقاومة ذروته في روايته "المرصد" (1980).
وقد نشر عشرات المقالات الثقافية التي لم يجمعها في كتب بعد، وأظهر تفكيره
الأدبي والسردى المعمق وأبعاده النقدية في العديد من الأعمال.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
*مقدمة.....	07
*مدخل: مفهوم الكفاح ومظاهره عند الكاتبين.....	14
1- مفهوم الكفاح.....	15
2- مظاهر الكفاح الإنساني عند الكاتبين.....	17
*الفصل الأول: مرجعية الإبداع عند ارنست همنغواي وحنا مينة.....	35
1- مرجعية الابداع الذاتية.....	36
أ- ارنست همنغواي.....	37
ب- حنا مينة.....	51
2- المرجعية الاجتماعية والسياسية.....	65
أ- العوامل المؤثرة في ارنست همنغواي.....	67
ب- سلطة المجتمع وأثرها في حنا مينة.....	79
*الفصل الثاني: إشكالية الوجود وتجليات الكفاح.....	94
1- الكفاح ضد الطبيعة (البحر).....	95
أ- تجليات الكفاح من خلال تفاعل البطل مع البحر.....	97
ب- أوجه التشابه في تفاعل البطل مع البحر.....	120

123.....	2- الكفاح الاجتماعي والسياسي.....
125.....	أ- تفاعل البطل مع الواقع والمجتمع.....
147.....	ب- تأثير الحرب في وعي البطل ونموه.....
179.....	*الفصل الثالث: أبعاد شخصية البطل وتمجيد الفعل الإنساني.....
180.....	1- أبعاد شخصية البطل.....
181.....	أ- البعد الجسمي.....
189.....	ب- البعد الاجتماعي.....
204.....	ج- البعد النفسي.....
214.....	2- تمجيد الفعل الإنساني عند الكاتيين.....
216.....	أ- أوجه الفعل الإنساني.....
216.....	1- الشجاعة / الضعف.....
224.....	2- الحياة / الموت.....
228.....	ب- حركية صورة البطل وتطور وعيه.....
246.....	1- علاقة المرشد بتطور وعي البطل.....
257.....	2- شخصية المرأة وعلاقتها بالبطل.....

266.....	* الخاتمة.....
272.....	* قائمة المصادر والمراجع.....
285.....	* الملخص باللغة الإنجليزية.....
288.....	* الملاحق.....
.307.....	* فهرس الموضوعات.....